

****

**ثِمَار وجِمَار**

في طريق الأخيار

**تأليف**

**محمد عبدالرحمن صادق**

## الإهداء

- إلى روح والديَّ داعياً المولى عز وجل أن يكون ذلك عِلماً يُنتفع به وأن يُثقل الله تعالى به ميزانهما وأن يجعله من برهما بعد مماتهما.

- إلى زوجتي الغالية أمدها الله تعالى بالصحة وتمام الإيمان.

- إلى أبنائي الأعزاء عسى الله تعالى أن يعينهم على التخلق بأحسن الأخلاق وأن يجعلهم لنا ذخراً.

- إلى رفقاء الدرب المُخلصين وإلى الدعاة العاملين داعياً الله تعالى أن ينفع بهم وأن يفتح لهم قلوب العباد وأن يُصلح على أيديهم شئون البلاد.

## المقدمة

إن صرح الإسلام صرحاً عريقاً وضع دعائمه واشترك في بناء لبناته أنبياء ورسل الله جميعاً عليهم من الله السلام وذلك كله بأمر من الله تعالى، فكل نبي أو رسول جاء ليُرسي من الدعائم والأسس والمباديء والقيم ما يتوافق مع زمانه مُكمِّلاً ما بدأه النبي أو الرسول الذي سبقه إلى أن جاء النبي صلى الله عليه وسلم ليتم بنيان البناء ورونقه فلم يعد فيه نقصان يحتاج إلى إضافة وليس به زيادة يمكن الاستغناء عنها وذلك إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها فالمشكاة واحدة والناموس واحد والآمر هو الله تعالى.

- قال تعالى: "... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {3} " ( المائدة من الآية 3 ).

- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " مثَلي ومثلُ الأنبياءِ، كمثلِ رجلٍ بنَى دارًا فأتمَّها وأكملَها إلَّا موضعَ لبِنَةٍ. فجعلَ النَّاسُ يدخلونَها ويتعجَّبونَ منها، ويقولونَ: لولا موضعَ اللَّبِنةِ! قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: فأنا موضعُ اللَّبِنَةِ. جئتُ فختَمتُ الأنبياءَ " ( رواه مسلم ).

وفي هذا الجهد المتواضع الذي سميته ( ثِمار وجِمار في طريق الأخيار ) وضعت من الثمار ثمانية وهي ( الأمانة – الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – العدل – الأمن – الحرية – الشورى – التكافل - الانتماء ) وأرى أن هذه الثمار هي الأسس والدعائم التي لا غنى عنها لبناء أي مُجتمع بناءا سليماً متيناً إن وجدت كل هذه الثمار كان ما بعدها أيسر وأسهل، وإذا تلاشت أو تلاشى بعضها كان البنيان هشاً وكان على خطر داهم وتلاعبت به الأحداث كما تتلاعب الرياح بريشة في يوم شديد الرياح. وكذلك اخترت من الجمار جمرتان وهما ( الخيانة – الظلم ) وأرى أيضاً أن وجودهما أو إحداهما في أي مجتمع يُعجل بخرابه.

أسأل الله تعالى أن يعيننا على التحلي والالتزام بهذه الثمار الطيبة، كما أسأله سبحانه أن يجنبنا وأهلينا وذوينا وكل من لهم فضل علينا شر الجمار التي تعرقل مسيرة الأخيار وتأذن بخراب الديار.

محمد عبدالرحمن صادق

## الثمرة الأولى: الأمانة في الإسلام

إن الأمانة في الإسلام منظومة شاملة ومتكاملة ومظلة لا تستثني أحداً. وبدون الأمانة لا تستقيم الحياة ولا تستقر الأرض لأهلها بل ستضطرب وتمور موراً. فالأمانة تنظم علاقة العباد بالخالق سبحانه وتعالى فتؤدى العبادات بالكيفية التي يرتضيها الله تعالى من عباده. وكذلك تنظم حياة الأفراد فيما بين بعضهم البعض فتحترم الخصوصيات ولا تنتهك الحريات ولا تضيع الحقوق، كما أنها تنظم حياة المجتمعات والشعوب والأمم فتحترم العهود والمواثيق وتسود الضوابط التي معها لا تضيع حقوق الأمم ولا تنتقص هيبتها كبيرة كانت أو صغيرة، قوية كانت أو ضعيفة.

- قال الشيخ بن عثيمين رحمه الله في شرح رياض الصالحين: " الأمانة باب واسعٌ جدًّا، وأصلها أمران: أمانة في حقوق الله: وهى أمانة العبد في عبادات الله عزَّ وجلَّ. وأمانة في حقوق البشر ".

- أولاً: معنى الأمانة: جاء في لسان العرب لابن منظور رحمه الله أن: " الأمانة ضد الخيانة، وأصل الأَمْن: طمأنينة النفس وزوال الخوف، والأمانة مصدر ( أمِن ) – بالكسر - أمانة فهو أمين، ثم استعمل المصدر في الأعيان مجازًا، فقيل الوديعة أمانة ونحوه، والجمع أمانات، فالأمانة اسم لما يُؤمَّن عليه الإنسان، نحو قوله تعالى: " وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ " ( الأنفال 27 )، أي: ما ائتمنتم عليه، وقوله: " إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ " ( الأحزاب 72 ).

- وجاء في تهذيب الأخلاق للجاحظ أن الأمانة هي: " التَّعفُّف عمَّا يتصرَّف الإنسان فيه مِن مال وغيره، وما يوثق به عليه مِن الأعراض والحرم مع القدرة عليه، وردُّ ما يستودع إلى مودعه ".

- وجاء في فيض القدير أن: الأمانة: هي كلُّ حقٍّ لزمك أداؤه وحفظه.

- وقال الكفوي رحمه الله: " كلُّ ما افترض على العباد فهو أمانة، كصلاة وزكاة وصيام وأداء دين، وأوكدها الودائع، وأوكد الودائع كتم الأسرار ".

- قال ابن القيم رحمه الله: " لا تظن أن الأمانة أن تتوضأ بركل من الماء، وتصلي ركعتين في المحراب , إنما الأمانة أن تحمل هم هذا الدين ".

- قال الإمام القرطبي رحمه الله " والأمانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال.

- وقال أيضاً في تفسير قوله تعالى: " وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ " ( المؤمنون 8 ) " والأمانة والعهد يجمع كل ما يحمله الإنسان من أمر دينه ودنياه قولاً، وفعلاً، وهذا يعم معاشرة الناس، والمواعيد وغير ذلك، وغاية ذلك حفظه والقيام به ".

- قال الأصبهاني رحمه الله: " إنَّ الأمانة هي عين الإيمان، فإذا استمكنت الأمانة من قلب العبد قام حِينئذٍ بأداء ما أُمِرَ به، واجتنب ما نُهي عنه ".

ثانياً: منظومة الأمانة في القرآن الكريم: إن المتتبع لآيات القرآن الكريم يجد أن هذه الصفة قد تم ذكرها والتأكيد عليها في آيات كثيرة وفي مواقف كثيرة، كما يجد أن الله تعالى قد كلف الإنسان دون غيره بالأمانة، ووصف جبريل عليه السلام بالأمين، ووصف الله تعالى أنبيائه عليهم السلام بالأمانه، ووصى ولاة أمر المسلمين بالأمانة، وجعل الله تعالى من صفات المؤمنين الأمانة، ووصى الأجراء والتجار بالأمانة، وجعل الله تعالى غاية الإنسان أن يعيش في بلد آمن، ووصف أطهر بقاع الأرض بأنها البلد الأمين، بل وصف الله تعالى مقام المؤمنين في الجنة بأنه مقام أمين. إلى غير ذلك من الآيات في هذا الجانب.

أ) التكليف من الله تعالى للإنسان بحمل الأمانة:

- قال تعالى: " إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً {72} " ( الأحزاب 72 ).

ب) وصف الله تعالى أمين الوحي جبريل عليه السلام بالأمانة:

1- قال تعالى: " وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ {192} نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ {193} عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ {194} " ( الشعراء 192 – 194 ).

2- قال تعالى: " إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ {19} ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ {20} مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ {21} " ( التكوير 19 - 21 ).

ج ) وصف الله تعالى أنبيائه عليهم السلام بالأمانة وكذلك وصفهم لأنفسهم بما وصفهم به الله تعالى:

1- قال تعالى: " وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ {17} أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ {18}‏ " ( الدخان 18 ).

2- قال تعالى: " قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ {67}‏ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ {68} " ( الأعراف 68 ).

3- قال تعالى: " كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ {105} إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ {106} إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ {107} " ( الشعراء 105 – 107 ).

وهكذا جاءت مع أنبياء الله عليهم السلام ( هود – صالح – لوط – شعيب ) في نفس السورة.

د) أمر الله تعالى ولاة أمر المسلمين بالأمانة:

1- قال تعالى: " إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً {58} " ( النساء 58 ).

- جاء في كتاب السياسة الشرعية للإمام ابن تيمية رحمه الله: قال العلماء: نزلت... في ولاة الأمور: عليهم أن يؤدُّوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكموا بين النَّاس أن يحكموا بالعدل... وإذا كانت الآية قد أوجبت أداء الأمانات إلى أهلها والحكم بالعدل، فهذان جماع السياسة العادلة والولاية الصالحة.

- وجاء في فتح القدير للإمام الشَّوكاني رحمه الله: هذه الآية مِن أمَّهات الآيات المشتملة على كثير مِن أحكام الشَّرع، لأنَّ الظَّاهر أنَّ الخطاب يشمل جميع النَّاس في جميع الأمانات، وقد رُوِي عن علي، وزيد بن أسلم، وشهر بن حوشب أنَّها خطاب لولاة المسلمين، والأوَّل أظهر، وورودها على سبب لا ينافي ما فيها مِن العموم، فالاعتبار بعموم اللَّفظ لا بخصوص السَّبب، كما تقرَّر في الأصول، وتدخل الولاة في هذا الخطاب دخولًا أوَّليًّا، فيجب عليهم تأدية ما لديهم مِن الأمانات، وردُّ الظُّلامات، وتحرِّي العدل في أحكامهم، ويدخل غيرهم مِن النَّاس في الخطاب، فيجب عليهم ردُّ ما لديهم مِن الأمانات، والتَّحرِّي في الشهادات والأخبار. وممَّن قال بعموم هذا الخطاب: البراء بن عازب، وابن مسعود، وابن عبَّاس، وأبيُّ بن كعب، واختاره جمهور المفسِّرين، ومنهم ابن جرير، وأجمعوا على أنَّ الأمانات مردودة إلى أربابها: الأبرار منهم والفجار، كما قال ابن المنذر.

ه ) جعل الله تعالى من صفات المؤمنين الأمانة بل إن الإيمان لا يكتمل إلا بها:

1- قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ {27} " ( الأنفال 27 ).

2- قال تعالى: " وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ {8} " ( المؤمنون 8 ).

و ) جعل الله تعالى من صفات العمال والأجراء الأمانة:

1- قال تعالى: " قَالَ عِفْريتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ {39} " ( النمل 39 ).

2- قال تعالى: " وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِينٌ {54}

3- قال تعالى: " قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ {26} " ( القصص 26 ).

ز) أمر الله تعالى التجار بالأمانة في كل أحوالهم:

- قال تعالى: " وَإِن كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِباً فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللّهَ رَبَّهُ وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ {283} " ( البقرة 283 ).

ح ) والبلد الآمن هو غاية ما يتمناه الإنسان لنفسه ولمن يعول:

- قال تعالى: " وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ {126} " ( البقرة 126 ). ‏

- ربما يقول قائل بأن اللفظ الذي ذُكر في الآية الكريمة هو ( الأمن ) وليس ( الأمانة ) وأن هناك فرق بين الأمن والأمانة. وهنا لابد وأن نقول: " وكيف يتحقق الأمن إذا غابت الأمانة؟ فهما قرينان ومتلازمان إذا غاب أحدهما غاب الآخر. فهل تتخيل أنه سيكون هناك بلد يسوده الأمن وقد نزعت من أهله الأمانة؟ ".

ط) وصف الله تعالى أطهر بقاع الأرض – مكة – ب " البلد الأمين ":

1- قال تعالى: " وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ {1} وَطُورِ سِينِينَ {2} وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ {3} " ( التين 1 - 3 ).

2- قال تعالى: " وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ {57} " ( القصص 57 ).

ي) وصف الله تعالى مقام المؤمنين بالجنة بأنه مقام أمين:

- قال تعالى: " إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ {51} " ( الدخان 51 ).

أي: يؤمن فيه من الآفاتِ ومن كل أذى.

- تلك عشرة كاملة عليها تُبنى منظومة الأمانة في الإسلام وهي كلُ لا يتجزأ كما أنها غير قابلة للنقصان أو الاختزال.

ثالثاً: منظومة الأمانة في السُّنَّة النَّبويَّة المطهرة: إن النبي صلى الله عليه وسلم قد بلغت أمانته مداها في حياته كلها وهذه صفة الأنبياء والمرسلين فهو صلى الله عليه وسلم جاء على درب يوسف عليه السلام وأمانته مع ملك مصر، ودرب موسى عليه السلام وأمانته مع بنات شُعيب عليه السلام. فمنهجهم جميعاً – عليهم السلام – إنما جاء من مِشكاة واحدة.

- فلقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أميناً في مال السيدة خديجة رضي الله عنها وتجارتها قبل البعثة.

- ولقد كان أميناً على أموال قريش، فبالرغم من معاداتهم له صلى الله عليه وسلم إلا أنهم لم يجدوا غيره ليستأمنوه على ودائعهم وأماناتهم.

- ولقد حسم النبي صلى الله عليه وسلم النزاع بين القبائل عندما اختلفوا فيمن ينال شرف وضع الحجر الأسود فلمَّا رأوه صلى الله عليه وسلم قالوا: هذا الأمين، رضينا، هذا محمَّد، فلمَّا انتهى إليهم، وأخبروه الخبر، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: " هلمَّ إليَّ ثوبًا "، فأُتِي به، فأخذ الركن، فوضعه فيه بيده، ثمَّ قال: " لتأخذ كلُّ قبيلة بناحية مِن الثَّوب، ثمَّ ارفعوه جميعًا "، ففعلوا، حتى إذا بلغوا به موضعه، وضعه هو بيده، ثمَّ بنى عليه.

- عن عبد الله بن أبي الحمساء قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل أن يُبعث وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فإذا هو في مكانه فقال: " يا فتى لقد شققت علي أنا هاهنا منذ ثلاث أنتظرك ". والانتظار هنا كان ليفي بالوعد وليس ليقبض ما تبقى له من مال.

- ولقد شهد أبو سفيان بن حرب قبل أن يُسلم شهد بأمانة النبي صلى الله عليه وسلم عندما قال هرقل: " سألتك ماذا يأمركم؟ فزعمت أنَّه يأمر بالصَّلاة، والصِّدق، والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداء الأمَانَة، قال: وهذه صفة نبيٍّ ".

- وفي موضع آخر يقول هرقل: " وسألتك هل يغدر؟ فزعمت أن لا، وكذلك الرُّسل لا يغدرون ".

- وفي فتح مكة رفض النبي صلى الله عليه وسلم انتزاع مفتاح الكعبه من عثملن بن طلحة بل رده النبي صلى الله عليه وسلم إليه وقال له: " هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم برٍّ ووفاء ". وفي رواية: فدعا عثمان فقال: " خذوها يا بني شيبة خالدة مُخلّدة ". وفي لفظ: " تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم ".

- حقيقة إن المواقف تتزاحم والمأثورات في هذا الجانب تترى ويكفينا ما تم ذكره لتسليط الضوء فقط على هذا الجانب من حياته صلى الله عليه وسلم.

- إن السنة النبوية المطهرة كذلك لم تترك مجالاً من مجالات الأمانة إلا وبينته تِبييناً وفصلته تفصيلاً. لتنظم علاقة العباد مع خالقهم سبحانه وتعالى، ولتنظم علاقة الأفراد فيما بينهم، وكذلك لتنظم علاقة المجتمعات والشعوب فيما بينهم.

- ونسوق هنا بعضاً من هذه الأحاديث في هذا الجانب:-

1- عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: " آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان " ( رواه البخاري ومسلم ).

2- وعن عبد الله بن عمرو عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: " أربعٌ إذا كنَّ فيك فلا يضرَّنَّك ما فاتك مِن الدُّنْيا: صِدْق حديث، وحِفْظ أمانة، وحُسْن خليقة، وعفَّة طُعْمة " ( رواه أحمد ).

3- عن عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما قال: " أخبرني أبو سفيان أنَّ هرقل قال له: سألتك ماذا يأمركم؟ فزعمت أنَّه يأمر بالصَّلاة والصِّدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمَانَة. قال: وهذه صفة نبي " ( رواه البخاري ).

4 - وعن عبد الرحمن بن أبي قراد أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ يوماً، فجعل أصحابه يتمسحون بوضوئه، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: " ما يحملكم على هذا؟ " قالوا: حب الله ورسوله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " من سره أن يحب الله ورسوله أو يحبه الله ورسوله فليصدق حديثه إذا حدث، وليؤد أمانته إذا أؤتمن، وليحسن جوار من جاوره " ( حسنه الألباني ).

5- وعن عبادة بن الصامت رضِي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: " اضمَنُوا لي سِتًّا من أنفسِكُم أضمنْ لكم الجنَّة، اصدقُوا إذا حدَّثُتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدُّوا إذا اؤتمنتُم، واحفَظُوا فُروجكم، وغضُّوا أبصاركم، وكفُّوا أيديكُمْ " ( رواه أحمد وابن حبان والحاكم ).

6- وعن عبد الله بن السائب، عن زاذان، عن عبد الله بن مسعود قال: " إن الشهادة تكفر كل ذنب إلا الأمانة، يؤتى بالرجل يوم القيامة - وإن كان قد قتل في سبيل الله – فيقال: أد أمانتك. فيقول وأنى أؤديها وقد ذهبت الدنيا؟ فتمثل له الأمانة في قعر جهنم، فيهوي إليها فيحملها على عاتقه. قال: فتنزل عن عاتقه، فيهوي على أثرها أبد الآبدين. قال زاذان: فأتيت البراء فحدثته فقال: صدق أخي: " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ".

7– ومن وصايا النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع أنه قال: " ألا ومن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ". وبسط يده، فقال: " ألا هل بلغت؟ ألا هل بلغت؟ ألا هل بلغت؟ " ثم قال: " ليبلغ الشاهد الغائب ; فإنه رب مبلغ أسعد من سامع " ( رواه أحمد وأبو داوود ).

8 - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ومن أخذ يريد إتلافها أتلفه الله " ( رواه البخاري ).

9 - وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " قال الله ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة رجل أعطى بي ثم غدر ورجل باع حراً فأكل ثمنه ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعط أجره " ( رواه البخاري ).

10 - وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع: " ألا أُخبركم بالمؤمن؟ مَن أمِنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم مَن سلِم الناس من لسانه ويده، والمجاهد مَن جاهَد نفسه في طاعة الله، والمهاجر مَن هجَر الخطايا والذنوب " ( رواه أحمد ).

11- وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ على صُبْرَة طعام، فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً، فقال: " ما هذا يا صاحب الطعام؟ "، قال: أصابته السماء يا رسول الله، قال: " أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟ من غشّ فليس مني " ( رواه مسلم ).

- جاء في مجموعة الفتاوى لابن تيميَّة رحمه الله: " بخس المكيال والميزان من الأعمال التي أهلَكَ الله بها قومَ شُعيب عليه الصلاة والسلام وقصَّ علينا قصَّتهم في غير موضعٍ من القُرآن، لنعتبر بذلك، والإصرارُ على ذلك من أعظم الكبائر، وصاحِبُه مُستوجِبٌ تغليظَ العُقوبةِ، وينبغي أنْ يُؤخَذ منه ما بخسَه من أموال المسلمين على طُول الزَّمان، ويُصرَف في مَصالح المسلمين، إذا لم يمكن إعادته إلى أصحابه ".

12- عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: " ما منعني أن أشهد بدراً إلا أني خرجت أنا وأبي، فأخذنا كفار قريش، فقالوا: إنكم تريدون محمدا؟ فقلنا: ما نريد إلا المدينة، فأخذوا العهد علينا: لننصرفن إلى المدينة ولا نقاتل معه. فأخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم فقال: " نفي بعهدهم، ونستعين الله عليهم " ( رواه مسلم ).

- ولقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قد رد أبو بصير ومن معه من المسلمين حتى لا يخون العهد الذي أبرمه مع قريش في صلح الحديبية ثم قال له: " يا أبا بصير، انطلق فإن الله سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجاً " ( البخاري ).

13 - وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " سيأتي على الناس زمان سنوات خداعات: يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة. قيل يا رسول الله وما الرويبضة؟ قال: الرجل التافه ينطق في أمر العامة " ( رواه أحمد وابن ماجه ).

14 - وعن الحسن أن عبيد الله بن زياد عاد معقل بن يسار في مرضه الذي مات فيه فقال له معقل إني محدثك حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة " ( رواه البخاري ).

- جاء في شرح رياض الصالحين للشيخ بن عثيمين رحمه الله أنه قال: " ومِن الأمَانَة – أيضًا - أمانة الولاية، وهي أعظمها مسؤوليَّة، الولاية العامَّة والولايات الخاصَّة، فالسُّلطان – مثلًا، الرَّئيس الأعلى في الدَّولة - أمينٌ على الأمَّة كلِّها، على مصالحها الدِّينية، ومصالحها الدُّنيويَّة، على أموالها التي تكون في بيت المال، لا يبذِّرها ولا ينفقها في غير مصلحة المسلمين وما أشبه ذلك. وهناك أمانات أخرى دونها، كأمانة الوزير – مثلًا - في وزارته، وأمانة الأمير في منطقته، وأمانة القاضي في عمله، وأمانة الإنسان في أهله ".

- وجاء في مجموع الفتاوى للإمام بن تيمية رحمه الله أنه قال: " واجتماع القوَّة والأمَانَة في النَّاس قليل، ولهذا كان عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه يقول: " اللَّهمَّ أشكو إليك جلد الفاجر وعجز الثِّقة ". فالواجب في كلِّ ولاية الأصلح بحسبها، فإذا تعيَّن رجلان أحدهما أعظم أمانة، والآخر أعظم قوَّة، قُدِّم أنفعهما لتلك الولاية وأقلهما ضررًا فيها، فيُقَدَّم في إمارة الحروب الرَّجل القوي الشُّجاع - وان كان فيه فجور- على الرَّجل الضَّعيف العاجز، وإن كان أمينًا، كما سُئل الإمام أحمد عن الرَّجلين يكونان أميرين في الغزو، وأحدهما قويٌّ فاجر، والآخر صالح ضعيف، مع أيِّهما يُغْزى؟ فقال: أمَّا الفاجر القويُّ فقوَّته للمسلمين، وفجوره على نفسه، وأمَّا الصَّالح الضَّعيف فصلاحه لنفسه، وضعفه على المسلمين، فيُغْزَى مع القويِّ الفاجر، وقد قال النَّبيُّ: " إنَّ الله يؤيِّد هذا الدِّين بالرَّجل الفاجر " ( رواه البخاري ومسلم ). ورُوِي: " بأقوام لا خلاق لهم " ( رواه النسائي من حديث أنس رضي الله عنه )، وإن لم يكن فاجرًا كان أولى بإمارة الحرب ممَّن هو أصلح منه في الدِّين، إذا لم يسدَّ مسدَّه ".

15 - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي الهيثم بن التيهان: " هل لك خادم؟ " فقال: لا. قال: " فإذا أتانا سبي فأتنا ". فأتي النبي صلى الله عليه وسلم برأسين، فأتاه أبو الهيثم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " اختر منهما ". فقال: يا نبي الله! اختر لي فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " إن المستشار مؤتمن. خذ هذا فإني رأيته يصلي، واستوص به معروفاً " ( رواه الترمذي ).

16- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " بينما النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال. وقال بعضهم: بل لم يسمع. حتى إذا قضى حديثه قال: " أين السائل عن الساعة؟ ". قال: ها أنا يا رسول الله قال: " فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة ". قال: كيف إضاعتها؟ قال: " إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة " ( رواه البخاري ).

17- عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من الأزد يُقال له ابن اللتبية على الصدقة، فقال: هذا لكم، وهذا أُهدي إليَّ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: " ما بال العامل نبعثه فيجيء فيقول: هذا لكم، وهذا أهدي إليّ؟‍‍‍‍. ألا جلس في بيت أبيه فينظر أيهدى إليه أم لا!! والذي نفس محمد بيده، لا نبعث أحداً منكم فيأخذ شيئاً إلا جاء يوم القيامة يحمله على رقبته، إن كان بعيراً له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر، فرفع يديه حتى رأيت عفرة إبطيه فقال: اللهم هل بلغت ثلاثاً " ( رواه البخاري ومسلم ).

18 - وعن أبي ذر قال: قلت يا رسول الله ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي ثم قال: " يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها " ( رواه مسلم ).

19 - وعن عائشة رضي الله عنها أن هند بنت عتبة قالت يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم فقال: " خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف " ( رواه البخاري ).

20- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنَّ مِن أشرِّ الناس عند الله منزلة يوم القيامة، الرجل يفضي إلى امرأته، وتفضي إليه، ثم ينشر سرَّها " ( رواه مسلم ).

21 - وعن جابر رضي الله عنه عن النَّبي صلى الله عليه وسلم، قال: " إذا حدَّث الرجل بالحديث ثم التفت فهي أمانة " ( رواه أبو داوود والترمذي وأحمد ).

- جاء في إحياء علوم الدين أن الحسن البصري قال: " إنما تُجالسوننا بالأمانة، كأنَّكم تظنُّون أنَّ الخِيانة ليست إلاَّ في الدِّينار والدِّرهم، إنَّ الخيانة أشدَّ الخيانة أنْ يُجالسنا الرجل، فنطمئن إلى جانبه، ثم ينطلق فيسعى بنا ".

22 - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين " ( رواه أبو داوود ).

23- وعن قزعة رضي الله عنه قال: قال لي ابن عمر: هلم أودعك كما ودعني رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك " ( رواه أبو داوود ).

24- ورد في حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم عندما ذكر ذهاب الناس إلى آدم , ثم إبراهيم , ثم موسى , ثم عيسى , ثم محمد، قال صلى الله عليه وسلم: " وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً " ( رواه مسلم ).

- يقول الإمام النووى فى شرحه لصحيح مسلم: " وإرسال الأمانة والرحم على جانبى الصراط لتطالب كل من يمر على الصراط بحقها ".

- قال الحافظ: " والمعنى أن الأمانة والرحم لعظم شأنهما وفخامة ما يلزم العباد من رعاية حقهما يوقفان هناك للأمين والخائن , والمواصل والقاطع , فيحاجان عن المحق , ويشهدان على المبطل ".

25- وعن أم المؤمنين أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: " لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار، فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب فقال له: " أيها الملك كنا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله لنوحده، وأداء الأمانة " ( رواه أحمد ).

26- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اشترى رجل مِن رجل عقارًا له فوجد الرَّجل الذي اشترى العقار في عقاره جرَّةً فيها ذهبٌ، فقال له الذي اشترى العقار: خذ ذهبك منِّى، إنَّما اشتريت منك الأرض ولم أبتع منك الذَّهب. فقال الذي شرى الأرض: إنَّما بعتك الأرض وما فيها. قال: فتحاكما إلى رجل، فقال الذي تحاكما إليه: ألكما ولدٌ؟ فقال: أحدهما لي غلامٌ، وقال الآخر: لي جارية. قال أنكحوا الغلام الجارية، وأنفقوا على أنفسكما منه وتصدَّقا " ( رواه البخاري ومسلم ).

27 - وعن عبدالله بن مسعودٍ رضِي الله عنه قال: كنتُ أرعى غنمًا لعُقبة بن أبي مُعَيْطٍ، فمَرَّ بي رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وأبو بكرٍ، فقال: " يا غُلامُ، هل من لبنٍ؟ " قال: قلت: نعم، ولكنِّي مُؤْتَمَنٌ، قال: " فهل من شَاةٍ لم يَنْزُ عليها الفحْلُ؟ " فأتيتُه بشاةٍ، فمَسَح ضَرْعَها، فنزَل لبنٌ، فحلَبَهُ في إناءٍ، فشربَ وسقَى أبا بكرٍ، ثم قال للضَّرْع: " اقْلِصْ " فقَلَصَ، قال: ثم أتَيْتُه بعد هذا فقلتُ: يا رسول الله، علِّمْني من هذا القول، قال: فمسَح رأسي، وقال: " يَرحمُكَ اللهُ، فإنَّك غُلَيِّمٌ مُعَلَّمٌ ". وفي روايةٍ: فأتاه أبو بكرٍ بصَخرةٍ مَنقورةٍ، فاحتلب فيها وشرب، وشرب أبو بكرٍ وشربتُ قال: ثم أتيته بعد ذلك، قلت: عَلِّمني من هذا القُرآن: قال: إنَّك غُلامٌ مُعَلَّم قال: فأخَذتُ من فيه سبعين سورةً.

\* يَنْزُ: يثب. \* اقْلِصْ: انقبض - انحسر.

28 - وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد رأيت أحدهما، وأنا انتظر الآخر: حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن فَعلموا من القرآن، وعَلمُوا من السنة، ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال: " ينام الرجل النومة فتقبض الأمانةُ من قلبه، فيظل أثرها مثل الوكت، ثم ينام النومةً، فتقبض الأمانةُ من قلبهِ فيظلُ أثرها مثل المجلِ، كجمر دحرجته على رجلك، فنفط فتراهُ منتبرا وليس فيه شيءُ " ثم أخذ حصاة فدحرجه على رجلهِ " فيصبح الناسُ يتبايعون، فلا يكادُ أحدٌ يؤدي الأمانة حتى يقالَ: إن في بني فُلانٍ رجُلاً أميناً، حتى يقال للرجل: ما أجلده، ما أظرفه، ما أعقله! وما في قلبه مثقال حبةٍ من خردلٍ من إيمانٍ، ولقد أتى علي زمانٌ وما أُبالي أيكم بايعتُ: لئن كان مسلماً ليردنه على دينهُ، ولئن كان نصرانياً أو يهودياً ليردنه على ساعيه، وأما اليوم فما كنتُ أُبايع منك إلا فُلاناً وفُلاناً " ( متفق عليه ).

\* الوكت: الأثر اليسيرُ.

\* والمجلُ: مَجَلَتْ يدُهُ: تقرَّحت من العمل وتكوَّن بين الجلد واللَّحم فيها ماءٌ بإصابة نار أَو مشَقَّة أَو معالجة الشيء الخشن.

\* منتبرا: مُرتفعاً.

29 - وعن عبدالله بن عَمرو بن العاص رضِي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: " كيف بكمْ وبزمانٍ يُوشِكُ أنْ يأتَي يُغَرْبَلُ الناسُ فيه غربلةً، ثم تبقى حُثَالةٌ من الناس قدْ مرجَتْ عُهودُهم وأماناتهم، فاخْتلَفُوا هكذا "، وشَبَّكَ بين أصابعهِ، قالوا: كيف بنا يا رسولَ الله إذا كان ذلك؟ قال: " تأخُذون بَما تعرفون، وتدعُونَ ما تُنْكِرون، وتُقْبِلون على خاصَّتِكم، وتذَرُون أمرَ عَوامِّكم " ( رواه أحمدُ وابن ماجه ).

30 - وعن أنس رضِي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: " لِكُلِّ أمَّةٍ أمينٌ، وأمين أمَّتي أبو عُبَيدة بن الجرّاح " ( رواه البخاري ومسلم ).

- هذا غيض من فيض من منظومة الأمانة التي غرسها النبي صلى الله عليه وسلم في صحابته الكرام ووضع منهجاً متكاملاً للأمة تسير به على الجادة فلا تزيغ ولا تهلك طيلة التزامها بهذه المنظومة.

رابعاً: منظومة الأمانة عند الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين: كما رأينا أن النبي صلى الله عليه وسلم غرس في صحابته الكرام منظومة متكاملة من الأمانة فترجموا هذه الأمانة ترجمة عملية وتحركوا بها في ربوع الأرض ففتحوا البلاد ودانت لهم العرب والعجم لِما يحملونه من أمانة فتحت القلوب والعقول قبل أن تفتح الحصون. عن أنس رضي الله عنه قال: " قلَّما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلَّا قال: لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له " ( رواه أحمد ).

- نطرح هنا بعض المواقف والأقوال من حياة الصحابة والتابعين للمثال لا الحصر:-

1- لما بويع أبو بكر رضي الله عنه بالخلافة بعد بيعة السقيفة تكلم أبو بكر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: " أما بعد أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ".

2 - لَمَّا عزَم أبو بكرٍ الصِّدِّيق رضِي الله عنه على جمع القُرآن، قال لزيد بن ثابت رضِي الله عنهما: " إنَّك رجلٌ شاب عاقل لا نتَّهمُكَ، قد كنت تكتبُ الوحي لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فتتبَّع القُرآن فاجمَعْه ".

- والمقصود بكلمة لا نتهمك هنا أي: لا نتهمك في أمانتك ورجاحة عقلك ومراقبتك لله تعالى فيما كُلفت به.

3- قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: اشتريت إبلا وارتجعتها إلى الحِمى ( الموضع الذي يُحمى ويدافع عنه )، فلما سمِنت قدمت بها، قال: فدخل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - السوق فرأى إبلا سِمانا، فقال: لمن هذه الإبل؟ قيل: لعبد الله بن عمر، قال: فجعل يقول: يا عبد الله بن عمر بخ بخ ابن أمير المؤمنين، قال: فجئته أسعى، فقلت: ما لك يا أمير المؤمنين؟ قال: ما هذه الإبل؟ قال: قلت: إبل أنضاء ( ضعيفة هزيلة )، اشتريتها، وبعثت بها إلى الحِمى، أبتغي ما يبتغي المسلمون، قال: فقال: ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين، اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين، يا عبد الله بن عمر، اغد على رأس مالك، واجعل باقيه في بيت مال المسلمين.

4- عن أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالبٍ رضِي الله عنه قال: رأيتُ عمر بن الخطاب - رضوان الله عليه - على قتبٍ يعدو، فقلت: يا أمير المؤمنين، أين تذهب؟ فقال: بعيرٌ نَدَّ من إبل الصدقة أطلبه. فقلت: لقد أذللتَ الخلفاء بعدَك. فقال: يا أبا الحسن، لا تلُمْني، فوالذي بعث محمدًا بالنبوَّة لو أنَّ عَناقًا ذهبت بشاطئ الفُرات لأُخِذَ بها عمرُ يوم القيامة. ( ند: هرب ).

5- استدان ابن عمر بن الخطاب من أبي موسى الأشعري حين كان والياً على الكوفة أموالاً من خزينة الدولة ليتاجر بها على أن يردها بعد ذلك كاملة غير منقوصة، واتجر ولد عمر فربح، فبلغ ذلك عمر فقال له: إنك حين اشتريت أنقص لك البائعون في الثمن لأنك ولد أمير المؤمنين، ولما بعت زاد لك المشترون في الثمن لأنك ولد أمير المؤمنين، فلا جرم أن كان للمسلمين نصيب فيما ربحت، فقاسمه نصف الربح، واسترد منه القرض وعنفه على ما فعل، واشتد في العقاب على أبي موسى لأنه أسرف من أموال الدولة ما لا يصح أن يقع مثله، وهذه أمانة الحاكم الذي يسهر على مال الأمة فلا يحابي فيه صديقاً ولا قريباً.

- إن هذا ليس بغريب على الفاروق رضي الله عنه فلقد بلغ به الخوف من الله تعالى مداه فكان يذهب إلى حذيفة رضي الله عنه - كاتم سر رسول الله صلى الله عليه وسلم – ويقول له: أنشدك الله هل سماني لك رسول الله مع من سماهم من المنافقين؟ " فيقول حذيفة: لا. ولا أزكي بعدك أحداً.

- وهذا أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: سمعت عمر بن الخطاب، وخرجت معه حتى دخل حائطاً فسمعته وهو يقول، وبيني وبينه جدار، وهو في جوف الحائط: عمر بن الخطاب أمير المؤمنين! بخ بخ: والله لتتقين الله أو ليعذبنك.

6 - قال الطبري رحمه الله في تاريخه: " وحدثني أحمد بن حرب قال حدثنا مصعب بن عبدالله الزبيري قال حدثني أبي عن ربيعة بن عثمان عن زيد بن أسلم عن أبيه قال خرجت مع عمر بن الخطاب رحمه الله إلى " حرة واقم " حتى إذا كنا " بصرار " إذا نار تؤرث فقال يا أسلم إني أرى هؤلاء ركباً قصر بهم الليل والبرد انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم فإذا امرأة معها صبيان لها وقدر منصوبة على النار وصبيانها يتضاغون فقال عمر السلام عليكم يا أصحاب الضوء وكره أن يقول يا أصحاب النار قالت وعليك السلام قال أأدنو قالت أدن بخير أو دع فدنا فقال ما بالكم قالت قصر بن الليل والبرد قال فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون قالت الجوع قال وأي شيء في هذه القدر قالت ماء أسكتهم به حتى يناموا الله بيننا وبين عمر قال أي رحمك الله ما يدري عمر بكم قالت يتولى أمرنا ويغفل عنا فأقبل علي فقال انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق فأخرج عدلا فيه كبة شحم فقال احمله علي فقلت أنا أحمله عنك قال احمله علي مرتين أو ثلاثا كل ذلك أقول أنا أحمله عنك فقال لي في آخر ذلك أنت تحمل عني وزري يوم القيامة لا أم لك فحملته عليه فانطلق وانطلقت معه نهرول حتى انتهينا إليها فألقى ذلك عندها وأخرج من الدقيق شيئا فجعل يقول لها ذري علي وأنا أحرك لك وجعل ينفخ تحت القدر وكان ذا لحية عظيمة فجعلت أنظر إلى الدخان من خلل لحيته حتى أنضج وأدم القدر ثم أنزلها وقال ابغني شيئاً فأتته بصحفة فأفرغها فيها ثم جعل يقول أطعميهم وأنا أسطح لك فلم يزل حتى شبعوا ثم خلى عندها فضل ذلك وقام وقمت معه فجعلت تقول جزاك الله خيراً أنت أولى بهذا الأمر من أمير المؤمنين فيقول قولي خيراً إنك إذا جئت أمير المؤمنين وجدتني هناك إن شاء الله ثم تنحى ناحية عنها ثم استقبلها وربض مربض السبع فجعلت أقول له إن لك شأنا غير هذا وهو لا يكلمني حتى رأيت الصبية يصطرعون ويضحكون ثم ناموا وهدؤوا فقام وهو يحمد الله ثم أقبل علي فقال يا أسلم إن الجوع أسهرهم وأبكاهم فأحببت ألا أنصرف حتى أرى ما رأيت منهم ".

\* حرة واقم: هي الحرة الواقعة شرقي المدينة المنورة وهي هضبة طويلة ممتدة شرقي المدينة، فيها مجموعة تلال، وفيها أراضٍ منبسطة.

\* حتى إذا كنا بصرار: الصِرارُ: الأماكن المرتفعة لا يعلوها الماء.

\* نار تؤرث: توقد.

\* يتضاغون: التضاغي: صوت يصدر عند الشعور بألم الجوع.

7- عن قتادة قال: كان مُعَيقِيبٌ على بيت مال عمر فكسَح بيت المال يومًا فوجد فيه درهمًا، فدفَعَه إلى ابن عمر، قال مُعَيقِيبٌ: ثم انصرفت إلى بيتي، فإذا رسول عمر قد جاء يدعوني، فجِئت فإذا الدرهم في يده فقال: " ويحك يا مُعَيقيب! أوجدت عليَّ في نفسك سببًا؟ أَوَمالي ومالك؟ فقلت: وما ذاك؟ قال: أردت أنْ تُخاصِمني أمَّةُ محمد - صلَّى الله عليه وسلَّم - في هذا الدرهم يوم القيامة.

8- قال نافع مولى ابن عمر رضي الله عنهم: " طاف ابن عمر سبعًا وصلَّى ركعتين، فقال له رجل مِن قريش: ما أسرع ما طفت وصلَّيت يا أبا عبد الرَّحمن. فقال ابن عمر: أنتم أكثر منَّا طوافًا وصيامًا، ونحن خير منكم بصدقِ الحديث، وأداء الأمَانَة وإنجاز الوعد ".

9- جاء في عيون الأخبار لابن قتيبة: عن ابن أبي نجيح رحمه الله قال: " لما أُتِي عمر رضي الله عنه بتاج كسرى وسواريه جعل يُقلِّبه بعود في يده ويقول: والله إنَّ الذي أدَّى إلينا هذا لأمين. فقال رجل: يا أمير المؤمنين أنت أمين الله يؤدُّون إليك ما أدَّيت إلى الله فإذا رتعت رتعوا. قال: صدقت ".

10- جاء في أسد الغابة لابن الأثير رحمه الله: عن نافعٍ مولى ابنِ عمر رضِي الله عنه قال: " خرج عبدُالله بن عمر رضِي الله عنهما في بعض نواحي المدينة، ومعه أصحابٌ لهُ، ووضَعُوا السفرة لَهُ، فمَرَّ بهم راعي غنمٍ، فسلَّم، فقال ابن عمر: هَلُمَّ يا راعٍ فأصِبْ من هذه السفرة، فقال له: إنِّي صائم، فقال ابن عمر: أتصومُ في مثل هذا اليوم الحارِّ الشديد سمومُه وأنت في هذه الحال ترعى الغنم؟! فقال: والله إنِّي أبادر أيامي الخالية، فقال لهُ ابن عمر وهو يريد أنْ يختبر ورعه - وأمانته -: فهل لك أنْ تبيعنا شاةً من غنمك هذه فنُعطِيَك ثمنها ونُعطِيَك من لحمِها ما تفطر عليه؟ قال: إنها ليست لي بغنمٍ، إنها غنمُ سيدي، فقال له ابنُ عمر: فما يفعلُ سيدك إذا فقَدَها؟ فولَّى الراعي عنه، وهو يرفعُ أصبعَه إلى السَّماء، وهو يقول: فأين الله؟ قال: فجعل ابن عمر يُردِّدُ قولَ الراعي، يقول: قال الراعي: أين الله؟ قال: فلمَّا قدم المدينة بعَث إلى مولاه، فاشترى منه الغنم والراعي، فأعتَقَ الراعي ووهَبَ له الغنم ".

11- جاء في تاريخ الطبري: " كان أمير المؤمنين عثمان بن عفان من أشد الناس حرصاً على المال العام وكان دائماً يتعهد عماله بالتوجيه والنصح حيث جاء في أول كتاب منها: " أما بعد فإن الله خلق الخلق فلا يقبل إلا الحق، خذوا الحق، وأعطوا الحق به والأمانة الأمانة، قوموا عليها، لا تكونوا أول من يسلبها، فتكونوا شركاء من بعدكم إلى ما اكتسبتم، والوفاء الوفاء، لا تظلموا اليتيم ولا المعاهد فإن الله خصم لمن ظلمهم ".

12 - قالت فاطمة بنت عبدالملك زوجة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم: " دخلتُ عليه وهو في مصلاه ودُموعه تجري على لحيته، فقلت: أحَدَثَ شيء؟ فقال: إنِّي تقلدتُ أَمْرَ أُمَّةِ محمدٍ - صلَّى الله عليه وسلَّم - فتفكَّرت في الفقير الجائع، والمريض الضائع، والغازي، والمظلوم المقهور، والغريب الأسير، والشيخ الكبير، وذي العِيال والمال القليل، وأشْباههم في أقطار الأرض، فعلمت أنَّ ربي سيَسألُني عنهم يوم القيامة، وأنَّ خَصمي دُونهم محمدٌ - صلَّى الله عليه وسلَّم - إلى الله تعالى، فخشيت ألا تثبت حُجَّتي عند الخصومة، فرحمت نفسي فبكيت ".

13- كان المبارك عبدًا رقيقًا يشتغلُ أجيرًا عند صاحب بستان، وفي ذات يومٍ خرَج صاحبُ البستان مع أصحابٍ له إلى البستان وقال للمُبارك: ائتِنا برمَّان حلو، فقطف المبارك رمانات ثم قدَّمَها إليهم، فإذا هي حامضةٌ، فقال صاحب البستان: أنت ما تعرف الحلو من الحامض؟ قال المبارك: لم تأذَنْ لي أنْ آكُل حتى أعرف الحلو من الحامض، فقال له: أنت من كذا وكذا سنة تحرسُ البستان وتقول هذا! وظَنَّ أنَّه يخدعه، فسأل الجيران، فقالوا: ما أكَل رمانة واحدة.

- سُرَّ صاحب البستان من المبارك وما كان منه إلا أن كافئه وزوجه ابنته وأنجب منها عبدالله بن المبارك الذي صار من علماء المسلمين وأئمتهم.

14- جاء في سير أعلام النبلاء: قال أبو المظفَّر سِبط ابن الجوزي: " حكى ابن عقيل عن نفسه قال: حججت، فالتقطت عقْدَ لؤلؤٍ في خَيْطٍ أحمرَ، فإذا شيخ أعمى ينشده، ويبذل لملتقطه مائة دينار، فرددته عليه، فقال خُذِ الدنانير، فامتنعتُ، وخرجت إلى الشام، وزُرْتُ القدسَ وقصدت بغداد، فأويت بحلب إلى مسجد وأنا بردان جائع، فقدَّموني فصلَّيْتُ بهم، فأطعَموني، وكان أوَّل رمضان، فقالوا: إمامُنا تُوفِّي فصَلِّ بنا هذا الشهر، ففعلتُ، فقالوا: لإمامنا بنتٌ، فزُوِّجتُ بها، فأقمتُ معها سنةً، وأولدتها ولدًا ذكرًا، فمرِضَتْ في نِفاسها، فتأمَّلتُها يومًا فإذا في عُنُقِها العقدُ بعينه بخيطِه الأحمر، فقلتُ لها: لهذا قصة، وحكيت لها، فبكَتْ، وقالت: أنت هو، والله لقد كان أبي يبكي، ويقول: اللهمَّ أرزق بنتي مثل الذي ردَّ العقْدَ عليَّ، وقد استَجاب الله منه، ثم ماتت، فأخذت العقد والميراث، وعُدْت إلى بغداد ".

- هذه كما ذكرنا مجرد أمثلة فقط إنما حياة الصحابة والتابعين بها من المواقف في هذا الجانب أكثر من أن تُحصى.

- خامساً: أقوال في منظومة الأمانة في الإسلام: لعظم صفة الأمانة لم تخلوا الأدبيات الإسلامية من الأقوال والحكم والمأثورات التي وإن دلت على شيء فإنما تدل على انشغال هذه الأمة بهذه التبعة العظيمة، وحرصها على هذه الصفة.

1- قال أبو بكر الصِّديق رضي الله عنه: " أصدق الصِّدق الأمَانَة، وأكذب الكذب الخيانة ".

- وقال أيضاً: " أكيس الكيس التقوى، وأحمق الحمق الفجور، وأصدق الصدق الأمانة، وأكذب الكذب الخيانة ".

2- قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " لا يعجبكم من الرجل طنطنته، ولكن من أدى الأمانة وكف عن أعراض الناس، فهو الرجل ".

3- قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: " من ضيع الأمانة ورضي بالخيانة فقد تبرأ من الديانة ".

- وقال أيضاً: " أداء الأمانة مفتاح الرزق ".

4- قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: " لم يرخِّص الله لمعسر ولا لموسر أن يمسك الأمَانَة ".

5- قال أُبَيِّ بن كعبٍ رضِي الله عنه: " من الأمانة أنَّ المرأة اؤتمنت على فَرْجِها ".

6 - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " أوَّل ما يرفع مِن هذه الأمَّة الحياء والأمَانَة، فسلوها الله".

7- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: " القتل في سبيل الله كفَّارة كلِّ ذنب إلَّا الأمَانَة، وإنَّ الأمَانَة الصَّلاة والزَّكاة والغسل مِن الجنابة والكيل والميزان والحديث، وأعظم مِن ذلك الودائع ".

8- قال الإمام الشَّافعي رحمه الله: " آلات الرِّياسة خمس: صِدق اللَّهجة، وكتمان السِّرِّ، والوفاء بالعهد، وابتداء النَّصيحة، وأداء الأمَانَة ".

9- - قال الشيخ محمد الخضر حسين رحمه الله: " علم بغير أمانة شر من الجهل، وذكاء لا يصاحبه صدق اللهجة نكبة على العقل ".

10 - قال سيد قطب رحمه الله: " إن الإسلام يكره الخيانة، ويحتقر الخائنين الذين ينقضون العهود، ومن ثم لا يحب للمسلمين أن يخونوا أمانة العهد في سبيل غاية مهما تكن شريفة.. إن النفس الإنسانية وحدة لا تتجزأ، ومتى استحلت لنفسها وسيلة خسيسة، فلا يمكن أن تظل محافظة على غاية شريفة.. وليس مُسلماً من يبرر الوسيلة بالغاية، فهذا المبدأ غريب على الحس الإسلامي والحساسية الإسلامية، لأنه لا انفصال في تكوين النفس البشرية وعالمها بين الوسائل والغايات.. إن الشط الممرع لا يغري المسلم بخوض بركة من الوحل، فإن الشط الممرع لابد أن تلوثه الأقدام الملوثة في النهاية.. من أجل هذا كله يكره الله الخائنين ويكره الله الخيانة ". ( مُمرع: خِصب وكثير العُشب ).

11- قال كعب المزني: أرعَى الأمَانَةَ لا أخونُ أمانتي إنَّ الخؤونَ على الطريقِ الأنكبِ.

12 - وقال المعري: يخونُك مَن أدَّى إليك أمانةً فلم ترعَه يومًا بقولٍ ولا فعلِ.

فأَحْسِنْ إلى مَن شئتَ في الأرضِ أو أسئْ فإنَّك تجزي حذوك النَّعل بالنَّعلِ.

- وختاماً: لنا أن نتخيل مُجتمعاً ضُيِّعت فيه الأمانة فسنجد أن الموازين قد اختلت، والحدود قد عُطلت، والحرمات قد انتهكت، والقيم قد دِيْسَت، والحقوق قد أهدرت، والحريات قد قيدت، والأسرار قد أُفشيت، والأموال قد نُهبت، والعهود قد نكثت، والدماء قد أُبيحت، والأعراض قد هُتكت، والأمن قد زال، والأوطان قد بيعت، والعلوم قد كُتِمت، والظلم قاد ساد، والباطل قد انتفش، والنور قد خفت، والظلام قد عم، والبلاء قد طم، والبركة قد مُحقت.

- وعندها ستتنكر الأرض لمن عليها وستضيق بهم ذرعا، ولن يكون هناك مجتمعاً يصلح للعيش فيه، ولن تروق الحياة لكائن عليها، وحينها ننتظر الساعة، والساعة أدهى وأمر.

- اللهُمَّ اقسِم لنا من خشْيتك ما يَحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتِك ما تبلِّغُنا به جنَّتك، ومن اليقين ما تهوِّن به عليْنا مصيبات الدّنيا، ومتِّعْنا بأسماعنا وأبصارنا وقوَّتنا ما أحييْتَنا، واجعله الوارِث منَّا، واجعل ثأْرَنا على مَن ظلَمنا، وانصُرْنا على مَن عادانا، ولا تجعل مُصيبتَنا في دينِنا، ولا تجعلِ الدُّنيا أكبرَ همِّنا ولا مبْلغ عِلْمِنا، ولا تسلِّطْ عليْنا مَن لا يرحمُنا.

## الثمرة الثانية: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

- " لو كان للإسلام رُكناً سادساً لكان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " هكذا قال بعض العلماء.

\* ولما لا والقيام بذلك هو أمر من الله تعالى واجب الطاعة والامتثال والتنفيذ كما يحب ربنا ويرضى.

\* ولما لا ورسالة الإسلام كلها قائمة على الأمر والنهي.

\* ولما لا وأمة الإسلام لم تنل خيريتها إلا بقيامها بهذا الأمر.

\* ولما لا والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو تحلية بكل ماهو نافع ومفيد وتخلية عن كل ماهو مُفسد وضار.

\* ولما لا والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يغرس كل فضيلة وينتزع كل رذيلة.

\* ولما لا والقائم بهذا الأمر من الموقعين عن رب العالمين بين الخلق.

\* ولما لا والقائم بهذا الأمر هو رسول في قومه يقوم بما قام به الأنبياء.

\* ولما لا وممارسة هذا الأمر تحفظ للأمة مكانتها وهيبتها وهويتها.

\* ولما لا والخير والشر في سِجال إلى يوم القيامة.

\* ولما لا والمنكر له رُعاة يُزينونه ويغذونه حتى قسى القلب، وجمدت العين، وتبلد الإحساس، وزُكِمت الأنوف، وألفته النفوس.

\* ولما لا وأن الأمة إذا تخلت عن هذا الواجب فقدت خيريتها وديست كرامتها وانتهكت حريتها وعلا فجارُها أبرارها وساد الأمة أراذلها.

\* ولما لا والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيه حفظ لمقاصد الشريعة الخمسة ( الدين - النفس - العقل - النسل - المال ).

أولاً: أمة ليست كباقي الأمم: لقد جعل الله تعالى أمة الإسلام هي أمة الوسطية والاعتدال في كل أمورها ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا إفراط ولا تفريط، ولا تهويل ولا تهوين، ولا عنف ولا تسيب، بل وسطية تتمشى مع الفطرة السوية التي فطر الله الناس عليها.

1- قال تعالى: " وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً.... " ( البقرة من الآية 143 ).

- يقول الإمام ابن جرير - رحمه الله - في تفسير الآية: وأرى أنَّ الله - تعالى ذِكرُه - إنما وصفهم بأنهم وسطٌ لتوسُّطهم في الدِّين؛ فلا هم أهل غلوٍّ فيه غلوَّ النصارى الذين غلَوْا في الترهُّب وقولهم في عيسى ما قالوا فيه؛ لأنهم قالوا: إنَّه ابن الله، وجعلوه إلهًا وثالث ثلاثة، ولا هم أهل تقصيرٍ فيه تقصيرَ اليهود الذين بدَّلوا كتابَ الله، وقتلوا أنبياءَهم، وكذَبوا على ربهم وكفروا به، ولكنَّهم أهل توسُّط واعتدال فيه فوصفَهُم الله بذلك؛ إذ كان أحبُّ الأمور إلى الله أوسطها ".

- جاء في " تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان " للشيخ السعدي " ذكر في هذه الآية السبب المُوجب لهداية هذه الأمة مُطلقاً بجميع أنواع الهداية، ومنة الله عليها فقال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي: عدلا خيارا، وما عدا الوسط، فأطراف داخلة تحت الخطر، فجعل الله هذه الأمة، وسطا في كل أمور الدين، وسطا في الأنبياء، بين من غلا فيهم، كالنصارى، وبين من جفاهم، كاليهود، بأن آمنوا بهم كلهم على الوجه اللائق بذلك، ووسطا في الشريعة، لا تشديدات اليهود وآصارهم، ولا تهاون النصارى. وفي باب الطهارة والمطاعم، لا كاليهود الذين لا تصح لهم صلاة إلا في بيعهم وكنائسهم، ولا يطهرهم الماء من النجاسات، وقد حرمت عليهم الطيبات، عقوبة لهم، ولا كالنصارى الذين لا ينجسون شيئا، ولا يحرمون شيئا، بل أباحوا ما دب ودرج. بل طهارتهم أكمل طهارة وأتمها، وأباح الله لهم الطيبات من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح، وحرم عليهم الخبائث من ذلك، فلهذه الأمة من الدين أكمله، ومن الأخلاق أجلها، ومن الأعمال أفضلها. ووهبهم الله من العلم والحلم، والعدل والإحسان، ما لم يهبه لأمة سواهم، فلذلك كانوا ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ [كاملين] أ ه.

2- قال تعالى: " إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ {90} " ( النحل 90 ).

أخرج البخاري في " الأدب المفرد " من طريق أبي الضحى قال " قال شتير بن شكل لمسروق: حدث يا أبا عائشة وأصدقك. قال: هل سمعت عبد الله بن مسعود يقول: " ما في القرآن آية أجمع لحلال وحرام وأمر ونهي من هذه الآية "إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى"؟ قال نعم " وسنده صحيح.

- من الملاحظ أن الآية ورد فيها تفصيلاً للمعروف الذي أمرنا الله تعالى بأن نمارسه ونأمر به وندعوا إليه، وكذلك بها تفصيلاً للمنكر الذي نهانا الله تعالى عن إتيانه وأمرنا أن ننهى عنه ونحذر منه.

\* المعروف: كل ما عرفه الشرع وأقره من العبادات القولية والفعلية، الظاهرة، والباطنة.

\* والمنكر: كل ما أنكره الشرع ومنعه من المعاصي القولية والفعلية، الظاهرة، والباطنة.

- ومن الملاحظ حذف المفعول في قوله تعالى ( إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ) وذلك للدلالة على العموم، ليشمل كل مُخاطب دون استثناء لأحد فالكل مَعْنِي بالخطاب حسب عِلمه وحسب ما خوَّله الله تعالى به. وكذلك للتركيز على الفعل والفاعل، وعدم الانشغال بالمفعول.

- ومن الملاحظ أيضاً أن الأمر جاء بصيغة المضارع للاستمرارية في كل زمان ومكان. فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قائم إلى قيام الساعة.

- ومن الملاحظ كذلك تقديم "العدل" على "الإحسان"؛ لأن "العدل" كله واجب، بينما "الإحسان" واجب ومندوب، والواجب أولى.

\* ولأهمية الأمر بالمعروف نجد أن كلمة (المعروف) قد وردت في القرآن الكريم 21 مرة " بصيغة المعرفة " وهو ( المعروف ) الذي أقره الشرع وليس ما تعارف عليه الناس، فقد يتعارف الناس على معروف لا يقره الشرع. كما وردت كلمة ( معروف ) 18 مرة " بصيغة النكرة " لتتوافق مع المناسبة التي ذكرت فيها في ضوء ما أقره الشرع وما لم يصطدم بقاعدة شرعية.

\* ولأهمية النهي عن المنكر نجد أن كلمة ( المنكر ) قد وردت في القرآن الكريم 14 مرة " بصيغة المعرفة " وهو ( المنكر ) الذي حدده الشرع وليس ما تعارف الناس على نكرانه فقد يتعارف الناس على منكر ما ولم ينكره الشرع.

\* كما وردت كلمة ( منكر ) 8 مرات " بصيغة النكرة " بمعني ( الجهل بالشيء - الكراهة - الجحود ).

1- قال تعالى: " وَجَاء إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ {58} " ( يوسف 58 ).

2- قال تعالى: " فَلَمَّا جَاء آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ {61} قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ {62} " (الحجر 61 - 62).

3- قال تعالى: " أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ {69} " ( المؤمنون 69 ).

4- قال تعالى: " هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ {24} إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ {25} " ( الذاريات 24 - 25 ).

5- قال تعالى: " إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ {22} " ( النحل 22 ).

6- قال تعالى: " وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ {50} " ( الأنبياء 50 ).

7- قال تعالى: " كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ {79} " ( المائدة 79 ).

8- قال تعالى: " الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَراً مِّنَ الْقَوْلِ وَزُوراً وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ {2} " ( المجادلة 2 ).

\* والمتتبع لآيات القرآن الكريم يجد أن الأمر بالمعروف واتباع المعروف أكثر ما ذكر كان فيما يتعلق بشئون الأسرة والعلاقة بين الزوجين وذلك لما لهذا الميثاق الغليظ من أهمية في الإسلام.

\* والمتتبع لآيات القرآن الكريم يجد أن هناك ارتباطاً بين المعروف والمنكر في 9 مواضع مختلفة. وأن الارتباط بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد جاء مع فئات خاصة اتصفت ب ( الخيرية - الرسالة - الحكمة - الإيمان - التمكين - وكذلك مع المنافقين ) وذلك لما يتطلبه هذا الأمر من جُهد جماعي مُنظم لكي يُوتي ثِماره ولكي لا تضيع الجُهود سُدَى. وللتأكيد على أن القيام بهذا الواجب بصورة جماعية أفضل من القيام به بصورة فردية وفي كل خير.

\* والمتتبع لآيات القرآن يجد أن المنكر ذكر مع ( الشيطان - الكافرين - المنافقين ).

\* والمتتبع لآيات القرآن يجد أن الفريضة المُنجية التي تحفظ صاحبها من الفحشاء والمنكر هي الصلاة.

\* والمتتبع لآيات القرآن يجد أن أهل المنكر قد نزع الله تعالى من قلوبهم الحياء فهم يأتون المنكر في نواديهم وتجمعاتهم علانية دون سِتر ولا حياء.

\* والمتتبع لآيات القرآن يجد أن الله تعالى لم يستثني أحداً من واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث اشترك فيه ( الرسل - العلماء - الملوك - الآباء - عموم المؤمنين ) ولا يخلوا إنسان من كونه واحداً من هؤلاء إذا استوفى الشروط ( الإسلام - البلوغ - العقل - القدرة - العلم بما يأمر به أو ما ينهى عنه ).

- وحتى لا يتخذ عدم كمال العلم أو عدم القيام بما يدعوا الإنسان إليه ذريعة للقعود عن واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول الإمام النووي في شرح صحيح مسلم: " قال العلماء: ولا يشترط في الآمر والناهي أن يكون كامل الحال ممتثلاً ما يأمر به، مجتنباً ما ينهى عنه، بل عليه الأمر وإن كان مُخلاً بما يأمر به، والنهي وإن كان مُتلبساً بما ينهى عنه فإنه يجب عليه شيئان، أن يأمر نفسه وينهاها، ويأمر غيره وينهاه، فإذا أخل بأحدهما كيف يباح له الإخلال بالآخر ".

- قال مالك عن ربيعة: سمعت سعيد بن جبير يقول: " لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر.

- عن قيس بن أبي حازم رضي الله عنه قال: قال أبو بكرٍ، بعد أن حمِد اللهَ وأثنَى عليه: يا أيُّها النَّاسُ، إنَّكم تقرءون هذه الآيةَ، وتضعونها على غيرِ موضعِها " عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ " وإنَّا سمِعنا النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقولُ: " إنَّ النَّاسَ إذا رأَوُا الظَّالمَ فلم يأخُذوا على يدَيْه أوشك أن يعُمَّهم اللهُ بعقابٍ ". وإنِّي سمِعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقولُ: " ما من قومٍ يُعمَلُ فيهم بالمعاصي، ثمَّ يقدِرون على أن يُغيِّروا، ثمَّ لا يُغيِّروا إلَّا يوشِكُ أن يعُمَّهم اللهُ منه بعقابٍ " (رواه أبو داود).

- جاء في تفسير القرطبي - رحمه الله -: وقال ابن المبارك قوله تعالى: ﴿ عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾ [المائدة: 105] خطاب لجميع المؤمنين، أي عليكم أهل دينكم كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ [النساء: 29] فكأنّه قال: ليأمر بعضكم بعضاً وليْنَه بعضكم بعضاً فهو دليل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يضركم ضلال المشركين والمنافقين وأهل الكتاب وهذا لأن الأمر بالمعروف يجري مع المسلمين من أهل العصيان.

- قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: " وكل بشر على وجه الأرض لا بد له من أمر ونهي، ولا بد أن يأمر وينهى، حتى لو أنه وحده لكان يأمر نفسه وينهاها إما بمعروف أو بمنكر".

- وقال ابن العربي المالكي رحمه الله: " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل في الدين، وعمد من عمدة المسلمين وخلافة رب العالمين، والمقصود الأكبر من بعث النبيين، وهو فرض على جميع الناس مثنى وفرادى بشرط القدرة عليه ".

- وقال الجَصَّاص رحمه الله: " لما ثبت وجوب فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر , وبينَّا أنه فرض على الكفاية.. وجب أن لا يختلف في لزوم فرضه البَرُّ والفاجِر لأن ترك الإنسان لبعض الفروض لا يسقط عنه فروضاً أخرى.. ألا ترى أن تركه للصلاة لا يُسقِطُ عنه فرض الصوم وسائر العبادات, فكذلك من لم يفعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غير ساقط عنه ".

- وقال العلامة الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله: فلو قُدِّر أن رجلاً يصوم النهار ويقوم الليل ويزهد في الدنيا كلها، وهو مع هذا لا يغضب الله، ولا يتمعَّر وجهه، ولا يحمر، فلا يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر، فهذا الرجل من أبغض الناس عند الله، وأقلهم ديناً، وأصحاب الكبائر أحسن عند الله منه.

- ثانياً: ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم: يحمل القرآن الكريم بين طياته وفي ثناياه منظومة متكاملة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك لما له من أهمية فالحياة كلها إما أمر وإما نهي ومن يمارس أحدهما فهو في نفس الوقت يمارس الآخر.

أ ) جعل الله تعالى خيرية هذه الأمة على باقي الأمم بسبب قيامها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:-

- قال تعالى: " كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ {110} " ( آل عمران 110 ).

\* عن معاوية بن حيدة القشيري رضي الله عنه أنَّهُ سمعَ النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ في قولِهِ " كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ " قال: " إنَّكم تُتمُّونَ سَبعينَ أمَّةً، أنتُمْ خَيرُها وأَكْرمُها علَى اللَّهِ " ( رواه الترمذي بإسناد حسن ).

\* قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " من سره أن يكون من هذه الأمة فليؤد شرط الله في هذه الآية ".

ب) جعل الله تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إعذارا إليه سبحانه يوم القيامة:-

- قال تعالى: " وَإِذَ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ {164} فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ {165} " ( الأعراف 164 - 165 ).

\* وقد اختلف المفسرون في الفرقة الساكتة هل نجت أم هلكت؟

- قال الإمام القرطبي - رحمه الله - في " الجامع لأحكام القرآن: إن الطائفة التي لم تنه ولم تعص هلكت مع العاصية عقوبة على ترك النهي قاله ابن عباس وقال أيضاً: ما أدري ما فعل الله بهم. وهو الظاهر من الآية. قال عكرمة: قلت لابن عباس لم قلت ما أدري ما فعل الله بهم؟! ألا ترى أنهم قد كرهوا ما هم عليه وخالفوهم فقالوا لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللّهُ مُهْلِكُهُمْ فلم أزل به حتى عرفته أنهم نجوا فكساني حلة.

- قال سيد قطب - رحمه الله - في تفسيره: فلم تعد هناك جدوى من الوعظ لهم، ولم تعد هناك جدوى لتحذيرهم‏.‏ بعدما كتب الله عليهم الهلاك أو العذاب الشديد؛ بما اقترفوه من انتهاك لحرمات الله‏.‏

‏{‏ قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ‏}‏‏.‏‏.‏

فهو واجب نؤديه‏:‏ واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتخويف من انتهاك الحرمات، لنبلغ إلى الله عذرنا، ويعلم أن قد أدينا واجبنا‏.‏ ثم لعل النصح يؤثر في تلك القلوب العاصية فيثير فيها وجدان التقوى‏.‏

وهكذا انقسم سكان الحاضرة إلى ثلاث فرق‏.‏‏.‏ أو ثلاث أمم‏.‏‏.‏ فالأمة في التعريف الإسلامي هي مجموعة الناس التي تدين بعقيدة واحدة وتصور واحد وتدين لقيادة واحدة، وليست كما هي في المفهوم الجاهلي القديم أو الحديث، مجموعة الناس التي تسكن في إقليم واحد من الأرض وتحكمها دولة واحدة‏!‏ فهذا مفهوم لا يعرفه الإسلام، إنما هي من مصطلحات الجاهلية القديمة أو الحديثة‏!‏

وقد انقسم سكان القرية الواحدة إلى ثلاث أمم‏:‏ أمة عاصية مُحتالة‏.‏ وأمة تقف في وجه المعصية والاحتيال وقفة إيجابية بالإنكار والتوجيه والنصيحة‏.‏ وأمة تدع المنكر وأهله، وتقف موقف الإنكار السلبي ولا تدفعه بعمل إيجابي‏.‏‏.‏ وهي طرائق متعددة من التصور والحركة، تجعل الفرق الثلاث أمماً ثلاثاً‏!‏

فلما لم يُجد النصح، ولم تنفع العظة، وسدر السادرون في غيهم، حقت كلمة الله، وتحققت نذره‏.‏ فإذا الذين كانوا ينهون عن السوء في نجوة من السوء‏.‏ وإذا الأمة العاصية يحل بها العذاب الشديد الذي سيأتي بيانه‏.‏ فأما الفرقة الثالثة- أو الأمة الثالثة- فقد سكت النص عنها‏.‏‏.‏ ربما تهوينا لشأنها- وإن كانت لم تؤخذ بالعذاب- إذ أنها قعدت عن الإنكار الإيجابي، ووقفت عند حدود الإنكار السلبي‏.‏ فاستحقت الإهمال وإن لم تستحق العذاب.

ج ) الأمم السابقة ليست في المنكر سواء فلقد كانت منهم فئة تأمر وتنهي:-

- قال تعالى: " لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ {113} يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ {114} " ( آل عمران 114 ).

د ) من واجب الآباء تنشئة الأبناء على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:-

- قال تعالى: " يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ {17} " ( لقمان 17 ).

ه ) أمر الله تعالى جميع الأمة أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر كل فرد بحسبه:-

- قال تعالى: " وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ {104} " ( آل عمران 104 ).

- جاء في تفسير بن كثير - رحمه الله -: والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة مُتصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه، كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال، قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان "، وفي رواية: " وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل ". وروى الإمام أحمد عن حذيفة بن اليمان أن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال: " والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن اللّه أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم " ( خرجه أحمد والترمذي وابن ماجة ).

و ) اتباع خطوات الشيطان من الأمور التي تجعل الإنسان ينخرط في المنكر ولا يستجيب للمعروف:-

1- قال تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ {168} إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاء وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ {169}‏ " ( البقرة 168 - 169 ).

2- قال تعالى: " الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ {268} " ( البقرة 268 ).

3- قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ {21} " ( النور 21 ).

ز ) توعد الله تعالى من لا يستجب للأنبياء ولا لمن يأمرهم وينهاهم بحبوط العمل وبالعذاب الأليم:-

1- قال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الِّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ {21} أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ {22}‏ " ( آل عمران 21 – 22 ).

2- قال تعالى: " فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ {166} " ( الأعراف 166 ).

3- قال تعالى: " فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ {165} " ( الأعراف 165 ).

4- قال تعالى: " وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ {72}‏ " ( الحج 72 ).

ح ) جعل الله تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سُنة ماضية لدرء الفساد:-

1- قال تعالى: "..... وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ {251} " ( البقرة من الآية 251 ).

2- قال تعالى: "...... وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ {40} " ( الحج من الآية 40 ).

ط ) بين الله تعالى أن الأمر بالمنكر واتباعه من صفات المنافقين:-

- قال تعالى: " الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ {67} " ( التوبة 67 ).

- قال سيد قطب - رحمه الله - في تفسيره: المنافقون والمنافقات من طينة واحدة، وطبيعة واحدة‏.‏ المنافقون في كل زمان وفي كل مكان‏.‏ تختلف أفعالهم وأقوالهم، ولكنها ترجع إلى طبع واحد، وتنبع من مَعين واحد‏.‏ سوء الطوية ولؤم السريرة، والغمز والدس، والضعف عن المواجهة، والجبن عن المصارحة‏.‏ تلك سماتهم الأصلية‏.‏ أما سلوكهم فهو الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، والبخل بالمال إلا أن يبذلوه رئاء الناس‏.‏ وهم حين يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف يستخْفُون بهما، ويفعلون ذلك دساً وهمساً، وغمزاً ولمزاً، لأنهم لا يجرؤون على الجهر إلا حين يأمنون‏.‏ إنهم ‏{‏ نَسُواْ اللّهَ ‏}‏ فلا يحسبون إلا حساب الناس وحساب المصلحة، ولا يخشون إلا الأقوياء من الناس يذلون لهم ويدارونهم ‏{‏ فَنَسِيَهُمْ ‏}‏ الله فلا وزن لهم ولا اعتبار‏.‏ وإنهم لكذلك في الدنيا بين الناس، وإنهم لكذلك في الآخرة عند الله‏.‏ وما يحسب الناس حساباً إلا للرجال الأقوياء الصرحاء، الذين يجهرون بآرائهم، ويوقفون خلف عقائدهم، ويواجهون الدنيا بأفكارهم، ويحاربون أو يسالمون في وضح النهار‏.‏ أولئك ينسون الناس ليذكروا إله الناس، فلا يخشون في الحق لومة لائم، وأولئك يذكرهم الله فيذكرهم الناس ويحسبون حسباهم‏.‏

ي ) بين الله تعالى أن الأمر بالمعروف واتباعه من صفات المؤمنين:-

- قال تعالى: " وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ {71} " ( التوبة 71 ).

- قال الإمام القرطبي رحمه الله: قوله تعالى " بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ " أي قلوبهم مُتحده في التواد والتحاب والتعاطف وقال في المنافقين " بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ " لان قلوبهم مختلفه ولكن يضم بعضهم الى بعض في الحكم.

- قال بن عاشور رحمه الله: وعبر في جانب المومنين والمومنات بانهم أولياء بعض للإشارة إلى أن اللحمة الجامعة بينهم هي ولاية الإسلام فهم فيها على السواء ليس واحد منهم مُقلداً للآخر ولا تابعاً له على غير بصيرة لما في معنى الولاية من الإشعار بالإخلاص والتناصر بخلاف المنافقين فكان بعضهم ناشىء من بعض في مذامهم.....

ك ) بين الله تعالى أنه من مهمة الرسل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:-

1- قال تعالى: " الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ {157} " ( الأعراف 157 ).

2- قال تعالى: " وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ {28} أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ {29} " ( العنكبوت 28 - 29 ).

ل ) بين الله تعالى أن انتشار المنكر سبباً من أسباب هلاك الأمم:-

- قال تعالى: " وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً {16} " ( الإسراء 16 ).

م ) وضع الله تعالى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الضوابط ما تضمن أن يؤتيا ثمارهما:-

- قال تعالى: " ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ {125} " ( النحل 125 ).

- فمن الحكمة العمل بالقاعدة الشرعية التي تقر أن: " درء المفسدة مقدم على جلب المنفعة "، ومعناه ترك إنكار المنكر خشية الوقوع في أنكر منه. فمن المعروف أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يثبت عنه أنه كسر شيئاً من الأصنام بمكة قبل الهجرة.. مع أنها أعظم المنكرات، وهو يمر بها وهي موجودة حول الكعبة لعلمه صلى الله عليه وسلم أنه لو فعل ذلك وقومه على جاهليتهم لأثار حفيظتهم ولأعطى لهم المبرر ليُعمِلوا سيوفهم في رقاب المسلمين.

- يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - في كتاب " إعلام موقعين عن رب العالمين ": " فإنكار المنكر أربع درجات ; الأولى: أن يزول ويخلفه ضده، الثانية: أن يقل وإن لم يزل بجملته، الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله، الرابعة: أن يخلفه ما هو شر منه; فالدرجتان الأوليان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرمة.

- ويقول أيضاً: "..... وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه يقول: مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر، فأنكر عليهم من كان معي، فأنكرت عليه، وقلت له: إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال فدعهم ".

- ومن الحكمة أن يقوم المسلم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على بيِّنة وبصيرة. يقول شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله: " فلا بد من هذه الثلاثة: العلم والرفق والصبر؛ العلم قبل الأمر والنهي، والرفق معه، والصبر بعده " فقبل أن تأمر وتنهى لابد أن تعلم أن هذا منكر أو معروف، وتنظر إلى المصلحة والمفسدة، وحال المأمور والمنهي.

وبعد ذلك لابد من الرفق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد فقد الرفق عند كثير من الناس، لا لضعف في إيمانهم ولا لعدم حرصهم أو غيرتهم؛ بل لأن الإنسان يريد أن يوصل الحق إلى الناس بأسرع وقت دون أن يتحمل الرد والمجابهة، ومن قوته في الحق يظن أنه لابد أن يكون عنيفاً متعسفاً في إنكار المنكر، مع أن عنفه هذا لا يليق؛ لأن النفوس البشرية كالزجاج؛ كسرها لا يجبر، فلو أسأت إلى إنسان فلربما حمل عليك الدهر كله، حتى أخوك -الذي بينك وبينه رابطة الإيمان والمحبة- إذا نصحته بعنف فربما فرق الشيطان بينكما، فما بالك بمن هو فاعل لما نهى الله عنه أو تارك لما أمر الله به؟!

فلابد من الرفق، وهذا الرفق يعبر عنه بالأسلوب الحسن، ومن الرفق عرض الحُجج بلطف وتودد، ولا يعني ذلك أن للخصم حُجة، فإن خصوم السنة كلهم حُجتهم داحضة، لكن من أجل أن تسمع ما عنده، وتحاوره كما تحاوَر الرسل مع أقوامهم، ومن ذلك ما قصه الله في مواضع كثيرة مما دار بين موسى وهارون عليهما السلام وبين الطاغية الجبار فرعون.

فلابد أن يكون الرفق مصاحباً للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، والصبر يكون بعده، فإذا ما عرضت الأمر والنهي -بعد العلم به وبحال المأمور والمنهي- على أفضل صورة محققاً الرفق مع المدعو، فبعد ذلك وطن نفسك على الصبر؛ لأنك قد تؤذى، كما قال الله لنبيه: " فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ " ( القلم 48 ) فصاحب الحوت لم يصبر، وكان يعجب كيف يقول للناس: اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، وهم يعلمون صحة رسالته وأمانته وديانته، ومع ذلك يرفضون ذلك ولا يؤمنون به، فخرج مُغاضباً، ولم يتحمل هذا الرد وهذه المجابهة، وركب في السفينة كي يبتعد عنهم.

ن ) جعل الله تعالى ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من متطلبات الحفاظ على نعمة التمكين:-

- قال تعالى: " الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ {41} " ( الحج 41 ).

س ) حذر الله تعالى من أن يعظ الإنسان غيره ثم يأتي بعكس ما يعظ به:-

- قال تعالى: " أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ {44} " ( البقرة 44 ).

ع ) نهى الله تعالى عن الاقتداء بالآباء وغيرهم في المنكر أو في أي مما يغضب الله تعالى:-

1- قال تعالى: " وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ {28} " ( الأعراف 28 ).

2- قال تعالى: " قَالُوا سَوَاء عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ {136}‏ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ {137} وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ {138} فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ {139} " ( الشعراء 139 ).

ف ) وعد الله تعالى من يقومون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالنجاة:-

- قال تعالى: " فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ {165} " ( الأعراف 165 ).

ش ) بين الله تعالى أن أهل الكفر لا يستجيبون لأمر ولا لنهي بل يتربصون بمن يأمرهم وينهاهم:-

- قال تعالى: " وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ {72}‏ " ( الحج 72 ).

ق ) نبَّه الله تعالى لضرورة الاتعاظ بمآل الظالمين من الأمم السابقة الذين طغوا وكذبوا:-

1- قال تعالى: " قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذَّبِينَ {137} هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ {138} " ( آل عمران ).

2- قال تعالى: " فَأَمَّا مَن طَغَى {37} وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا {38} فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى {39} وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى {40} فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى {41} " ( النازعات 37 – 41 ).

ر ) بين الله تعالى أن أهل الإيمان ألين قلوباً وأسرع استجابة:-

1- قال تعالى: "... ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً {2} " ( الطلاق 2 ). \* الآية هي في الحياة الزوجية بصفة خاصة وفي كل ما أمر الله تعالى بصفة عامة.

2- قال تعالى: " التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ {112} " ( التوبة 112 ).

ش ) بين الله تعالى أن الخير والفوز والثبات على الحق يكون بسبب الاستجابة للموعظة:-

- قال تعالى: ".... وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً {66} " ( النساء 66 ).

ت ) نهى الله تعالى عن التناجي إلا إذا كان في الخير:-

- قال تعالى: " لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً {114} " ( النساء 114 ).

ث ) من المعروف الذي أمر الله تعالى به وحث عليه في مواضع عديدة من القرآن الكريم هو المعروف في كل ما يتعلق بالحياة الزوجية:-

1- قال تعالى: "..... وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكُيمٌ {228} " ( البقرة من الآية 228 ).

2- قال تعالى: " فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً {2} " ( الطلاق 2 ).

خ ) بين الله تعالى أن أبسط المعروف معنوياً هو الكلمة الطيبة:-

- قال تعالى: " قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ {263} " ( البقرة 263 ).

ذ ) حث الله تعالى على المعروف حتى مع الذي لا يدرك قيمته إما ل ( سفه في عقله ) أو ل ( صغر سنه وعدم إدراكه ) فالمعروف مردوده على فاعله قبل أن يكون على من قُدِّم له:-

1- قال تعالى: " وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً {5} " ( النساء 5 ).

2- قال تعالى: " وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُواْ الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً {8} " ( النساء 8 ).

ض ) بين الله تعالى أن أولى الناس بالمعروف هم الوالدين حتى ولو كانا مشركين:-

- قال تعالى: " وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ {15} " ( لقمان 15 ).

ظ ) لو استثنى الله تعالى أحداً من الأمر بالمعروف لاستثنى أمهات المؤمنين رضي الله عنهن:-

- قال تعالى: " يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً {32} " ( الأحزاب 32 ).

غ ) كتب الله تعالى اللعنة على بني إسرائيل لأنهم كانوا لا يتناهون عن المنكر فيما بينهم:-

- قال تعالى: " لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ {78} كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ {79} " (المائدة 78 -79)

## - ثالثاً: بعض الأحاديث من السنة النبوية المُطهرة بشأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:-

1- عن أم سلمة هند بنت أبي أمية رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " صنائِعُ المعروفِ تَقِي مَصارعَ السُّوءِ، والصدَقةُ خِفْيًا تُطفِيءُ غضبَ الرَّبِّ، وصِلةُ الرَّحِمِ تَزيدُ في العُمرِ، وكلُّ معروفٍ صدقةٌ، وأهلُ المعروفِ في الدُّنيا هُم أهلُ المعروفِ في الآخِرةِ " ( صحيح الترغيب ).

2- عن أبي وائل رضي الله عنه قال: " قيل لأسامة لو أتيت فلانا فكلمته، قال: إنكم لترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم، إني أكلمه في السر، دون أن أفتح بابا لا أكون أول من فتحه، ولا أقول لرجل أن كان علي أميراً: إنه خير الناس، بعد شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالوا: وما سمعته يقول: قال: سمعته يقول: يُجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أي فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه " ( رواه البخاري ).

\* قوله: ( لو أتيت فلانا فكلمته ) هو: أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه كما في صحيح مسلم.

3- عن أبي كثير السحيمي، عن أبيه، قال: " سألت أبا ذر، قلت: دلني على عمل إذا عمل العبد به دخل الجنة، قال: سألت عن ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال: يؤمن بالله، قال: فقلت: يا رسول الله، إن مع الإيمان عملاً؟ قال: يرضخ مما رزقه الله قلت: وإن كان مُعدماً لا شيء له؟ قال: يقول معروفاً بلسانه، قال: قلت: فإن كان عيياً لا يبلغ عنه لسانه؟ قال: فيعين مغلوباً قلت: فإن كان ضعيفاً لا قدرة له؟ قال: فليصنع لأخرق قلت: وإن كان أخرق؟ قال: فالتفت إلي وقال: ما تريد أن تدع في صاحبك شيئا من الخير، فليدع الناس من أذاه فقلت: يا رسول الله، إن هذه كلمة تيسير؟ فقال - صلى الله عليه وسلم -: والذي نفسي بيده، ما من عبد يعمل بخصلة منها، يريد بها ما عند الله، إلا أخذت بيده يوم القيامة، حتى تدخله الجنة " ( صحيح بن حبان ).

4- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " مَن رأى منكُم منكرًا فاستَطاعَ أن يغيِّرَهُ بيدِهِ فليغيِّرْهُ بيدِهِ فإن لَم يستطِعْ فبلسانِهِ فإن لَم يستطِعْ فبقلبِهِ وذلِكَ أضعفُ الإيمانِ " ( رواه بن ماجه ).

5- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " مَن رأى منكُم منكرًا فليُنكِرهُ بيدِهِ، ومن لم يستَطِعْ فبلسانِهِ، ومن لَم يستَطِعْ فبقلبِهِ وذلِكَ أضعفُ الإيمانِ " ( رواه الترمذي ).

6- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " منْ رأى منكرًا فغيَّره بيدِه فقد برِئ، ومن لم يستطعْ أن يغيِّرَه بيدِه فغيَّرهُ بلسانِه فقد برئَ، ومن لمْ يستطعْ أن يغيِّرَه بلسانِه فغيَّرهُ بقلبه فقد برئَ، وذلك أضعفُ الإيمانِ " ( رواه النسائي ).

7- عن ابن مسعود رَضِيِ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال رَسُول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: " إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق اللَّه ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده. فلما فعلوا ذلك ضرب اللَّه قلوب بعضهم ببعض " ثم قال: { لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، لبئس ما كانوا يفعلون؛ ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا؛ لبئس ما قدمت لهم أنفسهم } إلى قوله { فاسقون } ( المائدة 78، 79، 80، 81 ) ثم قال: " كلا والله لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً، ولتقصرنه على الحق قصراً، أو ليضربن اللَّه بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم " ( رواه أبو داود والترمذي وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ. هذا لفظ أبي داود ).

\* ولتأطرنه على الحق أطرا: أي لتردنه على الحق رداً - ولتعطفنه على الحق عطفاً.

\* ولتقصرنه على الحق قصراً: ولتلزمنه على الحق إلزاماً.

8- عن أبي موسى الأشعري عبدالله بن قيس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " علَى كلِّ مُسلِمٍ صدَقةٌ، قيل: أرأَيتَ إن لَم يَجدْ؟ قال: يعتَملُ بيديْهِ فينفَعُ نَفسَه ويتصَدَّقُ، قال قيلَ: أرأَيْتَ إن لَم يستَطِعْ؟ قال: يُعيَّنُ ذا الحاجةِ الملهوفَ قال قيلَ لهُ: أرأَيْتَ إن لَم يستَطعْ؟ قال: يأمرُ بالمعروفِ أو الخَيرِ قال: أرأَيْتَ إن لَم يفعلْ؟ قال: يُمسِكُ عن الشَّرِّ. فإنَّها صَدَقةٌ " ( رواه مسلم ).

9- عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " يُصبحُ على كلِّ سلامي من أحدِكم صدقةٌ. فكلُّ تسبيحةٍ صدقةٌ. وكلُّ تحميدةٍ صدقةٌ. وكلُّ تهليلةٍ صدقةٌ. وكلُّ تكبيرةٍ صدقةٌ. وأمرٌ بالمعروفِ صدقةٌ. ونهيٌ عن المنكرِ صدقةٌ. ويجزئُ، من ذلك، ركعتان يركعُهما من الضحى " ( رواه مسلم ).

10- عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إنَّه خُلِقَ كلُّ إنسانٍ من بَني آدمَ على ستِّينَ وثلاثِمائةِ مِفصَلٍ. فمَن كبَّرَ اللهَ، وحَمِدَ اللهَ، وهَلَّلَ اللهَ، وسَبَّحَ اللهَ، واستَغفرَ اللهَ، وعزَلَ حَجرًا عَن طريقِ النَّاسِ، أو شَوكةً أو عَظمًا من طريقِ النَّاسِ، وأمرَ بمَعروفٍ، أو نَهي عن منكرٍ، عدَدَ تلكَ السِّتِّينَ والثلاثمائةِ السُّلامَى. فإنَّه يَمشي يومَئذٍ وقد زَحزَحَ نفسَه عنِ النَّارِ " ( رواه مسلم ).

11- عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " تبسُّمُكَ في وجْهِ أخيكَ لَكَ صدقةٌ وأمرُكَ بالمعروفِ ونَهيُكَ عنِ المنْكرِ صدقةٌ وإرشادُكَ الرَّجلَ في أرضِ الضَّلالِ لَكَ صدقةٌ وبصرُكَ للرَّجلِ الرَّديءِ البصرِ لَكَ صدقةٌ وإماطتُكَ الحجرَ والشَّوْكَ والعظمَ عنِ الطَّريقِ لَكَ صدقةٌ وإفراغُكَ من دلوِكَ في دلوِ أخيكَ لَكَ صدقةٌ " ( رواه الترمذي ).

12- عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: " كنا جلوسًا عند عمرَ رضي الله عنه، فقال: أيُّكم يحفظ قولَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في الفتنةِ؟ قلتُ: أنا، كما قاله. قال: إنك عليه - أو عليها - لجريءٌ، قلتُ: فتنةُ الرجلِ في أهلهِ ومالهِ وولدهِ وجارهِ، تكفِّرُها الصلاةُ والصومُ والصدقةُ والأمرُ والنهيُ، قال: ليس هذا أريد، ولكنِ الفتنةُ التي تموجُ كما يموجُ البحرُ، قال: ليس عليك منها بأسٌ يا أميرَ المؤمنين، إنَّ بينك وبينها بابًا مُغلقًا، قال: أيُكسرُ أم يُفتحُ؟ قال: يُكسر، قال: إذًا لا يُغلق أبدًا، قلنا: أكان عمرُ يعلم البابَ؟ قال: نعم، كما أن دون الغدِ الليلةَ، إني حدثتُه بحديثٍ ليس بالأغاليطِ. فهبْنا أن نسأل حذيفةَ، فأمرنا مسروقًا فسأله، فقال: البابُ عمرُ " ( رواه البخاري ).

13- عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنَّ ناسًا من أصحابِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالوا للنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: يا رسولَ اللهِ! ذهب أهلُ الدُّثورِ بالأجورِ. يُصلُّون كما نصلي. ويصومون كما نصومُ. ويتصدقون بفضولِ أموالهم. قال: " أو ليس قد جعل اللهُ لكم ما تَصدَّقون؟ إنَّ بكل تسبيحةٍ صدقةٌ. وكل تكبيرةٍ صدقةٌ. وكل تحميدةٍ صدقةٌ. وكل تهليلةٍ صدقةٌ. وأمرٌ بالمعروفِ صدقةٌ. ونهيٌ عن منكرٍ صدقةٌ. وفي بضعِ أحدكم صدقةٌ ". قالوا: يا رسولَ اللهِ! أيأتي أحدنا شهوتَه ويكون لهُ فيها أجرٌ؟ قال: " أرأيتم لو وضعها في حرامٍ أكان عليه فيها وزرٌ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلالِ كان لهُ أجرًا " ( رواه مسلم ).

14- عن درة بنت أبي لهب رضي الله عنها قالت: " قامَ رجلٌ إلى النَّبيِّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ وَهوَ علَى المنبرِ، فقالَ: يا رسولَ اللَّهِ، أيُّ النَّاسِ خَيرٌ؟ فقالَ: خَيرُ النَّاسِ أقرؤهُم وأتقاهُم للهِ، وآمرُهُم بالمعروفِ، وأنهاهُم عنِ المنكرِ، وأوصلُهُم للرَّحمِ " ( رواه أحمد ).

15- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " والذي نفسي بيده إن المعروف والمنكر خليقتان ينصبان للناس يوم القيامة. فأما المعروف فيبشر أصحابه ويعدهم الخير وأما المنكر فيقول إليكم إليكم وما يستطيعون له إلا لزوماً " ( رواه أحمد ).

16- عن قيس بن أبي حازم رضي الله عنه قال: قال أبو بكرٍ، بعد أن حمِد اللهَ وأثنَى عليه: يا أيُّها النَّاسُ، إنَّكم تقرءون هذه الآيةَ، وتضعونها على غيرِ موضعِها " عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ " وإنَّا سمِعنا النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقولُ: " إنَّ النَّاسَ إذا رأَوُا الظَّالمَ فلم يأخُذوا على يدَيْه أوشك أن يعُمَّهم اللهُ بعقابٍ ". وإنِّي سمِعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقولُ: " ما من قومٍ يُعمَلُ فيهم بالمعاصي، ثمَّ يقدِرون على أن يُغيِّروا، ثمَّ لا يُغيِّروا إلَّا يوشِكُ أن يعُمَّهم اللهُ منه بعقابٍ " ( رواه أبو داود )

17- عن ابن مسعود رَضِيِ اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: " ما من نبي بعثه اللَّه في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون. فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن؛ وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل " ( رَوَاهُ مُسْلِمٌ ).

18- عن أبي الوليد عبادة بن الصامت رَضِيِ اللَّهُ عَنْهُ قال: " بايعنا رَسُول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بَواحاً عندكم من اللَّه فيه برهان، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في اللَّه لومة لائم " ( مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ).

\* الأثرة: الاختصاص بالمشترك. أي: وأن نطيع حتى مع وجود الاستئثار، والأثَرَة تعنى: الاستحواذ على الشيء المشترك الذي يشترك الناس فيه، فإذا استحوذ عليه أحد دونهم فإن ذلك يقال له: أثرة، ويقابله الإيثار.

\* بَواحا: أي ظاهراً لا يحتمل تأويلاً.

19- عن النعمان بن بشير رَضِيِ اللَّهُ عَنْهماُ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " مثل القائم في حدود اللَّه والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم؛ فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا. فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا " ( رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ).

- القائم في حدود اللَّه: المنكِر لها القائم في دفعها وإزالتها. والمراد بالحدود: ما نهى اللَّه عنه.

20- عن أم المؤمنين أم سلمة هند بنت أبي أمية حذيفة رَضِيِ اللَّهُ عَنْها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون. فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم؛ ولكن من رضي وتابع! " قالوا: يا رَسُول اللَّهِ ألا نقاتلهم قال: " لا ما أقاموا فيكم الصلاة " ( رَوَاهُ مُسْلِمٌ ).

\* ولكن من رضي وتابع: أي من رضي بفعلهم وتابعهم فهو العاصي.

21- عن أم المؤمنين أم الحكم زينب بنت جحش رَضِيِ اللَّهُ عَنْها أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعاً يقول: " لا إله إلا اللَّه! ويل للعرب من شر قد أقترب! فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه " وحلق بأصبعيه: الإبهام والتي تليها. فقلت: يا رَسُول اللَّهِ أنهلك وفينا الصالحون قال: " نعم إذا كثر الخبث " ( مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ).

22- عن أبي سعيد الخدري رَضِيِ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إياكم والجلوسَ بالطرقاتِ. فقالوا: يا رسولَ اللهِ، ما لنا من مجالسِنا بدٌّ نتحدثُ فيها، فقال: فإذا أبيتم إلا المجلسَ، فأعطوا الطريقَ حقَّه. قالوا: وما حقُّ الطريقِ يا رسولَ اللهِ؟ قال: غضُّ البصرِ، وكفُّ الأذى، وردُّ السلامِ، والأمرُ بالمعروفِ، والنهيُ عن المنكرِ" ( رواه البخاري ).

23- عن ابن عباس رَضِيِ اللَّهُ عَنْهماُ أن رَسُول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رأى خاتماً من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه وقال: " يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده! " فقيل للرجل بعد ما ذهب رَسُول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: خذ خاتمك انتفع به. قال: لا والله لا آخذه أبداً وقد طرحه رَسُول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم! رَوَاهُ مُسْلِمٌ ).

24- عن حذيفة بن اليمان أن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال: " والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن اللّه أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم " ( رواه أحمد والترمذي وابن ماجة ).

25- عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " إنَّ من أُمَّتِي قومًا يُعطوْنَ مثلَ أجورِ أوَّلِهم، يُنكرون المنكرَ " ( السلسلة الصحيحة ).

26- عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " الإسلامُ ثمانيةُ أسهُمٍ: الإسلامُ سهمٌ، والصلاةُ سهمٌ، والزكاةُ سهمٌ، والصومُ سهمٌ، وحجُّ البيتِ سهمٌ، والأمرُ بالمعروفِ سَهمٌ، والنهيُ عن المنكرِ سهمٌ، والجهادُ في سبيل اللهِ سَهمٌ، وقد خاب من لا سهمَ له " ( صحيح الترغيب ).

27- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: " بينما نحن في المسجدِ مع رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم إذ جاء أعرابيٌّ. فقام يبولُ في المسجدِ. فقال أصحابُ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم: مَهْ مَهْ. قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم لا تُزْرِمُوه. دَعُوهُ فتركوه حتى بال. ثم إن رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم دعاه فقال له إن هذه المساجدَ لا تَصْلُحُ لشيءٍ من هذا البولِ ولا القَذَرِ. إنما هي لِذِكرِ اللهِ عز وجل، والصلاةِ، وقِراءةِ القرآنِ، أو كما قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم. قال فأمر رجلًا من القومِ، فجاء بدَلْوٍ من ماءٍ، فشَنَّهُ عليه " ( رواه مسلم ).

28- عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: " إنَّ فتًى شابًّا أتى النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقال: يا رسولَ اللهِ ائذنْ لي بالزِّنا فأقبل القومُ عليه فزجَروه وقالوا: مَهْ مَهْ فقال: ادنُهْ فدنا منه قريبًا قال: فجلس قال: أَتُحبُّه لِأُمِّكَ؟ قال: لا واللهِ جعلني اللهُ فداءَك قال: ولا الناسُ يُحبونَه لأُمهاتِهم قال: أفتُحبُّه لابنتِك قال: لا واللهِ يا رسولَ اللهِ جعلني اللهُ فداءَك قال: ولا الناسُ يُحبونَه لبناتِهم قال: أفتُحبُّه لأُختِك قال: لا واللهِ جعلني اللهُ فداءَك قال: ولا الناسُ يُحبونَه لأَخَواتِهم قال: أَفتُحبُّه لعمَّتِك قال: لا واللهِ جعلني اللهُ فداءَكَ قال: ولا النَّاسُ يُحبُّونَه لعمَّاتِهم قال: أفتُحبُّه لخالتِك قال: لا واللهِ جعلني اللهُ فداءَكَ قال: ولا النَّاسُ يحبونَه لخالاتِهم قال: فوضع يدَه عليه وقال: اللهمَّ اغفرْ ذنبَه وطهِّرْ قلبَه وحصِّنْ فرْجَهُ فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفتُ إلى شيءٍ " ( السلسلة الصحيحة ).

29- عن بريدة بن الحصيب و أبو سعيد الخدري وأبو سفيان رضي الله عنهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " كيفَ يُقَدِّسُ اللهُ أُمَّةً لا يَأْخَذُ ضعيفُها حقَّهُ من قَوِيِّها، وهو غيرُ متَعْتَعٍ؟ " (صحيح الجامع).

30- عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " مُروا بالمعروفِ، وانهوا عَنِ المنكرِ، قبلَ أن تَدعوا فلا يُستجابَ لَكُم " ( رواه بن ماجه ).

31- عن أبي سعيد الخدري رَضِيِ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إنَّ اللَّهَ لَيسألُ العبدَ يومَ القيامَةِ حتَّى يقولَ ما منعَكَ إذ رأيتَ المنكرَ أن تُنْكِرَهُ فإذا لقَّنَ اللَّهُ عبدًا حجَّتَهُ قالَ يا ربِّ رَجوتُكَ وفَرِقْتُ منَ النَّاسِ " ( رواه بن ماجه ).

32- عن أبي سعيد الخدري رَضِيِ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صلى الله عليه وسلم قامَ خطيبًا فَكانَ فيما قالَ: " ألا لا يَمنعنَّ رجلًا هيبةُ النَّاسِ أن يقولَ بحقٍّ إذا علِمَهُ " قالَ: " فبَكَى أبو سعيدٍ وقالَ قد واللَّهِ رأينا أشياءَ فَهِبنا " ( رواه بن ماجه ).

- وختاماً: بعد أن طوَّفنا حول موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكي نؤكد على وجوبه وأهميته وحُسن القيام به، ولكي نحذر من مَغبة القعود عنه أو التقاعس فيه

- لابد وأن ندرك أن هناك إرتباطاً وثيقاً بينه وبين الإيمان وبين وجود البيئة الحاضنة له أو قوة من يقوم به.

- ولابد أن ندرك أيضاً أنه كلما زاد المنكر واستفحل خطره كلما احتاج ذلك إلى مُضاعفة الجهود وتضافرها واحتاج إلى المزيد من الحِنكة والمهارة وذلك لأن حِيل الباطل لا تنتهي ومكر أهله يجعل الحليم حيران.

- ولنعلم أنه لا سبيل لذلك سوى بقوة الإيمان وقوة القائم بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من حيث المكانة والتأثير وذلك لكي تكون النتيجة ناجحة وناجعة ولذلك قيل: " لابد للحق من قوة تحميه ".

- والمقصود بالقوة هنا هي القوة بمفهومها الشامل أي قوة الإيمان، قوة العلم، قوة الحُجَّة، قوة السلطان، قوة الإعداد، قوة التآزر والترابط بين القائمين على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكل قوة ووسيلة حث عليها الشرع بحيث لا يُفرَّغ الأمر من مضمونه ولا يخرج عن مساره فيكون زريعة يتزرع بها أهل الباطل لتشويه هذا الواجب أو للنيل ممن يقومون به.

- وإذا كان الأمر كذلك فزادنا في هذا الميدان هو:-

1- العقيدة الراسخة التي لا تتزعزع.

2- الإيمان العميق الذي لا يطرأ عليه ضعف ولا يقبل المساومة.

3- الأخوة الصادقة التي ترتقي بالفرد وتستكمل جوانب الخلل فيه.

4- العلم النافع في كل مجالات الحياة.

5- تنوع الأساليب والميادين.

6- فقه الواقع ومُراعاة الظروف والخصوصيات.

7- حُسن استغلال كل الإمكانيات المتاحة والعمل على تقوية جوانب الضعف أو الخلل.

8- البعد عن المُهاترات الفارغة والمناظرات السقيمة والجدال العقيم والأمور الخلافية.

9 - الأخذ بكل أسباب القوة التي تُعلي من قدر الحق وقدر الصادحين به والداعين إليه.

10- وصهر كل ذلك في بوتقة الفهم الدقيق الذي لا يخذل صاحبه ولا يُبدد جُهده ولا يغير وجهته.

\* تلك عشرة كاملة بها وبغيرها نستطيع أن نوفر المناخ المناسب والبيئة الحاضنة للقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لنحفظ عند ربنا خيريتنا ونصون بين الأمم هويتنا.

-----------------------------------------------------------

اللهم بصِّرنا بعواقب الأمور حتى لا يطمع فينا عدو ولا يُساء بنا صديق.

اللهم استعملنا ولا تستبدلنا واجعلنا من جندك المخلصين.

اللهم أقم للإسلام راية واجعلنا تحتها من المجاهدين.

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

## الثمرة الثالثة: العدل في الإسلام

العدل كلمة قامت عليها السماوات والأرض، ومن أجلها أرسل الله تعالى الرسل وأنزل الكتب ليعم العدل بين البشرية وفي أرجاء المعمورة. قال تعالى: " لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ... {25} " ( الحديد 25 ).

- فبالعدل يأخذ الضعيف حَقُّه، ويُنْصَفُ المظلومُ ممن ظلمه، ويصل صاحب الحقِّ إلى حَقِّه دون عناء أو مُجاهدة، ويعيش الناس سواسية في أمن وأمان واطمئنان لا فضل لأحد على غيره إلا بما فضل الله تعالى.

- وبالعدل يعيش الإنسان حياة متوازنة لا يطغى فيها جانباً على الآخر فهو يعرف حق ربه وحق نفسه وحق العباد دون إفراط أو تفريط.

- ولكي يستقيم ميزان العدل حرم الله تعالى الظلم على نفسه، وحرمه على العباد فيما بينهم، وحرم أن يظلم العبد نفسه حتى ولو كان هذا الظلم بالمغالاة في العبادة.

- قال تعالى: " إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ {44} " ( يونس 44 ).

- قال تعالى: "..... يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَينَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ {23} " ( يونس 23 ).

- قال ابن تيمية رحمه الله: " إن الشرع جاء بالعدل في كل شيء والإسراف في العبادات من الجور الذي نهى عنه الشارع، وأمر بالاقتصاد في العبادات، فالعدل في العبادات من أكبر مقاصد الشرع "

- كما قال أيضاً: " وأمور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل، وذلك أن العدل نظام كل شيء، فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بعدل لم تقم وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة ".

- قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: " أخطأ على الإسلام من قال إن دين الإسلام دين مساواة، بل دين الإسلام دين العدل، وهو الجمع بين المتساويين والتفريق بين المفترقين ".

- وقال أيضاً: " لم يأت حرف واحد في القرآن يأمر بالمساواة أبداً، إنما يأمر بالعدل ".

- يقول ابن قيم الجوزية رحمه الله: " إن الله سبحانه وتعالى أرسل رسله، وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به الأرض والسماوات، فإذا ظهرت إمارات العدل وأسفر وجهه بأي طريق كان، فثم شرع الله ودينه ".

- أولاً: معنى العدل: جاء في لسان العرب لابن منظور: العدل خلاف الجور، وهو القصد في الأمور، وما قام في النفوس أنه مستقيم، مِن عَدَلَ يَعْدِلُ فهو عادل من عُدولٍ وعَدْلٍ، يقال: عَدَلَ عليه في القضية فهو عادِلٌ. وبسط الوالي عَدْلَهُ.

- وقال ابن تيمية رحمه الله: " أصل العدل العدل في حق الله تعالى وهو عبادته وحده لا شريك له، فإن الشرك ظلم عظيم كما قال لقمان لابنه: " يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " ( لقمان 13 ).

- وعرَّفه الجاحظ قائلاً: هو استعمال الأمور في مواضعها، وأوقاتها، ووجوهها، ومقاديرها، من غير سرف، ولا تقصير، ولا تقديم، ولا تأخير.

- وجاء في الأخلاق والسير لابن حزم: العدل هو: أن تعطي من نفسك الواجب وتأخذه.

- وقال أبو حيان رحمه الله: " العدل فعل كل مفروض من عقائد وشرائع وسَيْرٍ مع الناس في أداء الأمانات، وترك الظلم والإنصاف، وإعطاء الحق ".

- وقال الجرجاني رحمه الله: " العدل الأمر المتوسط بين الإفراط والتفريط ".

ثانياً: منظومة العدل في القرآن الكريم: زخرت سور القرآن الكريم بالعديد من الآيات التي تحث على العدل في جميع جوانب الحياة وليكون مظلة تسع الجميع ولا تستثني أحداً لمنصب أو جاه أو ملة أو لون.... الخ.

أ) العدل الإلهي مُطلق وشامل إلى يوم القيامة:

- قال تعالى: " وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلِ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ {115} " ( الأنعام 115 ).

- قال الشيخ الشعراوي رحمه الله: " ونرى أن معنى ( تمت ) استوعبت كل أقضية الحياة إلى أن تقوم الساعة، فليس لأحد أن يستدرك على ما جاء في كتاب الله حُكماً من الأحكام، لأن الأحكام غطت كل الأقضية... ".

ب) العدل أمر من الله تعالى للناس جميعاً دون استثناء:

- قال تعالى: " إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ {90} " ( النحل 90 ).

- قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: " إن أجمع آية في القرآن في سورة النحل: " إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ " الآية.

- قال العلامة ابن العربي رحمه الله: " قوله: ( بالعدل ) وهو مع العَالَم، وحقيقته التوسط بين طرفي النقيض وضده الجور، وذلك أن البارئ خلق العالم مُختلفاً مُتضاداً مُزدوجاً، وجعل العدل في طراد الأمور بين ذلك على أن يكون الأمر جارياً فيه على الوسط في كل معنى ".

- قال تعالى: " إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً {58} " ( النساء 58 ).

- قال الشوكاني رحمه الله: " هذه الآية من أمهات الآيات المشتملة على كثير من أحكام الشرع، والعدل هو: فصل الحكومة على ما في كتاب الله سبحانه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا الحكم بالرأي المجرد، فإن ذلك ليس من الحق في شيء إلا إذا لم يوجد دليل تلك الحكومة في كتاب الله ولا في سنة رسوله فلا بأس باجتهاد الرأي من الحاكم الذي يعلم بحكم الله سبحانه وبما هو أقرب إلى الحق عند عدم وجود النص وأما الحاكم الذي لا يدري بحكم الله ورسوله ولا بما هو أقرب إليهما فهو لا يدري ما هو العدل، لأنه لا يعقل الحجة إذا جاءته فضلاً عن أن يحكم بها بين عباد الله ".

- قال سيد قطب رحمه الله: " فأما الحكم بالعدل بين الناس، فالنص يطلقه هكذا عدلاً شاملاً ( بين الناس ) جميعاً لا عدلاً بين المسلمين بعضهم وبعض فحسب وإنما هو حق لكل إنسان بوصفه ( إنساناً ) فهذه الصفة صفة الناس هي التي يترتب عليها حق العدل في المنهج الرباني. والأمة المسلمة قيِّمة على الحكم بين الناس بالعدل حتى حكمت في أمرهم هذا العدل الذي لم تعرفه البشرية قط في هذه الصورة إلا على يد الإسلام. وذلك هو أساس الحكم في الإسلام ".

ج) العدل صفة من صفات أنبياء الله تعالى:

- قال تعالى: " فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ {15}‏ " ( الشورى 15 ).

يقول سيد قطب رحمه الله: " إنها القيادة الجديدة للبشرية جمعاء‏.‏ القيادة الحازمة المستقيمة على نهج واضح ويقين ثابت ‏.‏ تدعو إلى الله على بصيرة ‏.‏ وتستقيم على أمر الله دون انحراف‏.‏ وتنأى عن الأهواء المضطربة المتناوحة من هنا وهناك ‏.‏ القيادة التي تعلن وحدة الرسالة ووحدة الكتاب ووحدة النهج والطريق ‏.‏

- ويقول أيضاً: وتكشف هذه الآية الواحدة عن طبيعة هذه الرسالة الأخيرة، في مقاطعها القصيرة الفاصلة على هذا النحو الجامع الحازم الدقيق ‏.‏ فهي رسالة جاءت لتمضي في طريقها لا تتأثر بأهواء البشر ‏.‏ وجاءت لتهيمن فتحقق العدالة في الأرض‏.‏ وجاءت لتوحد الطريق إلى الله كما هو في حقيقته موحد على مدى الرسالات‏.‏

د) العدل مطلوب بين الناس جميعاً دون اتباع للهوى:

- قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقَيراً فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً {135} " ( النساء 135 ).

- جاء في تفسير الرازي رحمه الله: ".... فهذا أمر منه تعالى لجميع المكلفين بأن يكونوا مُبالغين في اختيار العدل والاحتراز عن الجور والميل، وقوله: { شُهَدَاء للَّهِ } أي تقيمون شهاداتكم لوجه الله كما أمرتم بإقامتها، ولو كانت الشهادة على أنفسكم أو آبائكم أو أقاربكم، وشهادة الإنسان على نفسه لها تفسيران: الأول: أن يقرعلى نفسه لأن الإقرار كالشهادة في كونه موجباً إلزام الحق، والثاني: أن يكون المراد وإن كانت الشهادة وبالاً على أنفسكم وأقاربكم، وذلك أن يشهد على من يتوقع ضرره من سلطان ظالم أو غيره ".

2- قال تعالى: " وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ {152} " ( الأنعام 152 ).

- جاء في تفسير الرازي رحمه الله: " من التكاليف المذكورة في هذه الآية، قوله تعالى: { وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى } واعلم أن هذا أيضاً من الأمور الخفية التي أوجب الله تعالى فيها أداء الأمانة، والمفسرون حملوه على أداء الشهادة فقط، والأمر والنهي فقط، قال القاضي وليس الأمر كذلك بل يدخل فيه كل ما يتصل بالقول، فيدخل فيه ما يقول المرء في الدعوة إلى الدين وتقرير الدلائل عليه بأن يذكر الدليل مُلخصاً عن الحشو والزيادة بألفاظ مفهومة معتادة، قريبة من الأفهام، ويدخل فيه أن يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واقعاً على وجه العدل من غير زيادة في الإيذاء والإيحاش، ونقصان عن القدر الواجب، ويدخل فيه الحكايات التي يذكرها الرجل حتى لا يزيد فيها ولا ينقص عنها، ومن جملتها تبليغ الرسالات عن الناس، فإنه يجب أن يؤديها من غير زيادة ولا نقصان، ويدخل فيه حكم الحاكم بالقول، ثم إنه تعالى بين أنه يجب أن يسوي فيه بين القريب والبعيد، لأنه لما كان المقصود منه طلب رضوان الله تعالى لم يختلف ذلك بالقريب والبعيد.

ه) العدل مع من يخالفوننا دون مُراعاة بُغض أو كراهية أو غيرهما:

- قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ {8} " ( المائدة 8 ).

- قال بن كثير رحمه الله: " أي: لا يحملنَّكم بُغْض قوم على ترك العدل فيهم، بل استعملوا العدل في كُلِّ أَحَدٍ، صديقًا كان أو عدوًّا ".

- قال ابن جرير الطبري رحمه الله: " يعني بذلك جل ثناؤه: يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ليكن من أخلاقكم وصفاتكم القيام لله شهداء بالعدل في أوليائكم وأعدائكم، ولا تجوروا في أحكامكم وأفعالكم فتجاوزوا ما حددت لكم في أعدائكم لعداوتهم لكم ولا تقصروا فيما حددت لكم من أحكامي وحدودي في أوليائكم لولايتهم لكم، ولكن انتهوا في جميعهم إلى حدي، واعملوا فيه بأمري ".

- إن العدل مطلوب على كل وجه وعلى كل حال، في المنشط والمكره، وفي اليسر والعسر، وفي الغضب والرضا، وفي السر والعلن، ومع الغني والفقير والقوي والضعيف والصديق والعدو والقريب والغريب.

و) العدل في البيع والشراء والتداين والوصية:

1- قال تعالى: " وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِالقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً {35} " ( الإسراء 35 ).

- جاء في تفسير الظلال: " وإيفاء الكيل والاستقامة في الوزن، أمانة في التعامل، ونظافة في القلب، يستقيم بهما التعامل في الجماعة، وتتوافر بهما الثقة في النفوس، وتتم بهما البركة في الحياة ‏.‏ ‏

- وجاء أيضاً: " والطمع في الكيل والوزن قذارة وصغار في النفس، وغش وخيانة في التعامل تتزعزع بهما الثقة، ويتبعها الكساد، وتقل بهما البركة في محيط الجماعة، فيرتد هذا على الأفراد، وهم يحسبون أنهم كاسبون بالتطفيف ‏.‏ وهو كسب ظاهري ووقتي، لأن الكساد في الجماعة يعود على الأفراد بعد حين‏.‏

2- قال تعالى: " أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ {181} وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ {182} " ( 182 الشعراء ).

3- قال تعالى: " وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا " ( الأنعام 152 ).

4- قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللّهَ رَبَّهُ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاء إِذَا مَا دُعُواْ وَلاَ تَسْأَمُوْاْ أَن تَكْتُبُوْهُ صَغِيراً أَو كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللّهِ وَأَقْومُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُواْ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوْاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ {282}‏ " ( البقرة 282 ).

5- قال تعالى: " يِا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلاَةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لاَ نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللّهِ إِنَّا إِذاً لَّمِنَ الآثِمِينَ {106} " ( المائدة 106 ).

ز) العدل في فض النزاع وتحكيم من يُعرف عنهم العدل:

1- قال تعالى: " وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ {9} " ( الحجرات 9 ).

2- قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّداً فَجَزَاء مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ " ( المائدة 95 ).

3- قال تعالى: " فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً {2} " ( الطلاق 2 ).

ح) العدل في معاملة النساء:

1- قال تعالى: " وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ {3} " ( النساء 3 ).

2- قال تعالى: " وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ النِّسَاء وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلاَ تَمِيلُواْ كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً {129} " ( النساء 129 ).

3- قال تعالى: " فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً {2} " ( الطلاق 2 ).

ط) العدل في حقوق اليتامى:

- قال تعالى: " وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ " ( الأنعام 152 ).

- جاء في تفسير المنتخب: " ولا تتصرفوا في مال اليتيم إلا بأحسن تصرف يحفظه وينمّيه، واسْتَمِروا على ذلك حتى يصل اليتيم إلى حالة من الرشد يستطيع معها أن يستقل بالتصرف السليم، وحينئذ ادفعوا إليه ماله.

ي) العدل مع من هم على ملة غير ملة الإسلام:

1- قال تعالى: ".... فَإِن جَآؤُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُم أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ {42} " ( المائدة 42 ).

2- قال تعالى: " لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ {8} " ( الممتحنة 8 ).

- تلك عشرة كاملة ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم تتناول مظاهر العدل في كل مجالات الحياة وجوانبها ولا تستثني أحداً لأن الله تعالى حرم الظلم على نفسه وجعله بيننا محرماً وأمرنا باجتنابه.

ثالثاً: منظومة العدل في سنة النبي صلى الله علي سلم: كما قلنا أن الله تعالى أرسل الرسل لكي يأمروا الناس بإقامة العدل الذي بدونه تختل موازين الكون بأكمله، ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم نموذجاً فريداً في هذا الجانب وغرس في صحابته الكرام - رضوان الله عليهم أجمعين - من القيم التي بها يستقيم ميزان الحياة ولم يترك لهم شاردة ولا واردة إلا بيَّنها وفصَّلها تفصيلاً، فلقد كان من هديه صلى الله عليه وسلم ألا يجلس الإنسان وشقه في الشمس والشق الآخر في الظل، وألا يحلق نصف رأسه ويترك النصف الآخر، وألا ينتعل الإنسان في قدم ويترك الأخرى وغير ذلك من الأمور التي من مراميها العدل وحِكم وأسرار أخرى كثيرة.

- وسوف نعرض هنا بعض الأحاديث التي وردت في هذا الجانب: -

1- عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن - عز وجل - وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلُوا " ( رواه مسلم ).

2- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله الإمام العادل، وشاب نشأ بعبادة الله، ورجل قلبه مُعلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه "( رواه مسلم ).

3- وفي حديث طويل عن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم في خطبته: "....... وأهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفق ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم وعفيف متعفف ذو عيال " ( رواه مسلم ).

4 - عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إنما الإمام جُنة يقاتل من ورائه ويتقى به، فإن أمر بتقوى الله عز وجل وعدل، كان له بذلك أجر، وأن يأمر بغيره كان عليه منه " ( رواه مسلم ).

5- عادَ عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ زيادٍ، مَعقِلَ بنَ يسارٍ المُزَنيَّ في مرضِهِ الَّذي ماتَ فيهِ فقالَ مَعقِلٌ: إنِّي مُحدِّثُكَ حديثًا سمِعتُهُ مِن رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ لَو علِمتُ أنَّ لي حياةً ما حدَّثتُكَ إنِّي سمِعتُ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ يقولُ: " ما مِن عبدٍ يَسترعيهِ اللَّهُ رعيَّةً يموتُ يومَ يموتُ وَهوَ غاشٌّ لرعيَّتِهِ إلَّا حرَّمَ اللَّهُ علَيهِ الجنَّةَ " ( رواه مسلم ).

6 – عن بريدة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " القضاة ثلاثة واحد في الجنة واثنان في النار فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار " ( قال أبو داود وهذا أصح شيء فيه يعني حديث ابن بريدة القضاة ثلاثة ) ( صحيح بن ماجه ).

7 – عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ثلاثٌ كفَّاراتٌ، وثلاثٌ درجاتٌ، وثلاثٌ مُنْجياتٌ، وثلاثٌ مُهْلِكاتٌ ; فأمَّا الكفَّاراتُ: فإسْباغُ الوضوءِ في السَّبَراتِ، وانتظارُ الصلاة بعدَ الصلاةِ، ونقلُ الأقدامِ إلى الجماعاتِ. وأمَّا الدَّرجاتُ: فإطعامُ الطَّعامِ، وإفشاءُ السَّلامِ، والصَّلاةُ باللَّيلِ والنَّاسُ نيامٌ. وأمَّا المُنْجياتُ: فالعدلُ في الغضبِ والرِّضا، والقصدُ في الفقرِ والغنى، وخشيةُ اللَّهِ في السِّرِّ والعلانيةِ. وأمَّا المُهْلِكاتُ: فشحٌّ مطاعٌ، وَهَوًى متَّبعٌ، وإعجابُ المرءِ بنفسِهِ " ( رواه المنذري )

8 - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من جعل قاضياً بين الناس، فقد ذبح بغير سكين " ( رواه أبو داود ).

9 – عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ما من حكَمٍ يحكمُ بينَ الناسِ إلا حُبِس يومَ القيامةِ وملَكٌ آخذٌ بقَفاه حتى يقِفَه على جهنمَ ثم يرفعَ رأسَه إلى اللهِ عزَّ وجلَّ فإن قال الخطأَ ألقاه في جهنمَ يهوي أربعينَ خريفًا " ( مسند الإمام أحمد ).

10 – عن أبي هريره رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ما من أميرِ عشرَةٍ إِلَّا يؤتى بهِ يومَ القيامةِ مَغْلولًا، لا يَفُكُّهُ إِلَّا العَدْلُ، ( أوْ يُوبِقُهُ الجَوْرُ ) " ( حسنه الألباني ).

11 - عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأنصاري رضي الله عنه قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَدُ اللَّهِ مَعَ الْقَاضِي حِينَ يَقْضِي وَيَدُ اللَّهِ مَعَ الْقَاسِمِ حِينَ يَقْسِمُ " ( رواه البيهقي ).

12 – عن أبي هريرة رضى الله عنه , عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ثلاثة لا ترد دعوتهم , الإمام العادل , والصائم حتى يفطر , ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السماء " ( رواه أبو داود ).

13 - عن علي رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قاضياً وأنا حديث السن فقلت: " يا رسول الله، تبعثني إلى قوم يكون بينهم أحداث ولا علم لي بالقضاء؟ " قال: " إن الله سيهدي لسانك ويثبت قلبك ". قال: " فما شككت في قضاء بين اثنين ". وفي رواية: " إن الله يثبت لسانك ويهدي قلبك ". قال: " ثم وضع يده على فمه " ( أخرجهما أحمد ).

14 - عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: " بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قاضياً، فقلت: يا رسول الله، ترسلني وأنا حديث السن، ولا علم لي بالقضاء؟ " فقال: " إن الله سيهدي قلبك، ويثبت لسانك، فإذا جلس بين يديك الخصمان، فلا تقضين حتى تسمع من الآخر، كما سمعت من الأول فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء ". قال: " فما زلت قاضياً أو شككت في قضاء بعد " ( رواه أبو داود ).

15 - عن أم سلمة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو مما أسمع منه. فمن قطعت له من حق أخيه شيئا، فلا يأخذه فإنما أقطع له به قطعة من النار " ( رواه مسلم ).

16 - عن عائشة رضي الله عنها قالت أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه أسامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أتشفع في حد من حدود الله ثم قام فاختطب فقال: أيها الناس إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " ( رواه مسلم ) وفي حديث ابن رمح إنما هلك الذين من قبلكم.

17 - عن عائشة رضي الله عنها قالت: " استعارت امرأةٌ على ألسنةِ أُناسٍ يعرفون وهيَ لا تعرفُ حُلِيًّا فباعتْهُ وأخذت ثمنَه فأُتِيَ بها النبيُّ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ فسعى أهلُها إلى أسامةَ بنِ زيدٍ فكلم رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ فيها فتلوَّنَ وجهُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ وهو يُكلِّمُه ثم قال له رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ: " أتشفعُ ( إليَّ ) في حدٍّ من حدودِ اللهِ؟ " فقال أسامةُ: استغفر لي يا رسولَ اللهِ. ثم قام رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ عشيَّتئذٍ فأثنى على اللهِ ( عزَّ وجلَّ ) بما هو أهلُه ثم قال: " أما بعدُ فإنَّما هلك الناسُ قبلَكم أنَّهُم كانوا إذا سرق الشريفُ فيهم تركوهُ وإذا سرق فيهم الضعيفُ فيهم أقاموا عليْهِ الحدَّ والذي نفسُ محمدٍ بيدِه لو أنَّ فاطمةَ بنتَ محمدٍ سرقت لقطعتُ يدها ثم قطع تلك المرأةَ "( رواه النسائي ).

18 - عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: " جاء رجلٌ فقعد بين يدَيْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فقال إنَّ لي مملوكَيْن يُكذِّبونني ويُخوِّنونني ويعصونني وأشتُمُهم وأضرِبُهم فكيف أنا منهم فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: " إذا كان يومُ القيامةِ يُحسبُ ما خانوك وعصَوْك وكذَّبوك وعقابُك إيَّاهم بقدرِ ذنوبِهم كان كِفافًا لا لك ولا عليك وإن كان عقابُك إيَّاهم فوق ذنوبِهم اقتُصَّ لهم منك الفضلَ ". فتنحَّى الرَّجلُ وجعل يهتِفُ ويبكي فقال له رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: " أما تقرأُ قولَ اللهِ " وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ "؟ فقال الرَّجلُ: يا رسولَ اللهِ ما أجِدُ لي ولهؤلاء خيرًا من مفارقتِهم أُشهِدُك أنَّهم كلَّهم أحرارٌ "( رواه المنذري ).

19 - عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال: أفاء الله خيبر على رسول الله، فأقرَّهم رسول الله كما كانوا، وجعلها بينه وبينهم، فبعث عبد الله بن رواحة فخرصها عليهم، ثم قال لهم: " يا معشر اليهود، أنتم أبغض الخَلْقِ إليَّ، قتلتم أنبياء الله، وَكَذَبْتُمْ على الله، وليس يحملني بغضي إيَّاكم على أن أحيف عليكم، قد خرصت عشرين ألف وسق من تمر، فإن شئتم فلكم، وإن أبيتم فَلِي ". فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض، قد أخذنا " ( رواه أَحمد ).

20 - عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: " تصدق عليّ أبي ببعض ماله فقالت أمي عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأنطلق أبي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليشهد على صدقتي فقال له رسول الله عليه وسلم: " أفعلت هذا بولدك كلهم؟ " قال: لا. قال: " اتقوا الله واعدلوا في أولادكم فرجع أبي فرد تلك الصدقة " ( رواه مسلم ).

21 – عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان مع رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ رجلٌ فجاءَ ابنٌ لهُ فقَبَّلَهُ وأجلسهُ على فَخِذِهِ ثم جاءتْ بنتٌ لهُ فأَجْلَسَها إلى جنبِه قال: " فهلَّا عَدَلْتَ بينَهُمَا " ( صححه الألباني بإسناد حسن ).

22 – عن عبدالله بن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " سووا بين أولادكم في العطية فلو كنت مفضلاً أحداً لفضلت النساء " ( رواه الصنعاني في سبل السلام بإسناد حسن ).

الراوي:عبدالله بن عباس المحدث:الصنعاني المصدر:العدة على الإحكام الجزء أو الصفحة:4/27 حكم المحدث:إسناده حسن

23 - عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، أنَّ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ يقسِمُ بينَه وبينَ نسائِهِ فيعدِلُ ويقولُ: " اللَّهمَّ هذه قِسْمَتي فيما أملكُ فلا تلُمْني فيما تملكُ ولا أملكُ " ( رواه بن حجر العسقلاني في مشكاة المصابيح وقال حديث حسن ).

24 - عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: " كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا أراد سفرًا أقرعَ بينَ نسائِهِ، فأيتهُنَّ خرج سهمها خرج بها معهُ، وكان يَقْسِمُ لكلِّ امرأةٍ منهنَّ يومها وليلتها، غيرَ أنَّ سودةَ بنتَ زَمْعَةَ وهبتْ يومها وليلتها لعائشةَ زوجُ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، تَبتغي بذلك رضا رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ " ( رواه البخاري ).

- رابعاً: منظومة العدل في حياة الصحابة والتابعين: كما رأينا أن النبي صلى الله عليه وسلم غرس في صحابته الكرام منظومة متكاملة من العدالة فترجموا هذه العدالة ترجمة عملية وتحركوا بها في ربوع الأرض ففتحوا البلاد ودانت لهم العرب والعجم.

جاء في البداية والنهاية لابن كثير رحمه الله أن الصحابي الجليل ربعي بن عامر رضي الله عنه عندما دخل على رستم قائد الفرس قال له: " الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضِيق الدنيا إلى سعَتَها، ومن جَوْر الأديان إلى عدل الإِسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضيَ إلى موعود الله، قالوا: وما موعودُ الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي ".

- ونطرح هنا بعض المواقف والأقوال من حياة الصحابة والتابعين للمثال لا الحصر:-

1- عدل أبو بكر الصديق رضي الله عنه: ذات يوم، أعلن الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه أنه سيوزع صدقات الإبل بعد الفجر في اليوم التالي، فلا يدخل عليه أحد إلا بإذن. فقالت امرأة لزوجها: خذ هذا الخطام ( ما يربط به الجمل )، واذهب لعل الله يرزقنا جملاً. فأخذ الرجل الخطام، وذهب في الموعد، فوجد أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قد دخلا إلي الإبل، فدخل وراءهما، فلما رآه أبو بكر رضي الله عنه أخذ منه الخطام، وضربه. فلما فرغ أبو بكر رضي الله عنه من تقسيم الإبل، طلب الرجل، فأعطاه خطامه، ثم قال له: استقد ( اضربني كما ضربتك ). فقال عمر رضي الله عنه: والله لا يستقد لا تجعلها سُنَّة. قال أبو بكر رضي الله عنه: فمن لي من الله يوم القيامة؟ فقال عمر: إذن أرضيه. فأمر أبو بكر غلامه أن يأتيه براحِلة ورحلها، وقطيفة وخمسة دنانير، فأرضاه بها، فانصرف الرجل راضياً.

2- ذكر ابن الأثير رحمه الله في " جامع الأصول " عن سعيد بن المسيب يرحمه الله " عن سعيد بن المسيب: أن مسلماً ويهودياً اختصما إلى عمر، فرأى الحق لليهودي، فقضى له عمر به. فقال له اليهودي: والله لقد قضيت بالحق، فضربه عمر بالدرة، وقال: وما يدريك؟ قال اليهودي: والله إنا نجد في التوراة أنه ليس قاض يقضي بالحق إلا كان عن يمينه ملك، وعن شماله ملك، يسددانه ويوفقانه للحق ما دام مع الحق، فإذا ترك الحق عرجا وتركاه " ( رواه مالك ).

3- جاء في طبقات ابن سعد رحمه الله: عن عطاء، قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمر عماله أن يوافوه بالمَوْسم، فإذا اجتمعوا قال: " يا أيها الناس، إني لم أبعث عمالي عليكم ليصيبوا من أبشاركم، ولا من أموالكم، ( ولا من أعراضكم ) إِنما بعثتهم ليحجزوا بينكم، وليقسموا فيئكم بينكم، فمن فعل به غير ذلك فليقم ". فما قام أحد إلا رجل، قام فقال: يا أمير المؤمنين إِنَّ عاملك فلاناً ضربني مائة سوط. قال: فيم ضربته؟ قم فاقتص منه. فقام عمرو بن العاص رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين إنك إن فعلت هذا يكثر عليك، وتكن سنّة يأخذ بها مَنْ بعدك. فقال: أنا لا أُقيد وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيد في نفسه؟ قال: فدعنا لنرضيه. قال: دونكم فأرضوه، فافتدى منه بمائتي دينار عن كل سَوْط بدينارين.

4- أخرج ابن عبد الحكم عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً من أهل مصر أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين عائذ بك من الظلم. قال: عذتَ معَاذاً. قال: سابقت ابن عمرو بن العاص فسبقته، فجعل يضربني بالسوط ويقول: أنا ابن الأكرمين. فكتب عمر إلى عمرو رضي الله عنهما يأمره بالقدوم ويقدَم بابنه معه. فقدم فقال عمر: أين المصري؟ خذ السوط ضرب. فجعل يضربه بالسوط ويقول عمر: إضرب ابن الألأمَينْ. قال أنس: فضرب والله لقد ضربه ونحن نحب ضربه، فلما أقلع عنه حتى تمنينا أنه يرفع عنه. ثم قال للمصري: ضَعْ على صلعة عمرو. فقال: يا أمير المؤمنين إِنّما ابنه الذي ضربني وقد استَقَدْت منه. فقال عمر لعمرو، مذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟ قال: يا أمير المؤمنين لم أعلم ولم يأتني ".

5- أخرج الطبراني في الأوسط، وابن عساكر، والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاءت جارية إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت إن سيدي اتهمني فأقعدني على النار حتى احترق فرجي. فقال لها عمر: هل رأى ذلك عليك؟ قالت: لا. قال: فهل اعترفت له بشيء؟ قالت: لا. فقال عمر: عليَّ به. فلما رأى عمر الرجل قال: أتعذِّب بعذاب الله؟ قال: يا أمير المؤمنين إتهمتها في نفسها. قال: أرأيت ذلك عليها؟ قال: لا. قال: فاعترفت لك به؟ قال: لا. قال: والذي نفسي بيده لو لم أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " لا يُقاد مملوك من مالكه، ولا ولد من والده " لأقدتها منك، وضربه مائة سوط، وقال للجارية: إذهبي فأنت حرة لوجه الله، وأنت مولاة الله ورسوله، أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " من حُرِق بالنار أو مُثِّل به فهو حرٌّ، وهو مولى الله ورسوله ".

6 - أخرج ابن عساكر، والواقدي عن عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي رضي الله عنهما قال: لما قدمنا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجابية، إِذا هو بشيخ من أهل الذمة يستطعم، فسأل عنه فقال: هذا رجل من أهل الذمة كبر وضعف. فوضع عنه عمر رضي الله عنه الجزية التي في رقبته، وقال: كلّفتموه الجزية حتى إذا ضعف تركتموه يستطعم؟ فأجرى عليه من بيت المال عشرة دراهم وكان له عيال.

- وعند أبي عُبيد، وابن زنجويه، والعُقَيلي عن عمر رضي الله عنه أنه مرَّ بشيخ من أهل الذمة يسأل على أبواب المساجد. فقال: ما أنصفناك. كنا أخذنا منك الجزية في شبيبتك ثم ضيعناك في كبرك، ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه.

7- روى أن قيصراً أرسل إلى عمر بن الخطاب رسولاً لينظر أحواله ويشاهد أفعاله، فلما دخل المدينة سأل عن عمر وقال: أين ملككم؟ فقالوا: مالنا ملك بل لنا أمير قد خرج إلى ظاهر المدينة، فخرج في طلبه فرآه نائماً فوق الرمل، وقد توسد درته، وهي عصاً صغيرة كانت دائماً بيده يغير بها المنكر، فلما رآه على هذه الحال وقع الخشوع في قلبه وقال: رجل يكون جميع الملوك لا يقر لهم قرار من هيبته، وتكون هذه حالته، ولكنك يا عمر عدلت فنمت وملكنا يجور، فلا جرم أنه لا يزال ساهراً خائفاً ".

- ومما لا شك فيه أن هناك في حياة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه من مواقف العدل الكثير والكثير مما لا يتسع المقام لذكرها.

8 – جاء في شرح البخاري للسفيري رحمه الله وهو يعدد مناقب أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قيل: " كان له عبد وكان عثمان قد مسك أذنه يوماً وعركها فقال له: إني كنت قد عركت أذنك فاقتص مني، فأخذ بأذنه فقال له: اشدد يا حبذا قصاص في الدنيا لا قصاص في الآخرة ".

9 - عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: " بعثَني رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلى اليمنِ فانتهينا إلى قومٍ قد بَنَوا زُبْيَةً للأسدِ فبينما هم كذلك يتدافعون إذ سقَط رجلٌ فتعلق بآخرَ ثم تعلق رجلٌ بآخرَ حتى صاروا فيها أربعةً فجرَحهم الأسدُ فانتَدَب له رجلٌ بحَربةٍ فقتله وماتُوا منْ جِراحتِهم كلُّهم فقاموا أولياءُ الأولِ إلى أولياءِ الآخَرِ فأخرجوا السلاحَ ليقتَتِلوا فأتاهم عليٌّ رضي الله عنه على تفيئة ذلك فقال: تُريدون أنْ تَقَاتَلوا ورسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حيٌّ إني أقضي بينَكم قضاءً إنْ رَضِيتم فهو القضاءُ وإلا حجَز بعضُكم عنْ بعضٍ حتى تَأتوا النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فيكون هو الذي يَقضي بينَكم فمَنْ عدا بعدَ ذلك فلا حَقَّ له اجمَعوا منْ قبائلِ الذين حضَروا البئرَ ربُعَ الديةِ وثلُثَ الديةِ ونصفَ الديةِ والديةَ كاملةً فللأولِ الربُعُ لأنه هلك مَنْ فوقَه وللثاني ثلُثُ الديةِ وللثالثِ نصفُ الديةِ فأبَوا أنْ يرضَوا فأتوا النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وهو عندَ مقامِ إبراهيمَ فقَصُّوا عليه القصةَ فقال: أنا أقضي بينكم واحتَبَى فقال رجلٌ منَ القومِ: إنَّ عليًّا قضى فينا فقَصُّوا عليه القصةَ فأجازه رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ " ( رواه أحمد ).

10 - جاء في سنن البيهقي ومصنف عبد الرزاق وغيرهما أنه: " رُفِع إلى عمر امرأة ولدت لستة أشهر، فأراد عمر أن يرجمها، فجاءت أختها إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقالت: إن عمر يرجم أختي فأنشدك الله إن كنت تعلم أن لها عُذراً لما أخبرتني به، فقال علي: إن لها عذراً، فكبرت تكبيرة سمعها عمر ومن عنده. فانطلقت إلى عمر فقالت: إن علياً زعم أن لأختي عذراً، فأرسل عمر إلى علي ما عذرها؟ قال: إن الله عز وجل يقول: والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين، وقال: وحمله وفصاله ثلاثون شهراً، فالحمل ستة أشهر، والفصل أربعة وعشرون شهراً، قال: فخلى عمر سبيلها، قال: ثم إنها ولدت بعد ذلك لستة أشهر ".

- هذه مجرد أمثلة فقط إنما حياة الصحابة والتابعين بها من المواقف في هذا الجانب أكثر من أن تُحصى.

- خامساً: أقوال في منظومة العدل في الإسلام: لعظم صفة العدل لم تخلوا الأدبيات الإسلامية من الأقوال والحكم والمأثورات التي وإن دلت على شيء فإنما تدل على انشغال هذه الأمة بهذه التبعة العظيمة وحرصها على هذه الصفة.

1- قال ابن تيمية رحمه الله: " وأمور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل الذي فيه الاشتراك في أنواع الإثم أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وإنْ لم تشترك في إثم، ولهذا قيل: إِنَّ الله يقيم الدولة العادلة وإنْ كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وإنْ كانت مسلمة. ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام. وذلك أنَّ العدل نظام كلِّ شيء، فإذا أُقيم أمر الدنيا بعدلٍ قامت، وإنْ لم يكن لصاحبها في الآخرة من خَلاق، ومتى لم تَقُمْ بعدلٍ لم تَقُمْ، وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يُجزى به في الآخِرة ".

2- قال ابن عبد ربه رحمه الله في كتابه العقد الفريد: " قالت الحكماء: مما يجب على السلطان العدل في ظاهر أفعاله لإقامة أمر سلطانه، وفي باطن ضميره لإقامة أمر دينه، فإذا فسدت السياسة ذهب السلطان. ومدار السياسة كلها على العدل والإنصاف، لا يقوم سلطان لأهل الكفر والإيمان إلا بهما ولا يدور إلا عليهما، مع ترتيب الأمور مراتبها وإنزالها منازلها ".

3- جاء في ديوان المعاني: " يوم العدل على الظالم، أشد من يوم الظلم على المظلوم ".

4- قال عبد الملك بن مروان لبنيه: " كلكم يترشح لهذا الأمر، ولا يصلح له منكم إلا من كان له سيف مسلول، ومال مبذول، وعدل تطمئن إليه القلوب ".

5- جاء في العقد الفريد: قال أردشير لابنه: يا بني، إنّ الملك والعدل أخوان لا غنى بأحدهما عن صاحبه فالملك أسٌّ والعدل حارس، وما لم يكن أسٌّ فمهدوم، وما لم يكن له حارس فضائع ".

6 - قال أبو الفتح البستي:

عليك بالعدلِ إن وُلِّيت مملكةً واحذرْ مِن الجوْرِ فيها غايةَ الحذرِ

فالملك يبقَى على عدلِ الكفورِ ولا يبقَى مع الجوْرِ في بدْوٍ ولا حَضَرِ

- وأخيراً: يُحذر بن خلدون رحمه الله من غياب العدل والعاقبة الوخيمة للظلم وأنه يؤذن بخراب العمران فيقول: " اعلم أنّ العدوان على الناس في أموالهم , ذاهبٌ بآمالهم في تحصيلها واكتسابها , لما يرون حينئذٍ من أنّ غايتها ومصيرها انتهابها من أيديهم , وإذا ذهبت آمالهم في اكتسابها وتحصيلها , انقبضت أيديهم عن السعي في ذلك , والعمران ووفوره ونفاق أسواقه إنّما هو بالأعمال وسعي النّاس في المصالح والمكاسب ذاهبين وجائين، فإذا قعد النّاس عن المعاش وانقبضت أيديهم عن المكاسب كسدت أسواق العمران وانتفضت الأحوال وتفرق النّاس في الآفاق، فخفّ ساكن القطر وخلت دياره واختلّ باختلاله حال الدّولة والسّلطان ".

- وختاماً: لنا أن نتخيل مُجتمعاً ضاع فيه العدل فسنجد أن الموازين قد اختلت، والحدود قد عُطلت، والحرمات قد انتهكت، والقيم قد دِيْسَت، والطاقات قد عُطلت، والحقوق قد أهدرت، والحريات قد قيدت، والأموال قد نُهبت، والدماء قد أُبيحت، والأعراض قد انتُهتكت، والأمن قد زال، والظلم قاد ساد، والباطل قد انتفش، والنور قد خفت، والظلام قد عم، والبلاء قد طم، والبركة قد مُحقت، والزمان قد دال، والملك قد ذال.

- وعندها ستتنكر الأرض لمن عليها وستضيق بهم ذرعا، ولن يكون هناك مجتمعاً يصلح للعيش فيه، ولن تروق الحياة لكائن عليها، وحينها ننتظر الساعة، والساعة أدهى وأمر.

- اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، اللهم متعنا بأسماعنا، وأبصارنا، وقواتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا.

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

## الثمرة الرابعة: الأمن في الإسلام

إن الأمن من أعظم النعم التي يتفضل الله تعالى بها على الإنسان، وهو مفهوم شامل لا يقتصر على المعيشة وجلب الرزق فقط ولا يقتصر على ديانة دون أخرى أو ثقافة دون أخرى في المجتمع الواحد فالجميع تحت هذه المظلة سواء طالما لم تُخترق القيم والمباديء المتعارف عليها دينياً واجتماعياً.

- إن الأمن به تُصان الممتلكات، وتُحترم الخصوصيات، وتُؤدى العبادات، وتُحصل الأرزاق، وتُحترم العهود، وتزداد البركة. وبالأمن يعيش الإنسان حياة آمنة مُطمئنة في الحِلِّ والتَّرْحال.

- وبدون الأمن تحيط الإنسان كل الكربات والمنغصات فلا يهنأ له عيش ولا يستقر له بال فيكون دائماً مُتوجساً قلقاً مضطرباً على نفسه وأهله وماله وكل شيء.

- وبدون الأمن تضيق الأرزاق، وتهجر الديار، وتفارق الأوطان، وتشرد الأُسر، وتنقض العهود والمواثيق، وتنتهك الحرمات، وتصادر الحريات، وتبور التجارات، وتتبدل طباع الخلق فلا يصدقون إلا الإشاعات ولا يتحدثون إلا عن المَلمات.

- ومن أجل استتباب الأمن جاءت الشريعة الإسلامية بالعقوبات الصارمة لكي يرتدع كل من تسول له نفسه زعزعة أمن البلاد أو ترويع الأفراد.

- والدول لا تقل احتياجاً للأمن عن الأفراد فالدولة تحتاج إلى الأمن في نظامها الداخلي وفي سياستها الخارجية لكي تنهض بأبنائها وليكون لها قدراً بين مثيلاتها وإذا اضطرب الأمن عاشت الدولة وكأنها في جزيرة منعزلة عن بقية العالم فتبور تجارتها وينهار اقتصادها ولا يأمن فيها مُقيم ولا يقصدها قاصد.

- ولأهمية الأمن بالنسبة للدولة نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم فور أن وصل إلى المدينة المنورة وضع دستوراً توافق عليه كل من هم فيها وجعل استتباب أمن المدينة مسؤلية تضامنية تشترك فيه كل الطوائف.

- جاء في صدر دستور المدينة: " هذا كتاب من محمد النبي ( رسول الله ) بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن اتبعهم فلحق بهم وجاهد معهم.

- وجاء في نهايته: "....... وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وأنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم أو أثم، وأن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله ".

- وبين بداية هذا الدستور ونهايته لم يترك النبي صلى الله عليه وسلم شاردة ولا واردة إلا تحدث عنها ووضع لها ضوابتها التي تضمن التعايش السلمي بين المتعاهدين على هذا الدستور.

- إن منظومة الأمن بمفهومها الشامل قد تناولتها آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم واكتملت ملامحها في خطبة حجة الوداع حين قال النبي صلى الله عليه وسلم: " يا أَيُّها الناسُ! أَيُّ يومٍ أَحْرَمُ؟ أَيُّ يومٍ أَحْرَمُ؟ أَيُّ يومٍ أَحْرَمُ؟ قالوا: يومُ الحجِّ الأكبرِ، قال: فإن دماءَكم، وأموالَكم، وأعراضَكم عليكم حرامٌ، كحُرْمَةِ يومِكم هذا، في بلدِكم هذا، في شهرِكم هذا، أَلَا لا يَجْنِي جانٍ إلا على نفسِه، أَلَا ولا يَجْنِي والدٌ على ولدِه، ولا وَلَدٌ على والدِه، أَلَا إنَّ الشيطانَ قد أَيِسَ أن يُعْبَدَ في بلدِكم هذا أبدًا، ولكن ستكونُ له طاعةٌ في بعضِ ما تَحْتَقِرون من أعمالِكم، فيَرْضَى بها، أَلَا إنَّ المسلمَ أَخُو المسلمِ، فليس يَحِلُّ لمسلمٍ من أَخِيهِ شيءٌ إلا ما أَحَلَّ من نفسِه، أَلَا وإنَّ كلَّ رِبًا في الجاهليةِ موضوعٌ، لكم رؤوسُ أموالِكم لا تَظْلِمونَ ولا تُظْلَمُونَ، غيرَ رِبَا العباسِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ ؛ فإنه موضوعٌ كُلُّه، وإنَّ كلَّ دمٍ كان في الجاهليةِ موضوعٌ، وأولُ دَمٍ أَضَعُ من دمِ الجاهليةِ دمُ الحارثِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ، أَلَا واستَوْصُوا بالنساءِ خيرًا، فإنما هُن عَوَانٌ عندكم، ليس تملكونَ منهن شيئًا غيرَ ذلك، إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَّةٍ مُبَيِّنَةٍ، فإن فَعَلْنَ فاهجُروهن في المَضاجِعِ، واضرِبوهن ضَرْبًا غيرَ مُبَرِّحٍ، فإن أَطَعْنَكم، فلا تَبْغُوا عليهِن سبيلًا، أَلَا وإنَّ لكم على نسائِكم حقًّا، ولنسائِكم عليكم حقًّا، فأمَّا حقُّكم على نسائِكم ؛ فلا يُوطِئْنَ فُرُشَكم مَن تَكْرَهون، ولا يَأْذَنَّ في بيوتِكم لِمَن تَكْرَهون، أَلَا وإنَّ حَقَّهُنَّ عليكم أن تُحْسِنوا إليهِنَّ في كِسْوَتِهِنَّ وطعامِهِنَّ " ( صحيح الجامع للألباني ).

أولاً: تعريف الأمن وأهميته: جاء في لسان العرب لابن منظور رحمه الله: " هو ضدُّ الخوف ونقيضه، والأصلُ أن يُسْتَعْمَلَ في سُكُون القلب ".

- جاء في التحرير والتنوير لابن عاشور رحمه الله قال: " الأمن: حالة اطمئنان النفس، وراحة البال، وانتفاء الخوف من كل ما يخاف منه، وهو يجمع جميع الأحوال الصالحة للإنسان من الصحة والرزق ونحو ذلك. ولذلك قالوا في دعوة إبراهيم عليه السلام: " وَإذْ قَالَ إبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا " ( إبراهيم 35 ) إنه جمع في هذه الجملة جميع ما يطلب لخير البلد ".

- وجاء في التعريفات للجرجاني رحمه الله: " الأمن عدم توقُّع مكروه في الزمان الآتي ".

- وعرفه الدكتور عبدالقادر الخطيب في كتابه أثر تعليم القرآن الكريم في حفظ الأمن فقال: " الأمن هو شعور المجتمع وأفراده بالطُّمأنينة، والعيش بحياة طيبة، من خلال إجراءات كافية يمكن أن تزال عنهم الأخطار، أيًّا كان شكلها وحجمها، حال ظهورها، ومن خلال اتِّخاذ تدابير واقية ".

- أما عن أهمية الأمن فنذكر ما جاء في تفسير الرازي رحمه الله حيث قال: "...... وسئل بعض العلماء الأمن أفضل أم الصحة؟ فقال: الأمن أفضل، والدليل عليه أن شاة لو انكسرت رجلها فإنها تصح بعد زمان، ثم إنها تقبل على الرعي والأكل ولو أنها ربطت في موضع وربط بالقرب منها ذئب فإنها تمسك عن العلف ولا تتناوله إلى أن تموت وذلك يدل على أن الضرر الحاصل من الخوف أشد من الضرر الحاصل من ألم الجسد ".

- ولأهمية الأمن فهو يُعَدُّ مقصدًا من مقاصد الشريعة الإسلامية. فلقد جاءت الشريعة الإسلامية لحفظ الدين والنفس والنسل والعقل والمال، وأنى لنا أن نحفظ هذه المقاصد دون مجتمع يسوده الأمن والطمأنينة والاستقرار؟

ثانياً: منظومة الأمن في القرآن الكريم: إن آيات الذكر الحكيم لم تترك صغيرة ولا كبيرة في هذا الجانب إلا تحدثت عنها وأرست دعائمها وفصلتها تفصيلاً وذلك لكي يقيم الله تعالى الحُجَّة على عباده ولكي يكون هناك المناخ المناسب لقيام الاستخلاف في الأرض.

أ) من أهم صفات الوطن أن يكون آمناً لتتحقق فيه باقي صفات الخير وأن أفضل دعوة يدعوها الإنسان لوطنه أن يحقق الله تعالى له الأمن والأمان:

1- قال تعالى: " وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ {35} " ( إبراهيم 35 ).

2- قال تعالى: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ {126} " ( البقرة 126 ).

ب) لقد أعطى الله تعالى الأمان لكل من هو داخل بيته الحرام:

1- قال تعالى: " إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ {96} فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ {97} " ( آل عمران ).

2- قال تعالى: " وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ {57} " ( القصص 57 ).

3- قال تعالى: " أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ {67} " ( العنكبوت 67 ).

4- قال تعالى: " لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً {27} " ( الفتح 27 ).

5- قال تعالى: " " وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ {1} وَطُورِ سِينِينَ {2} وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ {3} لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ {4} " ( التين 1 – 4 ).

- قال قتادة: في قوله تعالى: " جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَامًا لّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰئِدَ " ( المائدة 97) " حواجز أبقاها الله في الجاهلية بين الناسِ , فكان الرجل لو جرّ كلَّ جريرة ثم لجأ إلى الحرم لم يتناول ولم يقرب , وكان الرجل لو لقي قاتلَ أبيه في الشهر الحرام لم يعرض له ولم يقربه , وكان الرجل لو لقي الهدي مُقلَّدا وهو يأكل العصب من الجوع لم يعرض له ولم يقربه , وكان الرجل إذا أراد البيت تقلّد قلادة من شعر فأحمته ومنعته من الناسِ , وكان إذا نفر تقلّد قلادة من الإذخر أو من السمر فمنعته من الناس حتى يأتي أهله , حواجز أبقاها الله بين الناس في الجاهلية " ( رواه الطبراني ).

ج) جعل الله تعالى أفضل جزاء على الإيمان والعمل الصالح والصبر على تكاليف الدين هو الأمن:

1- قال تعالى: " وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ {26} " ( الأنفال 26 ).

2- قال تعالى: " وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ {55} " ( النور 55 ).

د) يجعل الله تعالى الخوف سوطاً من سياطه يهذب به الخلق:

1- قال تعالى: " وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ {155} الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ {156} " ( البقرة 155 – 156 ).

2- قال تعالى: " سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ {151} " ( آل عمران 151 ).

3- قال تعالى: " وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ {112} " ( النحل 112 ).

ه ) جعل الله تعالى خشيته والخوف منه سبحانه وتعالى من صفات ( المؤمنين – المتقين... الخ ) ووعدهم ب ( المغفرة – الأجر الكبير – الهداية - السبق ):

1- قال تعالى: " وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ {21} " ( الرعد 21 ).

2- قال تعالى: " وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاء وَذِكْراً لِّلْمُتَّقِينَ {48} الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ {49} " ( الأنبياء 49 ).

3- قال تعالى: " الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً {39} " ( الأحزاب 39 ).

4- قال تعالى: " اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ {23} " ( الزمر 23 ).

5- قال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ {12}‏ " ( الملك 12 ).

6- قال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ {57} وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ {58} وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ {59}‏ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ {60} أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ {61} " ( المؤمنون 57 – 61 ).

7- قال تعالى: " أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤُمِنِينَ {13}‏ " ( التوبة 13 ).

و) يكافيء الله تعالى أوليائه بالأمن فتهدأ قلوبهم وتستقر فلا يهابون ظالماً ولا يجزعون:

1- قال تعالى: " وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ {81}‏ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ {82} " ( الأنعام 81 - 82 ).

2- قال تعالى: " وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ {31} " ( القصص 31 ).

ز) جعل الله تعالى الخوف والهلع صفة من صفات ضعاف الإيمان والمنافقين:

1- قال تعالى: " قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً {18} أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاء الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً {19} " ( الأحزاب 18 – 19 ).

2- قال تعالى: " سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوَاْ إِلَى الْفِتْنِةِ أُرْكِسُواْ فِيِهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُواْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوَاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثِقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً مُّبِيناً {91}‏ " ( النساء 91 ).

ح) الأمن هبة من الله تعالى لعباده ينزعها ممن يكفرون بأنعمه ويجحدونها:

1- قال تعالى: " وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ {18} " ( سبأ 18 ).

2- قال تعالى: " وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ {112} " ( النحل 112 ).

3- قال تعالى: " وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ {80} وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ {81} وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً آمِنِينَ {82} " ( الحجر 82 ).

4- قال تعالى: " وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ {145} أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ {146} فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ {147} وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ {148} وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ {149} فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ {150} " ( الشعراء 145 – 150 ).

5- قال تعالى: " لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ{1}إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاء وَالصَّيْفِ{2} فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ{3} الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ {4}‏ " ( سورة قريش ).

ط) حذر الله تعالى عباده من أن يأمنوا مكره ربهم وعذابه لهم لكي يظلوا ملازمين بابه ومتعلقين بحباله:

1- قال تعالى: " أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَآئِمُونَ {97} أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ {98} أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ {99} " ( الأعراف 97 – 99 ).

2- قال تعالى: " أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ {16} أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ {17} " ( الملك 17 ).

ي) أكد الله تعالى أنه لا أمن ولا أمان مع الكفار المحاربين الذين يظهرون عداوتهم وكيدهم للإسلام وينكلون بالمسلمين، وذلك على غير المعاهد أو المسالم الذي يؤمن جانبه:

1- قال تعالى: إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ {55} الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لاَ يَتَّقُونَ {56} فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ {57} وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ {58} وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُواْ إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ {59} وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ {60} وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ {61}‏ " ( الأنفال 55 – 61 ).

2- قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ {123} " ( التوبة 123 ).

3- قال تعالى: " مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ.. {29}‏ " ( الفتح 29 ).

ك) جعل الله تعالى الأمن من النعم التي يثبت الله تعالى بها أفئدة عباده في الشدائد ":

1- قال تعالى: " ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاساً يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ... {154} " ( آل عمران 154 ).

2- قال تعالى: " إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ {11} " ( الأنفال 11 ).

\* أمنة منه: أمنا من الله و تقوية لكم.

\* جاء في زاد المعاد لابن القيم رحمه الله: " وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ فِي غَزَاةِ بَدْرٍ وَأُحُدٍ، وَالنُّعَاسُ فِي الْحَرْبِ وَعِنْدَ الْخَوْفِ دَلِيلٌ عَلَى الْأَمْنِ، وَهُوَ مِنَ اللهِ.. ".

ل) لضبط الحدود والعقوبات شرع الله تعالى ضوابط محددة للقصاص حتى لا يسود الثأر وينتفي الأمن وتعم الفوضى:

1- قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاء إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ {178} وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ {179} " ( البقرة 178 – 179 ).

2- قال تعالى: " إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ {33} إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {34} " ( المائدة 33 – 34 )

3- قال تعالى: وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ {45} " ( المائدة 45 ).

4- قال تعالى: " وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَئاً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَئاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُواْ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مْؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةً فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللّهِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً {92} وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً {93} " ( النساء 92 – 93 ).

م) وعد الله تعالى المؤمنين بالأمن يوم القيامة يوم الفزع الأكبر:

1- قال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ {40} " ( فصلت 40 ).

2- قال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ {101}‏ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ {102} لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ {103} " ( الأنبياء 103 ).

3- قال تعالى: " مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ {89} " ( النمل 89 ).

ن) جعل الله تعالى الأمن من نعيم أهل الجنة:

1- قال تعالى: " إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ {45} ادْخُلُوهَا بِسَلاَمٍ آمِنِينَ {46} " (الحجر 45 – 46 )

2- قال تعالى: " كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ {54} يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ {55} " ( الدخان 54 – 55 ).

3- قال تعالى: "..... إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاء الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ {37} " ( سبأ 37 ).

- هذه بعض الآيات من كتاب الله تعالى في هذا الجانب وكما نلاحظ أنها لم تترك صغيرة ولا كبيرة إلا ذكرتها وركزت عليها حتى يقيم الله تعالى بها الحجة على عباده وحتى يسود الأمن على كل الأصعدة والمستويات فيكون المجتمع آمناً مطمئناً وحينها تؤتي الدعوة ثمارها ويكون المجتمع متحاباً متآلفا متماسكاً منتجاً ومتحضراً.

ثالثاً: منظومة الأمن في السنة النبوية المطهرة: لقد بدأت منظومة الأمن في حياة النبي صلى الله عليه وسلم في مرحلة مبكرة حيث بدأت قبل النبوة والرسالة حين اشترك النبي صلى الله عليه وسلم في حلف الفضول الذي شهد له النبي صلى الله عليه وسلم وأثنى عليه بعد البعثة.

- عن عبدالرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حِلفا، لو دعيت به في الإسلام لأجبت، تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها، وأن لا يعد ظالم مظلوماً " ( رواه ابن الملقن ).

- ولقد شهدت حياة النبي صلى الله عليه وسلم العديد من المواقف والأحداث التي كان من أهم مقاصدها نشر السلام وتحقيق الأمن للصحابة الكرام وللمجتمع الإسلامي بصفة عامة لكي يكون هناك المناخ المناسب والتربة الخصبة لإرساء دعائم الدين الجديد وأسس الدولة الجديدة. ومن بين هذه المواقف والأحداث الهجرة إلى الحبشة – دستور المدينة – صلح الحديبية – فتح مكة – خطبة حجة الوداع...... الخ.

- ونسوق هنا بعض الأحاديث التي وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم لإرساء أسس الأمن في المجتمع في شتى المجالات وعلى كل المستويات.

1- عن عبدالله بن محصن رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مَن أصبحَ منكم آمنًا في سربِهِ، مُعافًى في جسدِهِ عندَهُ قوتُ يومِهِ، فَكَأنَّما حيزت لَهُ الدُّنيا " ( رواه الترمذي ).

2- عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فيما يَروي عن ربِّه جلَّ وعلا أنَّه قال: " وعِزَّتِي لا أجمعُ على عَبدي خَوفيْنِ وأَمنيْنِ، إذا خافَني في الدُّنيا أمَّنْتُه يومَ القيامةِ، وإذا أمِنَني في الدُّنيا أَخَفْتُه في الآخِرةِ " ( حسنه الألباني ).

3 – عن يزبد بن أبي حبيب قال: " كتب رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ إلى كسرَى أبرويزَ ملكُ فارسٍ يقولُ: بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ. من محمَّدٍ رسولِ اللهِ إلى كسرَى عظيمُ فارسٍ. سلامٌ علَى مَن اتَّبع الهُدى، وآمَن باللهِ ورسولِه، وشهِد أن لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ لهُ، وأن محمَّدًا عبدُه ورسولُه. أدعوك بدعايةِ اللهِ، فإنِّي أنا رسولُ اللهِ إلى النَّاسِ كافَّةً لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا، وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ. أسلمْ تسلم، فإن أبيتَ فعليك إثمُ المجوسِ " ( حسنه الألباني ).

4 – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " واللهِ لا يؤمنُ، والله لا يؤمنُ، والله لا يؤمنُ قيل: من يا رسولَ اللهِ؟ قال: الذي لا يأمنُ جارُه بوائقَه قالوا يا رسولَ اللهِ وما بوائقُه؟ قال: شرُّه " ( صححه الألباني ).

5 – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " المسلِمُ مَن سلِمَ المسلمونَ من لسانِهِ ويدِهِ، والمؤمِنُ من أمِنَه النَّاسُ على دمائِهم وأموالِهم " ( رواه الترمذي ).

6 – عن عبدالرحمن بن أبي ليلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا يحلُّ لمسلمٍ أن يروِّعَ مسلمًا " ( رواه أبو داود ).

7 - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ".... كنا مع رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يومَ الفتحِ. فجعل خالدَ بنَ الوليدِ على المجنبةِ اليمنى. وجعل الزبيرَ على المجنبةِ اليسرى. وجعل أبا عبيدةَ على البياذقةِ وبطنِ الوادي. فقال ( يا أبا هريرةَ! ادعُ ليَ الأنصارَ ) فدعوتهم. فجاءوا يُهرولون. فقال ( يا معشرَ الأنصارِ، هل ترون أوباشَ قريشٍ؟ ) قالوا: نعم. قال ( انظروا. إذا لقيتموهم غدًا أن تحصدوهم حصدًا ) وأخفى بيدِه. ووضع يمينَه على شمالِه. وقال ( موعدكم الصفا ) قال: فما أشرفَ يومئذٍ لهم أحدٌ إلا أناموهُ. قال: وصعد رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الصفا. وجاءت الأنصارُ. فأطافوا بالصفا. فجاء أبو سفيانَ فقال: يا رسولَ اللهِ! أُبيدت خضراءُ قريشٍ. لا قريشَ بعد اليومِ. قال أبو سفيانَ: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ( من دخل دارَ أبي سفيانَ فهو آمنٌ. ومن ألقى السلاحَ فهو آمنٌ. ومن أغلق بابَه فهو آمنٌ ) فقالت الأنصارُ: أما الرجلُ فقد أخذتْه رأفةٌ بعشيرتِه. ورغبةٌ في قريتِه. ونزل الوحيُ على رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ. قال ( قلتم: أما الرجلُ فقد أخذتْه رأفةٌ بعشيرتِه ورغبةٌ في قريتِه. ألا فما اسمي إذا! ( ثلاثُ مراتٍ ) أنا محمدٌ عبدُ اللهِ ورسولُه. هاجرتُ إلى اللهِ وإليكم. فالمحيا محياكم والمماتُ مماتكم ). قالوا: واللهِ! ما قلنا إلا ضنَّا باللهِ ورسولِه. قال ( فإنَّ اللهَ ورسولَه يُصدِّقانكم ويعذرانكم ) " ( رواه مسلم ). \* البياذقة: الجنود المشاة.

8 – عن طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه، أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ كانَ إذا رَأى الهلالَ قالَ: " اللَّهمَّ أهلِلهُ علَينا باليُمنِ والإيمانِ والسَّلامَةِ والإسلامِ ربِّي وربُّكَ اللَّهُ " ( رواه الترمذي ).

9 - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يتقاربُ الزَّمانُ، ويُقبَضُ العِلمُ، وتظهَرُ الفتنُ ويُلقَى الشُّحُّ ويكثرُ الهَرْجُ قالوا وما الهَرْجُ قالَ القتلُ. وفي روايةٍ قالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ: " يَتقاربُ الزَّمانُ ويُقبَضُ العِلمُ " ثمَّ ذكرَ مثلَهُ. وفي روايةٍ يتقاربُ الزَّمانُ وينقصُ العِلمُ وفي روايةٍ: لم يذكُروا ويُلقَى الشُّحُّ. ( رواه مسلم ).

10 – عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لو أنَّ أَهلَ السَّماءِ وأَهلَ الأرضِ اشترَكوا في دمِ مؤمنٍ لأَكبَّهمُ اللَّهُ في النَّارِ " ( رواه الترمذي ).

11 – عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أُمِرتُ أن أُقاتِلَ الناسَ حتى يشهدوا أن لا إلهَ إلا اللهُ وأن محمدًا رسولُ اللهِ، ويقيموا الصلاةَ، ويؤتوا الزكاةَ، فإذا فعلوا ذلك عَصَموا مني دماءَهم وأموالَهم إلا بحقِّ الإسلامِ، وحسابُهم على اللهِ " ( رواه البخاري ).

12 – عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: " لمَّا رجعت إلى رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ مُهاجرةُ البحرِ قالَ: " ألا تحدِّثوني بأعاجيبِ ما رأيتُمْ بأرضِ الحبشَةِ؟ " قالَ فِتيةٌ منهم بلَى يا رسولَ اللَّهِ بينا نحنُ جلوسٌ مرَّت بنا عجوزٌ من عجائزِ رَهابينِهِم تحملُ علَى رأسِها قُلَّةً من ماءٍ فمرَّت بفتًى منهم فجعلَ إحدى يدَيهِ بينَ كتفيها ثمَّ دفعَها فخرَّت علَى رُكْبتَيها فانكسَرت قُلَّتُها فلمَّا ارتفَعتِ التفتَتَ إليهِ فقالَت سوفَ تعلَمُ يا غُدَرُ إذا وضعَ اللَّهُ الكرسيَّ وجمعَ الأوَّلينَ والآخِرينَ وتَكَلَّمتِ الأيدي والأرجلُ بما كانوا يَكْسِبونَ فسوفَ تعلَمُ كيفَ أمري وأمرُكَ عندَهُ غدًا قالَ يقولُ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ: " صدَقَتْ صدَقَتْ كيفَ يقدِّسُ اللَّهُ أمَّةً لا يؤخَذُ لضَعيفِهِم من شديدِهِم " ( رواه بن ماجة ).

13 - عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال: " لم يكن رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم يدعُ هؤلاءِ الدعواتِ حين يُمسي وحين يُصبحُ اللهمَّ إني أسألُك العفوَ والعافيةَ في الدنيا والآخرةِ اللهمَّ إني أسألُك العفوَ والعافيةَ في دِيني ودنيايَ وأهلي ومالي اللهمَّ استُرْ عوراتي وآمِنْ روعاتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذُ بك أن أُغْتَالَ من تحتي " ( رواه بن ماجه ).

14 – عن عبدالله بن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " عَينانِ لا تمَسَّهما النَّارُ: عينٌ بكت من خشيةِ اللهِ، وعينٌ باتت تحرسُ في سبيل اللهِ " ( رواه الترمذي ).

15 – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من أشار إلى أخيه بحديدةٍ، فإنَّ الملائكةَ تلعَنُه. حتَّى وإن كان أخاه لأبيه وأمِّه " ( رواه مسلم ).

16 – عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: " نَهى رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ أن يُتعاطى السَّيفُ مسلولًا " ( رواه الترمذي ).

17 – عن أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها قالت: " ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح، فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره، فسلمت عليه، فقال: ( من هذه ). فقلت: أنا أم هانئ بنت أبي طالب، فقال: ( مرحبا بأم هانئ ). فلما فرغ من غسله قام فصلى ثماني ركعات، ملتحفا في ثوب واحد، فلنا انصرف قلت: يا رسول الله، زعم ابن أمي أنه قاتل رجلا قد أجرته، فلان بن هبيرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ ). قالت أم هانئ: وذاك ضحى " ( رواه البخاري ). وفي رواية لأبي داود والترمذي أنها قالت‏:‏ " أجرت رجلين من أحمائي أي‏:‏ من أقارب زوجي فقال صلي الله عليه وسلم قد أمنا من أمنت‏ ".‏

18 – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " المدينةُ حرمٌ. فمن أحدث فيها حدثًا أو آوى محدثًا فعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين. لا يقبلُ منه يومَ القيامةِ عدلٌ ولا صرفٌ. وفي روايةٍ: مثله. ولم يقلْ: يومَ القيامةِ وزاد: وذمةُ المسلمين واحدةٌ. يسعى بها أدناهم. فمن أخفر مسلمًا فعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين. لا يقبلُ منه يومَ القيامةِ عدلٌ ولا صرفٌ " ( رواه مسلم ).

\* أَخْفَرَ مسلماً: نقضَ عهدَهُ وغَدَر به.

\* لا يقبلُ منه يومَ القيامةِ عدلٌ ولا صرفٌ: قيل في معنى الصرف بأنه التوبة، والعدل الفدية. وقيل: الصرف النافلة، والعدل الفريضة، وجماعها حرمانه من الخير. والله أعلم.

19 - عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من صلَّى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله، فلا تخفروا الله في ذمته " ( رواه البخاري ).

20 – عن نعيم بن مسعود الأشجعي رضي الله عنه قال: " كنتُ عند النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم حين جاءه رسولا مُسَيْلِمَةَ بكتابِه، ورسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقولُ لهما: " وأنتما تقولان مثلَ ما يقولُ؟ ". فقالا: نعم، فقال: " أما واللهِ لولا أنَّ الرُّسلَ لا تقتلُ لضربتُ أعناقَكما: ( رواه البخاري ).

21 – عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: " قُلْنا يومَ الخَنْدَقِ يا رسولَ اللهِ هل مِن شيءٍ نقولُ قد بلَغَتِ القلوبُ الحناجِرَ قال: " نَعَمْ، اللهمَّ استُرْ عَوْراتِنا وآمِنْ رَوْعاتِنا ". قال فضرَب اللهُ عَزَّ وجَلَّ وجوهَ أعدائِنا بالرِّيحِ هزَمهم اللهُ عَزَّ وجَلَّ بالرِّيحِ " ( رواه الهيثمي وقال رجاله ثقات ).

22 – عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " كان إذا انصرف من صلاتِهِ استغفرَ ثلاثًا، ثُمَّ قال: اللهمَّ أنتَ السلامُ، ومنكَ السلامُ، تبارَكْتَ ياذا الجلالُ والإكرامُ " ( صحيح الجامع ).

23 – عن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: " لما سارَ النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عامَ الفتحِ، فبلغَ ذلك قُريشًا، خرج أبو سُفيانَ بْنُ حَرْبٍ، وحَكيمُ بْنُ حِزامٍ، وبُدَيْلُ بْنُ ورْقاءَ، يَلْتَمِسونَ الخبرَ عن رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فأقبلوا يسيرونَ حتى أتوامَرَّ الظَّهْرانِ، فإذا هم بِنيرانٍ كأنها نيرانُ عرفةَ، فقال أبو سفيان: ماهذه، لكأنها نيرانُ عرفَةَ؟ فقال بُدَيْلُ بنُ وَرْقاءَ: نيرانُ بني عَمْرٍو، فقال أبو سفيان: عَمرٌو أقُل من ذلك، فَرآهم ناسٌ مِن حَرَسِ رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فأدْرَكوهم فأخَذوهم، فأتَوْا بهم رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فأسْلَمَ أبو سفيانَ، فلما سارَ قال للعباس: ( احْبِسْ أبا سُفيانَ عِندَ حَطْمِ الخَيْلِ، حتى يَنْظُرَ إلى المُسْلِمِينَ). فحبسهُ العباسُ، فجعلت القبائلُ تَمُرُّ معَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، تَمُرُّ كَتِيبَةً كَتِيبَةً على أبي سُفيانَ، فمرَّتْ كَتِيبَةٌ، قال: يا عباسُ مَن هذه؟ قال: هذه غِفَارُ، قال: مالي ولِغِفَارَ، ثم مرت جُهَيْنَةُ، قال مثل ذلك، ثم مرت سَعْدُ بْنُ هُذَيْمٍ، فقال مثل ذلك، ومرت سُلَيْمُ،، فقال مثلَ ذلكَ، حتى أقبلت كَتِيبَةٌ لَمْ يَرَ مِثْلَهَا، قال: مَن هذِهِ؟ قال: هؤلاء الأنصار، عليهم سَعْدُ بْنُ عُبادَةَ معَهُ الرَّايةُ، فقال سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: يا أبا سفيان، اليومَ يومُ المَلْحَمَةِ، اليومَ تُسْتَحَلُّ الكَعْبَةُ. فقال أبو سفيان: يا عباس حبذا يومُ الدّمارِ. ثم جاءت كَتِيبَة وهيَ أقَلُّ الكَتَائِبِ، فيهم رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وأصحابه، ورايةُ النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مع الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ، فلما مر رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بأبي سُفيانَ قال: ألم تعلم ما قال سَعْدُ بْنُ عُبادَةَ؟ قال: ( ما قال ). قال: كذا وكذا، فقال: ( كذب سعدٌ، ولكن هذا يومٌ يُعَظِّمُ اللَّهُ فيه الكَعْبَةَ، ويَوْمٌ تُكْسَى فيه الكَعْبَةُ ). قال: وأمر رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أن تُرْكَزَ رايَتُهُ بالحَجونِ.قال عُرْوَةُ: وأخبرني نافعُ بنُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قال: سمعت العباس يقول لِلزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ: يا أبا عبدِ اللهِ، ها هنا أمرك رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنْ تَرْكُزَ الرَّايَةَ؟ قال: وأمر رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يومَئذ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كَداءٍ، ودخلَ النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مِن كُدَا، فَقُتِلَ من خَيْلِ الوليد رضي الله عنه يومَئذ رجُلانِ: حُبَيْشُ بْنُ الأَشْعَرِ، وكُرْزُ بْنُ جابِرٍ الفِهْرِيُّ " ( رواه البخاري ).

24 – عن عقبة بن عمرو بن ثعلبة أبو مسعود قال: " أتى النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ رجلٌ، فَكَلَّمَهُ، فجَعلَ ترعدُ فرائصُهُ، فقالَ لَهُ: هوِّن عليكَ، فإنِّي لستُ بملِكٍ، إنَّما أَنا ابنُ امرأةٍ تأكُلُ القَديدَ " ( رواه بن ماجه ).

25 – عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال: " رأيتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يطوفُ بالكعبةِ ويقولُ ما أطيبَك وما أطيبَ ريحَك ما أعظمَك وما أعظمَ حُرمتَك والَّذي نفسُ محمَّدٍ بيدِه لحُرمةُ المؤمنِ عند اللهِ أعظمُ من حُرمتِك مالُه ودمُه " ( رواه المنذري وقال: إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما ).

- بهذه الأحاديث وغيرها في هذا الجانب تركنا النبي صلى الله عليه وسلم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ولا يزيغ عنها إلا هالك. ( المَحَجَّة: المنهج، الطريق مستقيم ).

26 – روي أَنَّ عَائِذَ بنَ عَمْرٍو، وكان مِنْ أصحابِ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسَلَّم دخل على عُبَيْدِ الله بْنِ زيادٍ، فقال: " أَيْ بُنَيَّ، إنِّي سَمِعْتُ رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسَلَّم يقولُ: " إن شرّ الرعاءِ الحُطمةُ ". فإياكَ أن تكونَ منهُم، فقال له: اجلسْ. فإنما أنتَ من نخالة أصحابِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم. فقال: وهل كانت لَهُم نخالةٌ؟ إنما النخالةُ بعدهم، وفي غيرهم " ( رواه مسلم ).

\* الحطمة: هو الشديد الحَطْم كثير الاستبداد.

27 – عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " اللهُمَّ مَنْ ولِي من أمْرِ أُمَّتِي شيئًا فَشَقَّ عليهم فاشْقُقْ علَيهِ، ومَنْ ولِيَ من أمرِ أُمَّتِي شيئًا فَرَفَقَ بِهمْ فارْفُقْ بِهِ " ( صحيح الجامع ).

- رابعاً: بعض المواقف من حياة الصحابة والتابعين في منظومة الأمن: من المعروف أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين هم أصدق الناس إيماناً بالله تعالى وأكثر الناس حباً واتباعاً للنبي صلى الله عليه وسلم ولذلك تشربوا ما جاء في القرآن الكريم وفي سنة النبي صلى الله عليه وسلم وترجموهما ترجمة عملية مازلنا نشم شذاها وعبقها إلى يومنا هذا.

1 – جاء في تاريخ الطبري: " فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهو خليفة الرسول صلى الله عليه وسلم وقف في جيش أسامة خطيبًا فقال: " أيها الناس، أوصيكم بعشر فاحفظوها عني: لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلًا صغيرًا ولا شيخًا كبيرًا ولا امرأة، ولا تعقروا نخلًا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرًا إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم شيئًا بعد الشيء فاذكروا اسم الله عليه، وتلقون أقوامًا قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم بالسيف خفقًا.. اندفعوا باسم الله ".

2- عن أبي فراس قال: " خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: " يا أيها الناس ألا إنا إنما كنا نعرفكم إذ بين ظهرينا النبي صلى الله عليه وسلم وإذ ينزل الوحي وإذ ينبئنا الله من أخباركم ألا وإن النبي صلى الله عليه وسلم قد انطلق وقد انقطع الوحي وإنما نعرفكم بما نقول لكم من أظهر منكم خيراً ظننا به خيراً وأحببناه عليه ومن أظهر منكم لنا شراً ظننا به شراً وأبغضناه عليه سرائركم بينكم وبين ربكم ألا إنه قد أتى علي حين وأنا أحسب أن من قرأ القرآن يريد الله وما عنده فقد خيل إلي بآخرة ألا إن رجالاً قد قرءوه يريدون به ما عند الناس فأريدوا الله بقراءتكم وأريدوه بأعمالكم ألا إني والله ما أرسل عمالي إليكم ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم ولكن أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم فمن فُعِل به شيء سوى ذلك فليرفعه إلي فوالذي نفسي بيده إذن لأقصنه منه فوثب عمرو بن العاص فقال يا أمير المؤمنين أورأيت إن كان رجل من المسلمين على رعية فأدب بعض رعيته أئنك لمقتصه منه قال إي والذي نفس عمر بيده إذن لأقصنه منه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ولا تجمروهم فتفتنوهم ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم ".

\* جَمَّرَ الأَميرُ الجَيْشَ: جمعهم في الثُّغورِ وحبَسَهُمْ عن العَودِ إلى أَهليهم.

\* الغياض: المواضعُ التي يكثر فيها الشجرُ والماء.

3 - يذكر المؤرخون أن حمامة باضت في فسطاط عمرو بن العاص، والي مصر آنذاك، فلما عزم على الرحيل، أمر عماله أن يخلعوا الفسطاط، فلفت أنظارهم عش حمامة فيه بيض لم يفرخ بعد، فلم يزعجوا الحمامة، وعرضوا الأمر على عمرو فقال: " لا تزعجوا طائراً نزل بجوارنا، وحل آمناً في رحالنا، أجّلوا العمل حتى تفرخ وتطير ".

- هذه مجرد نماذج للمثال لا للحصر لنرى منا أثر التربية على مائدة القرآن في مدرسة النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

وختاماً: إن الإنسان إذا كان قريباً من ربه، ينهل من معين كتابه ويقتدي برسوله صلى الله عليه وسلم عاش سعيداً آمناً مُطمئناً ولو تناوشته وحوش الأرض وسباعها. وإذا عاش بعيداً عن هذا المعين الرقراق الصافي عاش هائماً على وجهه قلقاً مُضطرباً تتناوشه الهموم ويقض مضجعه الأرق وإن حوته القصور وحصنته الجيوش.

يقول الشاعر محمد إقبال رحمه الله:

إذا الإيمان ضاع فلا أمان \*\*\* ولا دنيا لمن لم يحي دينا

ومن رضي الحياة بغير دين \*\*\* فقد جعل الفناء لها قرينا

--------------------------------------

اللهم ألبسنا حُلة الإيمان وزينها بالأمن والأمان حتى نكون في كنفك وأمنك في الدنيا وفي جنتك ونعيمك ومستقر رحمتك في الآخرة.

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

## الثمرة الخامسة: الحرية في الإسلام

إن الحرية كلمة يتغنى بها الشعراء ويؤلف فيها الأدباء ويحلم بها السجناء ويضحي من أجلها الشرفاء ويفرغها من مضمونها وبهائها الأدعياء ويطاردها ويحجبها عن الناس الجبناء ولكنها منحة كفلها لكل الخلق رب السماء.

إن الإنسان يولد حراً دون قيود تكبله أو أن تمنعه من أن ينعم بالحياة الحرة الكريمة وقد كفله الله تعالى العقل والفطرة السوية التي بهما يتجه نحو خالقه ويعرف أن شجرة الحرية لكي تدوم وتنموا وتترعرع في داخله لابد لها من تشريعات تهذبها وتحافظ عليها وبدونها ستذبل هذه الحرية وتموت وحينها سيلهث الإنسان وراء حرية مزعومة يتخيلها في نفسه فما يجد نفسه إلا في مزيد من الوحل الذي يلطخه والقيود التي تكبله والهموم التي تحيطه من كل اتجاه.

ومظلة الحرية في الإسلام تسع الجميع دون استثناء لدين أو عِرق أو لون طالما أن الجميع يحترمون ضوابط الحرية التي أقرها الإسلام وارتضاها من يعيشون على أرض الإسلام.

أولاً: تعريف الحرية: إن مفهوم الحرية مفهوم واسع وعميق ويحاول البعض أن يجعله هلامياً وفضفاضاً ولكنه في الإسلام مفهوم دقيق وواضح المعالم.

- جاء في معجم المعاني الجامع تعريف الحرية بأنها: الخلُوص من الشَّوائب أَو الرقّ أَو اللُّؤْم.

- وجاء أيضاً: الحُرِّيَة: حالة يكون عليها الكائن الحيّ الذي لا يخضع لقهر أو قيد أو غلبة ويتصرّف طبقًا لإرادته وطبيعته، خلاف عبوديّة.

- وفيه أيضاً: الحُرِّيَة: مذهب سياسيّ يقرّر وجوب استقلال السُّلطة التَّشريعيّة والسُّلطة القضائيّة عن السُّلطة التَّنفيذيّة ويعترف للمواطنين بضروب مختلفة من الضَّمان تحميهم من تعسُّف الحكومات، نقيض مذهب الاستبداد بالسُّلطة

- وفيه أيضاً: حُرِّيَّات مدنيَّة: حقوق فرديَّة أساسية منها حريَّة التّعبير، وحريَّة الدين، يقوم القانون بحمايتها ضدّ تدخلات غير مسموحة سواء حكوميَّة أو غيرها.

- وجاء في كتاب أحكام القرآن للجصاص رحمه الله: " تحرير رقبة يعني عتق رقبة، وتحريرها ايقاع الحرية عليها، وذكر الرقبة وأراد به جملة الشخص تشبيها له بالاسير الذي تفك رقبته ويطلق فصارت الرقبة عبارة عن الشخص وكذلك قال اصحابنا إذا قال رقبتك حرة انه يعتق كقوله أنت حر ".

- وقال ابو حامد الغزالي رحمه الله: " الحر من يصدر منه الفعل مع الارادة للفعل على سبيل الاختيار، على العلم بالمراد ".

- وقال الشيخ ابو زهرة رحمه الله أن: " الحر حقاً هو الشخص الذي تتجلى فيه المعاني الانسانية العالية، الذي يعلو بنفسه عن سفاسف الامور، ويتجه إلى معاليها ويضبط نفسه، فلا تنطلق اهواؤه ولا يكون عبدا لشهوة معينة، بل يكون سيد نفسه، فالحر من يبتدئ بالسيادة على نفسه، ومتى ساد نفسه وانضبطت أهواؤه وأحاسيسه يكون حراً بلا ريب ".

- وعرَّف المفكر السوري عبد الرحمن الكواكبي رحمه الله الحرية قائلاً: " بان يكون الإنسان مُختاراً في قوله وفعله، لا يعترضه مانع ظالم ".

- وفي المقابل نجد هناك نعرات في عصرنا الحديث تنادي بما يسمونه ( الليبرالية ) أو ( التحرر ) ويقصدون بهذا ( التحرر ) تحرر البشرية من أي قيود خارجية تقيد حريتها وتحد من تصرفاتهم ومعتقداتهم الحرة المنفتحة حتى ولو كانت هذه القيود شرائع سماوية.

- جاء في الموسوعة الأكاديمية الأمريكية: " إن النظام الليبرالي الجديد ( الذي ارتسم في فكر عصر التنوير ) بدأ يضع الإنسان بدلاً من الإله في وسط الأشياء، فالناس بعقولهم المفكرة يمكنهم أن يفهموا كل شيء، ويمكنهم أن يطوروا أنفسهم ومجتمعاتهم عبر فعل نظامي وعقلاني ".

- وقد عرفها الفيلسوف والمحلل السياسي السويسري ( جان جاك روسو ) بأنها: " الحرية الحقة في أن نطبق القوانين التي اشترعناها نحن لأنفسنا ".

- وعرفها الفيلسوف الإنجليزي توماس (هوبز) بأنها: " غياب العوائق الخارجية التي تحد من قدرة الإنسان على أن يفعل ما يشاء ".

- وعرَّفها المفكر اليهودي ( هاليفي ) بأنها: " الاستقلال عن العلل الخارجية، فتكون أجناسها: الحرية المادية والحرية المدنية أو السياسية، والحرية النفسية والحرية الميتافيزيقية ( الدينية ) ".

- وفي ظل هذه المفاهيم المغلوطة نرى حرية الإلحاد، وحرية السلوك ( أي حرية الدعارة والفجور ) ونرى من يتبنون مباديء وقوانين وتشريعات ما أنزل الله تعالى بها من سلطان ولكنهم يريدون أن يجروا البشرية إليها قسراً.

- يقول " دونالد سترومبرج " في كتاب ( تاريخ الفكر الأوروبي الحديث ): " والحق أن كلمة الليبرالية مصطلح عريض وغامض، شأنه في ذلك شأن مصطلح الرومانسية، ولا يزال حتى يومنا هذا على حالة من الغموض والإبهام ".

- إن دُعاة الليبرالية يريدون أن يفرغوا الدين من مضمونه ومن الغاية التي نزل من أجلها فهم يريدون أن يفسروا النصوص التشريعية وفق ما يعتنقونه من أفكار وبالتالي فهم يرفضون بعض النصوص المعلومة من الدين بالضرورة مثل ( الميراث – الزواج – تعدد الزوجات – الحجاب – الجهاد – الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – الشورى.......... الخ ).

ومن المضحكات المبكيات أن دعاة الليبرالية والتحرر هم من يتهكمون ويسخرون من آراء ومعتقدات وتصرفات معارضيهم ويعتبرونهم يعيشون ظلامية وردة فكرية.

- يقول الشيخ القرضاوي في كتابه " الحلول المستوردة وكيف جنت على امتنا ": " فالانسان الذي يُساق إلى غير ما يريد ويٌكره على غير ما يحب ويجرع من الافكار والانظمة ما لا يقبله ولا يستسيغه بحال لا يمكن أن يكون سعيداً، ثم ان السعادة لا تتم إلاّ بالأمن، ومن لا حرية له لا أمن له ".

- حقيقة إن الحرية لا ينبغي أن تكون بلا ضوابط أو حدود وإلا كان الإنسان والعجماوات سواء. إن الضوابط والحدود التي تمنع إنساناً من أن يتعدى على حرية غيره في نفسه وماله وعرضه هي نفسها التي تمنع الآخرين من أن التعدي عليه في نفسه وماله وعرضه وبالتالي نجد المجتمع مُنسجماً مُتناسقاً ينعم بالأمن والأمان والحرية والسعادة لأن الجميع يغرد تغريدة واحدة ويعزف سيمفونية مفادها أنه لا شيء يعلوا فوق الحرية التي ارتضاها الله تعالى لعباده.

ثانياً: منظومة الحرية في القرآن الكريم: لقد قدم القرآن الكريم منظومة متكاملة للحرية بداية من حرية الاعتقاد والعبادة مروراً بتوسيع أبواب العتق وتضييق أبواب الرق وانتهاءً بضوابط التعامل مع الرقيق ومراعاة آدميتهم وحقوقهم الفطرية.

أ) جاء الإسلام لتحرير الإنسان من كل مظاهر الرق والعبودية إلا العبودية لله تعالى وحده:

1- قال تعالى: " إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ {5} " ( الفاتحة 5 ).

2- قال تعالى: " أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ {133} " ( البقرة 133 ).

3- قال تعالى: " قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ {64} " ( آل عمران 64 ).

4- قال تعالى: " قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ قُل لاَّ أَتَّبِعُ أَهْوَاءكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ {56} " ( الأنعام 56 ).

5- قال تعالى: " قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلاَ أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ {104} " ( يونس 104 ).

6- قال تعالى: "... قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ {36} " ( الرعد من الآية 36 ).

7- قال تعالى: " وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ {35} " ( إبراهيم 35 ).

8- قال تعالى: " إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ {91} " ( النمل 91 ).

9- قال تعالى: " وَمَا لِي لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ {22} أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَن بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلاَ يُنقِذُونِ {23} " ( يس 22 – 23 ).

10- قال تعالى: " قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ {11} وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ {12} قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ {13} قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِي {14} فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ {15} " ( الزمر 11 – 15 ).

11- قال تعالى: " قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ {64} وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ {65} بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنْ الشَّاكِرِينَ {66} " ( الزمر 64 – 66 ).

12- قال تعالى: " قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ {66}‏ " ( غافر 66 ).

13- قال تعالى: " قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ {1} لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ {2} وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ {3} وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ {4} وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ {5} لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ {6}‏ " ( سورة الكافرون ).

ب) جعل الله تعالى الإيمان به وبرسله دون إكراه أو إجبار بل طواعية وبحرية كاملة:

1- قال تعالى: " لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ {256} " ( البقرة 256 ).

- عن ابن عباس رضي الله عنه قال: " كانت المرأة تكون مقلاتاً فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا لا ندع أبناءنا فأنزل الله عز وجل: ( لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ) قال أبو داود المقلات التي لا يعيش لها ولد.

- قد يتشدق البعض ويقول بأن حكم الإسلام بقتل المرتد يتنافى مع الحرية، وعلى هؤلاء نرد بما قاله العلامة التونسي محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله حيث قال: " وليس هذا الحكم بقادح في أصل حرية الاعتقاد ؛ لأن الداخل في الإسلام قد كان على حريته في اعتقاده قبل دخوله فيه، فلما دخل في الإسلام صار غير حرٍّ في خروجه منه ؛ لقيام معارض الحرية ؛ لأن الارتداد يؤذن بسوء طوية المرتد من قبل ؛ فإنه لا يتصور أن يجد بعد إيمانه دينًا آخر أنفذ إلى القلب من الإيمان، فتعين أن يكون دخوله في الإيمان لقصد التجسس، أو لقصد التشويه بالدين في نظر من لم يؤمنوا به ؛ ليوهمهم أنه دين لا يستقر متبعه عليه بعد أن يعرفه.. وقد يكون الارتداد لمجرد الاستخفاف والسخرية بالإسلام. وحرمة الله توجب الذب عن دينه في مثل هذا، على أن عدم المؤاخذة به يفضي إلى انحلال الجامعة، كما وقع في ردة العرب لو لم يؤخذوا بالصرامة. أما حرية الاعتقاد نحو غير الداخلين في الإسلام فلم يحمل الإسلام أهل الملل على تبديل أديانهم، بل اقتنع منهم بالدخول تحت سلطانه، وبدعائهم على الدخول في الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن.

ج ) حرية الاعتقاد من أهم مظاهر الدين الإسلامي:

1- قال تعالى: " وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ.... {29} " ( الكهف من الآية 29 ).

2- قال تعالى: " وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ {99} " ( يونس 99 ).

3- قال تعالى: " فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ..... {48} " ( الشورى من الآية 48 ).

4- قال تعالى: " فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ {21} لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ {22} " ( الغاشية 21 – 22 ).

د) الحرية والبراءة من العيوب والطُّهر من الذنوب أقصى غاية يتمناها الإنسان لنفسه ولذريته:

1- قال تعالى: " إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ {35} " ( آل عمران 35 ).

- قال الزجاج رحمه الله: " هذا قول امرأة عمران ومعناه جعلته خادماً يخدم في متعبداتك، وكان ذلك جائزاً لهم، وكان على أولادهم فرضاً أن يطيعوهم في نذرهم، فكان الرجل ينذر في ولده أن يكون خادماً يخدمهم في متعبدهم ولعبادهم، ولم يكن ذلك النذر في النساء إنما كان في الذكور، فلما ولدت امرأة عمران مريم قالت رب إني وضعتها أنثى وليست الأنثى مما تصلح للنذر، فجعل الله من الآيات في مريم لما أراده من أمر عيسى، عليه السلام، أن جعلها متقبلة في النذر فقال تعالى: " فتقبلها ربها بقبول حسن ".

- وفي تفسير هذه الآية قال القرطبي رحمه الله: " من الآية الكريمة الخاصة بمريم ( عليها السلام ) واحدة من معاني الحرية، إذ أن: قوله تعالى ( مُحرراً ) ماخوذ من الحرية التي هي ضد العبودية، من هذا تحرير الكتاب وهو تخليصه من الاضطراب والفساد ".

ه) سمَّى الله تعالى بيته الحرام أطهر بقاع الأرض ب " البيت العتيق ":

1- قال تعالى: " ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ {29} " ( الحج 29 ).

2- قال تعالى: " لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ {33} " ( الحج 33 ).

- جاء في تفسير القرطبي رحمه الله: وقيل: عتيقاً لان الله أعتقه من أن يتسلط عليه جبار بالهوان إلى انقضاء الزمان، قال معناه ابن الزبير ومجاهد. وفى الترمذي عن عبد الله بن الزبير قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إنما سمى البيت العتيق لأنه لم يظهر عليه جبار " ( حسن صحيح ).

- وقال أيضاً: وقالت فرقة: سمى عتيقاً لان الله عز وجل يعتق فيه رقاب المذنبين من العذاب.

- وقيل: سُمِّى عتيقاً لأنه أعتق من غرق الطوفان، قاله ابن جبير.

- ومن هنا نفهم أن تحرير الأرض والمقدسات لا يقل أهمية عن تحرير الإنسان نفسه بل أكثر من ذلك بكثير لأنه إذا قيدت حرية فرد أو حرية شعب فربما تنتفض الأمة لتعيد إليه حريته أما مقدسات الأمة إذا دُنِّست فيعد ذلك سُبَّة في جبين الأمة كلها ووصمة لا تزول حتى تطهَّر المقدسات وتنال الأرض حريتها واستقلالها.

و) لقد ضيق الله تعالى روافد الرق والعبودية بأن جعل عتق الرقاب من الكفارات:

1- قال تعالى: " وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَئاً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَئاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُواْ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مْؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةً فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللّهِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً {92} " ( النساء 91 ).

2- قال تعالى: " وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ {3} " ( المجادبة 3 ).

3- قال تعالى: " لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُواْ أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ {89}‏ " ( المائدة 89 ).

4- قال تعالى: " فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ {11} وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ {12} فَكُّ رَقَبَةٍ {13} أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ {14} يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ {15} أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ {16} " ( البلد 11 – 16 ).

ز) لقد فتح الله تعالى الباب على مصراعيه لتخليص العبيد من الرق والعبودية حين جعل الإنفاق لتحرير العبيد مصرفاً من مصارف الزكاة:

- قال تعالى: " إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ {60} " ( التوبة 60 ).

ح ) حث الله تعالى من يمتلكون عبيداً أن يرأفوا بهم بمكاتبتهم على العتق بل وأمرهم بالتصدق عليهم ومساعدتهم على تحرير أنفسهم:

- قال تعالى: "...... وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ...... {33} " ( النور من الآية 33 ).

ط) بالرغم من أن الرق والعبودية من الأشياء التي تعافها النفس السوية وينظر إليها المجتمع نظرة دونية إلا أن الله تعالى رفع قدر العبد أو الأمة المؤمنَين عن أمثالهما المشركَين ولو كانا أحراراً:

1- قال تعالى: " وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلاَ تُنكِحُواْ الْمُشِرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللّهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ {221} " ( البقرة 221 ).

ي) للحفاظ على حق العبيد والإماء لم يجعل الله تعالى دية الأحرار من العبيد أو الإماء لأن ذلك سيكون سهلاً على الأسياد فيتوسعوا في ذلك وعندها تضيع حقوق العبيد والإماء وتهدر كرامتهم وتراق دمائهم:

- قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاء إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ {178} " ( البقرة 178 ).

ك) حفاظاً على كرامة الإماء وأدميتهن نهي الله تعالى عن إكراههن على الوقوع في الرذيلة:

- قال تعالى: "...... وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاء إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {33} " ( النور من الآية 33 ).

ل) رغب الإسلام في نكاح ( الأمة ) عند الفقر وعدم السعة في الرزق:

- قال تعالى: " وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مِّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {25} " ( النساء 25 ).

يقول الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: " نبه تعالى على تخفيف في النكاح وهو نكاح الامة لمن لم يجد الطول ". والطول فسره أكثر العلماء على أنه ( السعة والغنى ).

م) حث الله تعالى على تزويج العبيد والإماء وعدم حرمانهم من هذا المطلب الفطري وذلك في حالة صلاحهم ومصلحتهم:

- قال تعالى: " وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ {32} " ( النور 32 ).

- بعد هذا الاستعراض لمنظومة الحرية في القرآن الكريم نجد أنه ليس هناك تشريع على وجه الأرض يضارع الإسلام في الحفاظ على الحرية ومراعاة حقوق الإنسان. وليس هناك مجتمعاً حرص على هذا الجانب أكثر من المجتمع المسلم.

- ثالثاً: منظومة الحرية في السنة النبوية المطهرة: لقد بينت السنة النبوية المفهوم الشامل والدقيق للحرية وبهذا المفهوم تحرك النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام فقدموا للبشرية نماذجاً لم ولن توجد إلا على يد من اهتدى بهدي النبي صلى الله عليه وسلم وسار على نهج صحابته الكرام.

- قال الكتاني - رحمه الله - في كتابه ( التراتيب الإدارية ) أن الرسول صلى الله عليه وسلم أعتق 63 نسمة، وأعتقت عائشة رضي الله عنها 69 نسمة، وأعتق أبو بكر كثيرًا، وأعتق العباس سبعين عبدًا، وأعتق عثمان عشرين، وأعتق حكيم بن حزام مائة، وأعتق عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ألفًا، وأعتق عبد الرحمن بن عوف ثلاثين ألف نسمة.

1 - عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: سألتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: أيُّ العملِ أفضلُ؟ قال: " إيمانٌ باللهِ، وجهادٌ في سبيلِه ". قلتُ: فأيُّ الرقابِ أفضلُ؟ قال: " أغلاها ثمنًا، وأنفسُها عِندَ أهلِها ". قلتُ: فإن لم أفعَلْ؟ قال: " تُعينُ صانعًا، أو تصنَعُ لأخرَقَ ". قلت: فإن لم أفعَلْ؟ قال: " تدَعُ الناسَ من الشرِّ، فإنها صدقةٌ تصدَّقُ بها على نفسِك " ( رواه البخاري )

2 - عن عمران بن الحصين رضي الله عنه أنَّ رجلًا أعتق ستةَ مملوكين له عند موتِه. لم يكن له مالٌ غيرُهم. فدعا بهم إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ. فجزَّأهم أثلاثًا. ثم أقرع بينهم. فأعتق اثنَين وأرَقَّ أربعةً. وقال له قولًا شديدًا " ( رواه مسلم ).

- عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: " مرضتُ، فعادني النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، ادعُ اللهَ لي أن لا يردني على عقبي، قال: " لعل اللهَ يرفعُك، وينفع بك ناسًا ". قلتُ: أريد أن أوصيَ، وإنما لي ابنةٌ، قلت: أوصي بالنصفِ؟ قال: " النصفُ كثيرٌ ". قلت: فالثلثُ؟ قال: " الثلثُ، والثلثُ كثيرٌ، أو كبيرٌ ". قال: فأوصى الناسَ بالثلثِ، فجاز ذلك لهم " ( رواه البخاري ).

- وعن ابنِ عباسٍ رضي الله عنه قال: " لو أنَّ الناسَ غضُّوا من الثلثِ إلى الربُعِ، فإنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال: " الثلثُ. والثلثُ كثيرٌ ". وفي حديثِ وكيعٍ " كبيرٌ أو كثيرٌ " ( رواه مسلم ).

3 - عن سفينة أبو عبدالرحمن مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " كنتُ مملوكًا لأمِّ سلمةَ فقالت: " أعتقُكَ وأشترطُ عليْكَ أن تخدمَ رسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ما عشت ". فقلتُ: إن لم تشترطي عليَّ ما فارقتُ رسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ما عشتُ فأعتقتني واشترطت عليَّ " ( رواه أبو داود ).

4 – عن علي بن أبي طالب وعبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " المكاتبُ يعتقُ منه بقدرِ ما أدَّى ويقامُ عليْهِ الحدُّ بقدرِ ما عتقَ منه ويرثُ بقدرِ ما عتقَ منه " ( رواه ابن حزم ).

5 - عبدالله بن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إذا أصابَ المكاتبُ حدًّا أو ميراثًا ورِثَ بحسابِ ما عتقَ منه وأقيمَ عليْهِ الحدُّ بحسابِ ما عتقَ منه " ( رواه ابن حزم ).

6 – عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من أعتق شركًا له في عبدٍ، فكان له مالٌ يبلغُ ثمنَ العبدِ، قُوِّمَ عليه قيمةَ العدلِ، فأعطى شركاءَه حِصَصَهم، وعتقَ عليهِ العبدَ، وإلا فقد عَتَقَ منه ما عتقَ " ( رواه مسلم ).

7 - عن كعب بن مرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أيما امرئ مسلم أعتق امرءا مسلما كان فكاكه من النار يجزى بكل عضو منه عضوا منه وأيما امرئ مسلم أعتق امرأتين مسلمتين كانتا فكاكه من النار تجزى بكل عضو منهما عضوا منه وأيما امرأة مسلمة كانت فكاكها من النار تجزى كل عضو منها " ( رواه الترمذي ).

8 - عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يجزى ولد والدا إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه " ( رواه مسلم والترمذى وابن ماجة والنسائى ).

9 - عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبى صلى الله عليه وسلم وآمن به واتبعه وصدقه فله أجران وعبد مملوك أدى حق الله وحق سيده فله أجران ورجل كانت له أمة فغذاها فأحسن غذاءها ثم أدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران " ( رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى ).

10 – عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: " جاءت بريرة فقالتْ: إني كاتبت أهلي على تسع أواق، في كل عام أوقية، فأعينيني، فقالتْ عائشة: إن أحب أهلك أن أعدها لهم عدة واحدة وأعتقك فعلت، ويكون ولاؤك لي. فذهبت إلى أهلها فأبوا ذلك عليها، فقالتْ: إني قد عرضت ذلك عليهم، فأبوا إلا أن يكون الولاء لهم، فسمع بذلك رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فسألني فأخبرته، فقال: " خذيها فأعتقيها، واشترطي لهم الولاء، فإنما الولاء لمن أعتق ". قالتْ عائشة: فقام رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في الناس فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: " أما بعد، فما بال رجال منكم يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله، فأيما شرط ليس في كتاب الله فهو باطل، وإن كان مائة شرط، فقضاء الله أحق وشرط الله أوثق، ما بال رجال منكم يقول أحدكم: أعتق يا فلان ولي الولاء، فإنما الولاء لمن أعتق " ( رواه البخاري ).

11 - عن سعد مولى أبي بكر وكان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم وكان يعجبه خدمته فقال يا أبا بكر أعتق سعدا فقال يا رسول الله ما لنا ماهِن غيره قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعتق سعدا أمك الرجال أعتق سعدا أمك الرجال " ( رواه الهيثمي ).

12 – عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه أنَّ العاصَ بنَ وائلٍ أوصَى أن يُعتَقَ عنهُ مائةُ رقبةٍ فأعتقَ ابنُهُ هشامٌ خمسينَ رقبةً فأرادَ ابنُهُ عمرٌو أن يعتِقَ عنهُ الخمسينَ الباقيةَ فقالَ حتَّى أسألَ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ فأتَى النَّبيَّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ فقالَ يا رسولَ اللَّهِ إنَّ أبي أوصَى بِعتقِ مائةِ رقبةٍ وإنَّ هشامًا أعتقَ عنهُ خمسينَ وبقيَت علَيهِ خمسونَ رقبةً أفأُعتِقُ عنهُ؟ فقالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: " إنَّهُ لَو كانَ مسلِمًا فأعتقتُم عنهُ أو تصدَّقتُم عنهُ أو حجَجتُم عنهُ بلغَهُ ذلِكَ " ( رواه أبو داود وحسنه الألباني ).

13 - عن حكيمَ بنَ حِزامٍ رضي الله عنه أنه أَعْتَقَ في الجاهليةِ مائةَ رقبةٍ وحَمَل على مائةِ بعيرٍ، فلما أسْلَم حمَلَ على مائةِ بعيرٍ وأَعْتَقَ مائةَ رقبةٍ قال: فسألتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فقلتُ يا رسولَ اللهِ أرأيتَ أشْياءَ كنتُ أصنَعُها في الجاهليّةِ، كنتُ أتَحَنَّثُ بها؟ " - يعني - أتبرَّرُ بها " قال: فقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: " أسلمْتَ على ما سَلِفَ لك مِن خيرٍ " ( رواه البخاري ).

14 – عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رجلًا وقع بامرأتِه في رمضانَ. فاستفتى رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عن ذلك. فقال: " هل تجدُ رقبةً؟ " قال: لا. قال: " وهل تستطيعُ صيامَ شهرين؟ " قال: لا. قال: " فأطعم ستين مسكينًا ". وفي روايةٍ: أنَّ رجلًا أفطرَ في رمضانَ. فأمرَه رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أن يُكفِّرَ بعتقِ رقبةٍ " ( رواه مسلم ).

15 – عن أم سلمة هند بنت أبي أمية رضي الله عنه قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا كان عند مُكاتَبِ إحداكنَّ ما يُؤدِّي فلْتَحْتَجِبْ منه " ( رواه الترمذي ).

16 - عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الطائف: " من خرج إلينا من العبيد فهو حر " فخرج عبيد من العبيد فيهم أبو بكرة فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ( رواه أحمد ).

17 – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " نهى النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عن كَسبِ الإماءِ " ( رواه البخاري ). وفي رواية بن دقيق قال: نهَى رسولُ اللهِ عن كسبِ الإماءِ مخافةَ أن يبغِينَ ".

18 – عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: " كان عبدُ اللهِ بنُ أُبيِّ بنِ سَلولٍ يقول لجاريةٍ له: اذهَبي فابغِينا شيئًا. فأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ: " وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاء إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ ( لهن ) غَفُورٌ رَّحِيمٌ {33} " ( النور 33 ) ( رواه مسلم ).

19 – عن صفية بنت أبي عبيد رضي الله عنه قالت: " خرجت امرأة مختمرة متجلببة، فقال عمر رضي الله عنه: من هذه المرأة؟ فقيل له: هذه جارية لفلان رجل من بنيه، فأرسل إلى حفصة رضي الله عنها، فقال: ما حملك على أن تخمري هذه الأمة وتجلببيها وتشبهيها بالمُحصنات، حتى هممت أن أقع بها لا أحسبها من المُحصنات، لا تشبهوا الإماء بالمحصنات " ( رواه البيهقي ).

20 - عن أبي هريرة و زيد بن خالد الجهني رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إذا زنت الأمةُ فاجلدوها، ثم إذا زنت فاجلدوها، ثم إذا زنت فاجلدوها - في الثالثةِ أو الرابعةِ - بيعوها ولو بضفيرٍ " ( رواه البخاري )

21 - عن أبي الدرداءِ أنه كان يقولُ للناسِ نحن أعرفُ بكم من البياطرةِ بالدوابِّ قد عرفْنا خيارَكم من شرارِكم أما خيارُكم فالذي يُرجَى خيرُه ويُؤمن شرُّه وأما شرارُكم فالذي لا يُرجَى خيرُه ولا يؤمن شرُّه ولا يُعتَقُ محرَّرُه " ( قال الألباني: صحيح الإسناد موقوفا ).

22 – جاء في السيرة النبوية لابن هشام في ذكره عن فضل أبو بكر الصديق رضي الله عنه في تحرير الصحابي الجليل بلال بن رباح رضي الله عنه وغيره من العبيد، قال ابن إسحاق ‏‏:‏‏ " وحدثني هشام بن عروة عن أبيه، قال ‏‏:‏‏ كان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعذب بذلك، وهو يقول ‏‏:‏‏ أحد أحد ؛ فيقول ‏‏:‏‏ أحد أحد والله يا بلال، ثم يقبل على أمية بن خلف، ومن يصنع ذلك به من بني جمح، فيقول ‏‏:‏‏ أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لأتخذنه حنانا، حتى مر به أبو بكر الصديق ابن أبي قحافة رضي الله عنه يوماً، وهم يصنعون ذلك به، وكانت دار أبي بكر في بني جمح، فقال لأمية بن خلف ‏‏:‏‏ ألا تتقي الله في هذا المسكين ‏‏؟‏‏ حتى متى ‏‏؟‏‏ قال ‏‏:‏‏ أنت الذي أفسدته فأنقذه مما ترى ؛ فقال أبو بكر ‏‏:‏‏ أفعل، عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى، على دينك، أعطيكه به ؛ قال ‏‏:‏‏ قد قبلت، فقال ‏‏:‏‏ هو لك ‏‏.‏‏ فأعطاه أبو بكر الصديق رضي الله عنه غلامه ذلك، وأخذه فأعتقه " ‏‏.‏‏

- وجاء في السيرة النبوية لابن هشام أيضاً: " ثم أعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر إلى المدينة ست رقاب، بلال سابعهم عامر بن فهيرة، شهد بدراً وأُحداً، وقتل يوم بئر معونة شهيداً ؛ وأم عُبيس وزِنِّيرة، وأصيب بصرها حين أعتقها، فقالت قريش ‏‏:‏‏ ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى ؛ فقالت ‏‏:‏‏ كذبوا وبيت الله ما تضر اللات والعزى وما تنفعان، فرد الله بصرها ‏‏.‏‏

وأعتق النهدية وبنتها، وكانتا لامرأة من بني عبدالدار، فمر بهما وقد بعثتهما سيدتهما بطحين لها، وهي تقول ‏‏:‏‏ والله لا أعتقكما أبداً، فقال أبو بكر رضي الله عنه ‏‏:‏‏ حل يا أم فلان ؛ فقالت ‏‏:‏‏ حل، أنت أفسدتهما فأعتقهما ؛ قال ‏‏:‏‏ فبكم هما ‏‏؟‏‏ قال ‏‏:‏‏ بكذا وكذا ؛ قال ‏‏:‏‏ قد أخذتهما وهما حرتان، أرجعا إليها طحينها، قالتا ‏‏:‏‏ أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليها ‏‏؟‏‏ قال ‏‏:‏‏ وذلك إن شئتما ‏‏.‏‏

ومر بجارية بني مؤمل، حي من بني كعب، وكانت مسلمة، وعمر بن الخطاب يعذبها لتترك الإسلام، وهو يومئذ مشرك وهو يضربها، حتى إذا مل قال ‏‏:‏‏ إني أعتذر إليك، إني لم أتركك إلا ملالة ؛ فتقول ‏‏:‏‏ كذلك فعل الله بك ‏‏.‏‏ فابتاعها أبو بكر، فأعتقها ‏‏.‏‏

قال ابن إسحاق ‏‏:‏‏ وحدثني محمد بن عبدالله بن أبي عتيق، عن عامر بن عبدالله بن الزبير، عن بعض أهله، قال ‏‏:‏‏ قال أبو قحافة لأبي بكر ‏‏:‏‏ يا بني، إني أراك تعتق رقاباً ضِعافاً، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالاً جلداً يمنعونك ويقومون دونك ‏‏؟‏‏ فقال أبو بكر رضي الله عنه ‏‏:‏‏ يا أبت، إني إنما أريد ما أريد، لله ‏عز وجل ‏‏.‏‏ قال ‏‏:‏‏ فيُتحدث أنه ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيه، وفيما قال له أبوه ‏‏:‏‏ ‏‏" فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى {5} وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى {6} " ‏‏‏‏.‏‏‏‏.‏‏‏‏.‏‏ إلى قوله تعالى ‏‏:‏‏ ‏‏" وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى {19} إِلَّا ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى {20} وَلَسَوْفَ يَرْضَى {21}‏ " ‏‏.‏‏

23 - عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يقولنَّ أحدُكم عبدي وأمَتي. كلُّكم عبيدُ اللهِ. وكلُّ نسائِكم إماءُ اللهِ. ولكن ليقُلْ: غلامي وجاريتي وفتايَ وفتاتي " ( رواه مسلم ).

24 – عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " مَنْ لاءَمَكُمْ من خَدَمِكُمْ فَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلونَ، وأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ، ومَنْ لا يُلائِمْكُمْ من خَدَمِكُمْ فبيعوا، فَبيعُوا، ولا تُعَذِّبُوا خَلْقَ اللهِ عزَّ وجلَّ " ( السلسلة الصحيحة ).

25 – عن المعرور بن سويد رضي الله عنه قال: " مررْنا بأبي ذرٍّ بالرَّبذةِ. وعليه بُردٌ وعلى غلامِه مثلُه. فقلنا يا أبا ذرٍّ! لو جمعتَ بينهما كانت حُلَّةً. فقال: إنه كان بيني وبين الرجلِ من إخوتي كلامٌ. وكانت أمُّه أعجميةً. فعيَّرتُه بأمِّه. فشكاني إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ. فلقيتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ. فقال ( يا أبا ذرٍّ! إنك امرؤٌ فيك جاهليةٌ ). قلتُ: يا رسولَ اللهِ! من سبَّ الرجالَ سبُّوا أباه وأمَّه. قال ( يا أبا ذرٍّ! إنك امرؤٌ فيك جاهليةٌ. هم إخوانُكم. جعلهم اللهُ تحت أيديكم. فأَطعِموهم مما تأكلون. وأَلبِسوهم مما تلبسون. ولا تُكلِّفوهم ما يغلبُهم. فإن كلَّفتُموهم فأعِينوهم ). وفي رواية: وزاد في حديثِ زهيرٍ وأبي معاويةَ بعد قولِه ( إنك امرؤٌ فيك جاهليةٌ ). قال قلتُ: على حالِ ساعتي من الكِبرِ؟ قال ( نعم ). وفي رواية أبي معاوية ( نعم على حالِ ساعتِك من الكبرِ ). وفي حديث عيسى ( فإن كلَّفه ما يغلبه فلْيبِعْه ). وفي حديث زهير ( فليُعِنْه عليه ). وليس في حديث أبي معاوية ( فليبعْه ) ولا ( فليعِنْه ). انتهى عند قوله ( ولا يكلِّفْه ما يغلبُه ) " ( رواه مسلم ).

26 – عنْ عُبادةَ بنِ الوَليدِ بنِ عُبادةَ بن الصَّامتِ قالَ: " خرَجتُ أَنا وأبي، نَطلبُ هذا العِلمَ في هذا الحيِّ منَ الأنصارِ، قبلَ أن يَهْلِكوا فَكانَ أوَّلَ مَن لَقينا، أبو اليَسَرِ صاحبُ رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ ومعَهُ غلامٌ لَهُ، وعَليهِ بُردةُ معافريٍّ، وعلى غلامِهِ بردةُ معافريٍّ. قالَ: فقلتُ لَهُ: يا عمُّ، لو أخذتَ بردةَ غلامِكَ، فأعطيتَهُ معافريَّكَ، أو أخَذتَ معافريَّهُ، وأعطيتَهُ بُردَكَ، فَكانت عليكَ حلَّةٌ، وعليهِ حلَّةٌ. قالَ: فَمسحَ رَأسي وقالَ: اللَّهمَّ بارِكْ فيهِ. ثمَّ قالَ: يا ابنَ أَخي أبصَرَتْ عَينايَ هاتانِ، وسَمِعَتْ أذُنايَ هاتانِ، ووَعاهُ قَلبي مِن رَسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ وَهوَ يقولُ: " أطعِموهم مِمَّا تأكُلونَ، واكسوهُم مِمَّا تَلبَسون " فَكانَ إن أعطيتُهُ مِن متاعِ الدُّنيا أحبُّ إليَّ من أن يأخُذَ مِن حسَناتي يومَ القِيامةِ " ( رواه العيني في نخب الأفكار ).

27 – عن زاذان أو زادان رضي الله عنه: " أنَّ ابنَ عمرَ دعا بغلامٍ له. فرأى بظهرِه أثَرًا. فقال له: أوجعتُك؟ قال: لا. قال: فأنت عتيقٌ. قال: ثم أخذ شيئًا من الأرضِ فقال: ما لي فيه من الأجرِ ما يزِن هذا. إني سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقول: " من ضرب غلامًا له، حدًّا لم يأتِه، أو لطمَه، فإنَّ كفارتَه أن يعتقَه " ( رواه مسلم ).

28 - عن عائشةَ أم المؤمنين رضي الله عنه قالتْ: " وقعت جويريةُ بنتُ الحارثِ بنِ المصطلقِ في سَهمِ ثابتِ بنِ قيسِ بنِ شمَّاسٍ أوِ ابنِ عمٍّ لَهُ فَكاتبت على نفسِها وَكانتِ امرأةً ملاَّحةً تأخذُها العينُ قالت عائشةُ فجاءت تسألُ رسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم في كتابتِها فلمَّا قامت على البابِ فرأيتُها كرِهتُ مَكانَها وعرفتُ أنَّ رسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم سيرى منْها مثلَ الَّذي رأيتُ فقالت يا رسولَ اللَّهِ أنا جويريةُ بنتُ الحارثِ وإنَّما كانَ من أمري ما لاَ يخفى عليْكَ وإنِّي وقعتُ في سَهمِ ثابتِ بنِ قيسِ بنِ شمَّاسٍ وإنِّي كاتبتُ على نفسى فجئتُكَ أسألُكَ في كتابتي فقالَ رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَهل لَكِ إلى ما هوَ خيرٌ منْهُ. قالت: وما هوَ يا رسولَ اللَّهِ قالَ: أؤدِّي عنْكِ كتابتَكِ وأتزوَّجُكِ. قالت: قد فعلتُ. قالت: فتسامعَ - تعنى النَّاسَ - أنَّ رسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قد تزوَّجَ جويريةَ فأرسلوا ما في أيديهم منَ السَّبيِ فأعتقوهم وقالوا: أصْهارُ رسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فما رأينا امرأةً كانت أعظمَ برَكةً على قومِها منْها أعتقَ في سببِها مائةُ أَهلِ بيتٍ من بني المصطلقِ " ( رواه أبو داود ).

29 – عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: " كان عمرُ يقولُ: أبو بكر سيدُنا، وأعتَقَ سيدَنا ؛ يعني: بلالًا " ( رواه البخاري ).

30 – عن أني بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " مَن قالَ حينَ يصبحُ أو يمسي اللَّهمَّ إنِّي أصبحتُ أُشهدُكَ وأُشهدُ حَملةَ عَرشِك وملائِكتَك وجميعَ خلقِك أنَّكَ أنتَ اللَّهُ الَّذي لا إلَه إلَّا أنتَ وأنَّ محمَّدًا عبدُك ورسولُك أعتقَ اللَّهُ رُبعَه مِن النَّارِ فمَن قالَها مرَّتَينِ أعتقَ اللَّهُ نِصفَه مِن النَّارِ ومَن قالَها ثلاثًا أعتقَ اللَّهُ ثلاثةَ أرباعِه مِن النَّارِ ومَن قالَها أربعًا أعتقَه اللَّهُ تعالى مِن النَّارِ" ( رواه النووي ).

- هذا ما استطعت أن أضع يدي عليه من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الجانب وإنها حقاً تشكل منظومة متكاملة في كيفية توسيع دائرة الحرية وتجفيف منابع الرق واحترام آدمية الرقيق.

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم نموذجاً عملياً يُحتذى في هذا الجانب. جاء في كتاب ( النجم الوهاج في شرح المنهاج ) لصاحبه محمد بن موسى الدميري رحمه الله: " أعتق النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثاً وستين نسمة عدد سني عمره وعد أسماءهم. قال: وأعتقت عائشة سبعاً وستين وعاشت كذلك وأعتق أبو بكر كثيراً وأعتق العباس سبعين عبداً " ( رواه الحاكم ). وأعتق عثمان وهو محاصر عشرين. وأعتق حكيم بن حزام مائة مطوقين بالفضة. وأعتق عبد الله بن عمر ألفاً واعتمر ألف عمرة وحج ستين حجة وحبس ألف فرس في سبيل الله. وأعتق ذو الكلاع الحميري في يوم واحد ثمانية آلاف عبد وأعتق عبد الرحمن بن عوف ثلاثين ألف نسمة ".

- رابعاً: نماذج للنضال من أجل الحرية: إن الحرية ليست بالشيء الهين بالنسبة للإنسان فهي الرئة التي من خلالها يتنفس والقلب الذي عن طريقه يجري الدم في عروقه ولذلك فإن أقسى عقاب للإنسان أو حتى الحيوان أن تُصادَر حريته أو تنتقص أو يعيش بحرية مشروطة تحت وطأة الظلم والقهر والاستبداد. ولقد عرفت البشرية نماذجاً متعددة للنضال من أجل الحصول على الحرية والتخلص من البطش والاستبداد والقهر. نماذجاً لم تقبل الضيم ولم ترضى بالذل بل قررت إما أن تنتزع الحرية بأنيابها وإما أن تموت في ساحة النضال واقفة كالأشجار.

- ولقد اعتمدت هذه النماذج التحررية أساليباً مختلفة حال نضالها من أجل الحرية أبرزها:-

أ ) أسلوب المقاومة العنيفة بشتى أساليب العنف ومحاولة القضاء على الاستبداد: من المعروف أن الأنظمة القمعية تعشق العنف وتحاول أن تجر الخصم جراً إلى معركة غير متكافئة لتجد مبرراً للقضاء عليه. ومن المعروف أن النضال الذي يعتمد أسلوب المواجهة العنيفة يكتوي بنارها ويدفع ضريبة باهظة ثمن اختياره لهذا الأسلوب بل يرث هو الآخر القمع والاستبداد فإن مُكِّن له فلا يحكم إلا بالبطش والقهر والاستبداد وتكون المحصلة هي مجرد تغيير للأقنعة فقط.

ومثال ذلك الأنظمة الاشتراكيّة وأشهرها الصين وكوبا، بالإضافة إلى الانقلابات التي تمت في العالم العربي خلال منتصف القرن الماضي، والتي أتت إلى السلطة في بعض الدول بأنظمة قمعيّة مستبدة. فمن المعروف أن الثورة التي تنتصر بالعنف، لن تحكم إلا بالعنف وبالتالي تعيش البلاد في دوامة من الصراعات لا تنتهي.

ب ) أسلوب المقاومة السلمية المدروسة المنضبطة: وهذا النوع من المقاومة يعتمد اعتماداً كبيراً على إنهاك الخصم وتعريته وفضح ممارساته وبالتالي تجريده من نقاط القوة التي يعتمد عليها. وهذا الأسلوب يعتمد علي سياسة ( النفس الطويل ) أو سياسة ( العض على الأصابع ) لأن أطراف النزاع تدخل في مواجهة صفرية مفادها البقاء للأصلح وليس للأقوى.

- ومثال ذلك ما حدث من عصيان في الامبراطورية الرومانية عام 494 ق م حيث رفض الشعب التعاون مع السادة وطبقة النبلاء المستبدة حتى سقطت هذه الطبقة.

- وفي القرن العشرين هناك نماذج للنضال السلمي نتج عنها نتائج فعالة تفوق أسلوب المقاومة العنيفة مرات عديدة مثل:-

- الثورة الروسية.

- والثورة الصينية ضد اليابان.

- والثورة الألمانية ضد الاحتلال الفرنسي.

- وثورة النرويج وهولندا والدنمارك ضد الاحتلال النازي.

- وحركات النضال البولندي لإسقاط النظام الشيوعي في بولندا.

- والانتفاضة الشعبية في الفلبين لإسقاط نظام ماركوس.

- والمقاومة الشعبية السلمية في جنوب إفريقيا ضد سياسات الحكم العنصري.

- والمقاومة الهندية بزعامة غاندي ضد الاحتلال البريطاني.

- والمقاومة اللوثرية في الولايات المتحدة ضد التمييز العنصري تجاه الأميركيين من أصول أفريقيّة.

وطالما أن هناك ظلماً واستبداداً متفشياً في أي مكان في العالم فلن يتوقف النضال ولن تتوقف المقاومة من أجل الحصول على الحرية لأن انتزاعها يكون بمثابة انتزاع الحبل السري للجنين وهو في بطن أمه. وسلسلة الأحرار لا تنتهي فبعيشهم يسطرون حياة كريمة وبموتهم يشعلون جذوة في قلوب الأحرار من خلفهم فلا يهدأون حتى يتخلصوا من القيود والأكبال.

خامساً: قالو عن الحرية: لأن الحرية مطلباً إنسانياً بحتاً نجد أن هناك تراثاً إنسانياً هائلاً في هذا الجانب تتناقله وتتوارثه الأجيال وتضيف إليه يوماً بعد يوم.

1- يقول الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم أحراراً ".

2- يقول الشاعر المصري أحمد شوقي: " وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يدق ".

3 - ويقول المفكر السوري عبدالرحمن الكواكبي: " إن الاستبداد يحول ميل الأمة الطبيعي من طلب الترقي إلي طلب التسفُّل بحيث لو دُفِعَت إلي الرِّفعة لأبت وتألمت كما يتألم الأجهر من النور ".

4- ويقول الأديب والشاعر المصري مصطفى المنفلوطي: " جاء الإسلام بعقيدة التَّوحيد ليرفع نفوس المسلمين، ويغرس في قلوبهم الشَّرَف والعِزَّة والأَنَفَة والحَمِيَّة، وليعتق رقابهم من رقِّ العبوديَّة، فلا يَذِلُّ صغيرهم لكبيرهم، ولا يهاب ضعيفهم قويَّهم، ولا يكون لذي سلطان بينهم سلطان إلا بالحقِّ والعدل ".

5- يقول الكاتب اللبناني جبران خليل جبران: " يقولون لي اذا رأيت عبداً نائماً فلا تنبهه لعله يحلم بحريته، وأنا أقول لهم إذا رأيت عبداً نائماً نبهته وحدثته عن الحرية ".

6- يقول الفيلسوف الروماني سينيكا: " الشجاع يكون حراً ".

7- يقول العالم الأمريكي وليام جلاسر: " تتحكم بنا خمس احتياجات جينية ؛ النجاة والحب والانتماء والقدرة والحرية ".

8- يقول ابراهام لينكولن الرئيس السادس للولايات المتحدة: " من ينكر الحرية على الأخرين لا يستحقها لنفسه ".

- ويقول أيضاً: " الحرية هي أخر وأفضل أمل على ظهر الأرض ".

9- يقول الكاتب والمحلل السياسي السويسري جان جاك روسو: " الحرية مع الخطر أفضل من السلام مع العبودية ".

10- يقول الشاعر والعالم الإنجليزي ميلتون أكوردا: " من دون حرية ليس لدينا أسماء ".

11- يقول رجل الدين والناشط ضد التفرقة العنصرية في أمريكا مارتن لوثر كينغ: " لا يستطيع أحد أن يمتطي ظهرك إلا إذا انحنيت ".

12- يقول الصحفي الأمريكي والتر كرونكايت: " ليس هناك حرية جزئية، إما أن تكون حراً أو لا تكون ".

13- يقول الشاعر والناشط في مجال الحقوق المدنية جيمس ارثر بالدوين: " الحرية لا تمنح وإنما يتم انتزاعها ".

14- يقول الزعيم السياسي الهندي المهاتما غاندي: " الحرية هي روح الإنسان وأنفاسه.. فكم ثمن هذه الأشياء؟ "

15- يقول كينيدي رئيس الولايات المتحدة الخامس والثلاثون: " أفضل طريق للإنجاز هو الحرية ".

16 - يقول المناضل الإفريقي نلسون مانديلا: " الحرية لا يمكن أن تعطى على جرعات، فالمرء إما أن يكون حرّاً أو لا يكون حرّاً ".

- كما يقول أيضاً: " الشخص الذي يسلب حرية شخص آخر هو أسير الكراهية، يقف وراء قضبان التحيز وضيق الأفق... المُضطَهَد والمُضطهِد كلاهما سُلبا إنسانيتهما.

17 - يقول الشاعر: أحمد مطر:

إن الحرية أن تحيا عبداً لله بكلية

أن يحيا الناس كما شاء الرحمن لهم بالأحكام الربانية

وفق القرآن ووفق الشرع ووفق السنن النبوية

- كما يقول أيضاً:

الحرية لا تمنحها هيئات البر الخيرية

الحرية نبت ينمو بدماء حرَّى وزكية

18 - يقول أمير الشعراء أحمد شوقي:

يا جاهلاً معاني الحرية يا فاقداً حسّ الحياة الحية

عُمِيت عن أنوارها البهية صُمِمْت عن أنغامها الشجية

فأنت في غفلتك الغبية أشبه بالبهائم الوحشية

- كما يقول أيضاً:

يا سالباً نفوسنا الحرية يا راكباً مراكب الخطية

الله أعطاك لنا عطية غريزة في خلقه فطرية

لَنبذلنَّ دونها ضحية النفس والنفيس والذرّية

19 – يقول عنترة بن شداد:

موْتُ الفتى في عزَّةٍ خيْرٌ له

من أنْ يَبيتَ أسيرَ طرفٍ أكْحل

إنْ كُنْتُ في عددِ العبيدِ فَهمَّتي

فوْقَ الثُّريَّا والسِّماكِ الأَعْزل

\* الثريا: مجموعة من النجوم في صورة الثَّوْر، وهي سبعة كواكب، سُمِّيت بذلك لكثرة كواكبها مع ضيق المحلّ. \* السِّمَاكُ الأعزل: هو أشد النجوم تألقًا.

20 – يقول الشاعر المصري هاشم الرفاعي:

كل الذي أدريه أن تجرعي كأس المذلة ليس في إمكاني

أهوى الحياة كريمة لا قيد لا إرهاب لا استخفاف بالإنسان

فاذا سقطتُ سقطت أحمل عزتي يغلي دم الأحرار في شرياني

- وهناك العديد والعديد من الأقوال والأدبيات في هذا الجانب على مر العصور ومن مختلف الثقافات والتوجهات، ولو سُمِح لي أن أدلوا بدلوي في هذا المضمار لقلت: " إن كأس الحرية لكي يكون نافعاً وناجعاً لابد من رشفه جرعة واحدة غير قابلة للنقصان لأن آخر قطرة في هذا الكأس هي المكملة لأول قطرة فيه وليس لها بديل وإلا ستكون حرية عرجاء هي والعدم سواء ".

سادساً: الخاتمة: بعد الذي قيل في هذا الموضوع ابتداءا من تعريف الحرية مروراً بالقرآن والسنة والنماذج والأقوال على مر التاريخ لا يسعني إلا أن أقول:-

- من يأتني بمنظومة متكاملة للحرية مثل هذه المنظومة الإسلامية الفريدة؟

- من يأتني بأمة من الأمم ارتقت بالأرقاء والمماليك من الرق والعبودية حتى صارت لهم دولة تحكمت في زمام الأمور لمدة قاربت الثلاثمائة عام؟

- من يأتني بأمة احترمت حقوق الأقليات الغير إسلامية وأغدقت عليهم من خيرها وقلدتهم المناصب العليا مثلما فعلت الأمة الإسلامية؟

وأخيراً أقول:

لا تسقني ماء الحياة بذِلَّة بل فاسقني بالعز كأس الحنظل

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

## الثمرة السادسة: الشورى في الإسلام

- الشوري أمر إلهي لا يمكن التخلي عنه بحال من الأحوال فهي ليست هبة من حاكم ولا عطية من عطاياه بل حق أصيل لكل مسلم في أي زمان ومكان. والشورى واحدة من أهم سمات المجتمع المسلم حيث يتم مداولة الآراء وتقليبها وتمحيصها في جو إيماني من التجرد والموضوعية لا يشوبه هوى أو حظأً للنفس. - والشورى تهدف إلى الوصول للحق والصواب في الأمور التي لم يرد فيها نص.

- وبممارسة الشورى تكتمل الملامح الأساسية للحكم الإسلامي الصحيح. ولعظم أمر الشورى نجد أن هناك سورة من القرآن الكريم تسمى ( سورة الشورى ). ولعظم أمر الشورى كذلك نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده لم يتهاونوا في تطبيقها في كل أمر لم يرد فيه نص صغيراً كان أو كبيراً، خاصاً كان أو عاماً. فالشورى لم تشرع لتكون شعاراً أجوفاً ولا لافتة باهتة تستتر خلفها الممارسات الجائرة بل شرِّعت الشورى ليسطع نورها وليفوح شذاها وعبقها في كل مكان يذكر فيه اسم الله تعالى ويحكم فيه شرعه.

- والبديل للشورى هو التسلط والاستبداد والاستئثار بالرأي فتضيع حقوق الإنسان وحقوق المجتمع فما تجد إلا إنساناً مهضوم الحق مسلوب الإرادة يُساق كما تساق العجماوات ويهان كما تهان البهائم. لذا يجب على كل مسلم ألا يفرط في هذا الحق الأصيل ليعيش حراً في مجتمع من الأحرار يدينون بالعبودية لله تعالى وحده.

- والشورى تختلف عما يسمونه بالديمقراطية وذلك لأن الشورى تستمد أصولها ومبادئها وأسلوب تطبيقها ونتائجها من شرع الله عز وجل في حين نرى أن الديمقراطية تقوم على قانون وضعي توافق عليه الناس وارتضوه حكماً فاصلاً بينهم وهو الدستور. فنظام الشورى لا يمكن التحايل عليه أما النظام الديمقراطي - وإن بدا أفضل من غيره - إلا أنه من السهل التحايل عليه والتعديل في نصوصه حسب الأغلبية الحاكمة.

أولاً: معنى الشورى: قال الراغب الاصفهاني - رحمه الله – في مفردات ألفاظ القرآن: "........ والتشاور والمشورة والمشاورة استخراج الرأي بمراجعة البعض إلى البعض، من قولهم شرت العَسَل إذا اتخذته من موضعه واستخرجتهُ منه ".

- جاء في المعجم الوسيط: معنى شَارَ الرجلُ شَوْراً: حَسُنَ منظره. وشار الشيءَ: عرَضَه ليُبدِيَ ما فيه من محاسن. ويقال: شار الدَّابَّةَ: أجراها عند البَيْع ليُظهر قوَّتها. وشار العسل: استخرجه من الخلية. وفي حديث طلحة رضي الله عنه: " كان يَشُور نفْسَه أمامَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ": أي يسعى ويخفُّ ليظهر بذلك قوَّتَه.

- وفي المعجم الوسيط أيضاً: المُسْتَشَارُ: العليمُ الذي يؤْخذ رأيه في أمرٍ هامّ علميّ أو فنيّ أو سياسيّ أو قضائيّ أو نحوه. والمَشُورَةُ: ما يُنصح به من رأيٍ وغيره.

ثانياً: أهمية الشورى في الإسلام: كما ذكرنا أن الشورى مأمور بها شرعاً في كل الشئون وفي كل الأحوال ما لم يكن هناك نص.

- قال الإمام القرطبي - رحمه الله - في تفسيره عن ابن عطية قال: " والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام، ومن لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب، هذا ما لا خلاف فيه ".

- وقال ابن خويز: " واجب على الولاة مشاورة العلماء فيما لا يعلمون، وفيما أشكل عليهم من أمور الدين، ووجوه الجيش فيما يتعلق بالحرب، ووجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح، ووجوه الكتاب والوزراء والعمال فيما يتعلق بمصالح البلاد وعمارتها، وكان يقال: ما ندم من استشار وكان يقال: من أعجب برأيه ضل ".

- يقول ابن تيمية – رحمه الله - في كتابه السياسة الشرعية " قيل: إنَّ الله أمر بالمشاورة نبيه صلى الله عليه وسلم فغيره أولى بالمشورة ".

- يجب أن نعلم أنه لا بركة إلا في الشورى حيث أنه " لا خاب من استشار " والشورى وإن جانبت الصواب فلن تجانبه إلى الضلال بل إلى أقرب ما يكون إلى الصواب وببركتها تهدأ النفوس وتستقر القلوب وتتفتح العقول وتكون المسئولية تضامنية بين الجميع فلا يلام أحد بعينه لإخفاق ولا يُنسب التوفيق لأحد بعينه كذلك.

- ولأهمية الشورى جعلها الله تعالى من صفات المؤمنين الذين يستجيبون لأمره سبحانه وتعالى ولا يكون لأنفسهم حظاً بل سلموا لأمره تسليماً. قال تعالى: "‏‏ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ {38} ‏‏" ( الشورى 38 ).

- وكلما زادت التخصصات وانتشرت العلوم وتعقدت الأمور وتشعبت، وكلما تضاربت الآراء وأعجب كل صاحب رأي برأيه كلما كانت الشورى أوجب وأهم.

- ولأهمبة الشورى فإنه لا ينتدب لمجالسها إلا من كان أريباً مُحنكاً مشهوداً له بالكفائة في تخصصه ومشهود له بالصلاح والورع كذلك.

- عندما قال الناس لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " ألا تُشيرُ علينا؟ " قال: " لا أُبالي أن أفعلَ، رؤوسُ قريشٍ، ومن سمَّى رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في سبعةٍ فسمَّى السِّتَّةَ وسعيدَ بنَ زيدٍ " ( رواه ابن كثير وقال جيد وله شواهد ).

- ومتى عُقدت الشورى فهي مُلزمة للجميع وأصبح من الواجب على الجميع تنفيذ ما نتج عنها من نتائج وتوصيات وإلا كان انعقادها مضيعة للوقت والجهد.

ثالثاً: منظومة الشورى في القرآن الكريم: لقد أرسى القرآن الكريم قيماً لم تسمع عنها البشرية من قبل، ومن بين هذه القيم قيمة الشورى التي تجعل الأفكار تتلاقح والفوارق تذوب والهمم تعلوا، والمسؤلية بعد ذلك هي مسؤلية الجميع حيث أن الجميع قد اشترك في اتخاذ القرار.

- ومن الآيات التي تحدثت عن مبدأ الشورى في القرآن الكريم ما يلي:-

أ) لقد أمر الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم بتطبيق مبدأ الشورى في تعاملاته مع المؤمنين لكي يكون لهم قدوة في هذا الجانب كما هو قدوة في سائر الجوانب:

- قال تعالى: " فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ {159} " ( آل عمران 159 ).

ب) لقد جعل الله تعالى الشورى صفة من صفات المؤمنين يطبقونها فيما بينهم في الأمور التي ليس فيها نص:

- قال تعالى: " فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ {36} وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ {37} وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ {38} وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ {39} " ( الشورى 36 – 39 ).

ج) لقد حث الله تعالى المسلمين على أن يجعلوا الشورى والتوافق والتراضي هم أساس تنظيم كل العلاقات فيما بينهم بما في ذلك أدق الأمور الشخصية والأسرية:

1- قال ‏تعالى: " وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْاْ بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ {232} " ( البقرة 232 ).

2- قال ‏تعالى: " وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُواْ أَوْلاَدَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ {233}‏ " ( البقرة 233 ).

3- قال ‏تعالى: " وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاء ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً {24} " ( النساء 24 ).

- بهذه النقاط الثلاث ينضبط حال المجتمع حيث أن جميع أفراده بلا استثناء قد أمروا بتطبيق الشورى بضوابطها والالتزام التام بما تنتج عنه الشورى في كل ما لم يرد فيه نص أما ما ورد فيه نص فمرده إلى العلماء لاستنباط أحكامه من الكتاب والسنة أو بالقياس والاجتهاد.

- ولا يظن ظان أن أمر الشورى مقتصراً على هذه الآيات الكريمات فقط بل إن أمر الشورى يتغلغل في كل ثنايا القرآن الكريم وآياته وأحكامه.

رابعاً: منظومة الشورى في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام: إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقطع أمراً إلا استشار فيه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين. وبهذا أرسى النبي صلى الله عليه وسلم مبدأ الشورى في الأمة كلها وورثه لهم ولمن بعدهم إلى قيام الساعة.

1 – عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم استشارَ الناسَ لما يهمهُم إلى الصلاةِ فذكروا البوقَ فكرههُ من أجلِ اليهودِ ثم ذكروا الناقوسَ فكرهه من أجلِ النّصارى فأُرِيَ النداءَ تلكَ الليلةِ رجلٌ من الأنصارِ يقال له عبد الله بن زَيْدٍ وعمر بن الخطابِ فطرقَ الأنصاري رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ليلا فأمرَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بلالا به فأذّنَ قال الزّهْرِيّ وزادَ بلالٌ في نداءِ صلاةِ الغداةِ الصلاةُ خيرٌ من النومِ فأقرَها رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال عمرُ يا رسولَ اللهِ قد رأيتٌ مثل الذي رأى ولكنّهُ سبقني " ( رواه ابن ماجه ).

2 - عن أنسٍ رضي الله عنه قال: " استشار النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مَخرجَه إلى بدرٍ فأشار عليه أبو بكرٍ ثم استشارهم فأشار عليه عمرُ ثم استشارهم فقال بعضُ الأنصارِ إياكم يريد رسولَ اللهِ يا معشرَ الأنصارِ فقال بعضُ الأنصارِ يا رسولَ اللهِ إذًا لا نقول كما قالت بنو إسرائيلَ لموسى " اذهب أنت وربُّك فقاتِلا إنا ههنا قاعدون " ولكن والذي بعثك بالحقِّ لو ضربتَ أكبادَها إلى بَرْكِ الغِمادِ لاتَّبعناك " ( رواه ابن كثير وقال صحيح على شرط الصحيح ).

3 - عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال: " استشار رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في الأَسَارى أبا بكرٍ فقال قومُك وعشيرتُك فخلِّ سبيلَهم فاستشار عمرَ فقال اقتُلْهم قال ففدَاهم رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ ( مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى.... ) قال فلقِيَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عمرَ قال: " كاد أن يصيبَنا في خلافِك بلاءٌ " ( صححه الألباني ).

4- عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنَّه أُتِي برجلٍ قد شرِب الخمرَ فضربه بجريدتَيْن نحوَ الأربعين. وفعله أبو بكرٍ، فلمَّا كان عمرُ استشار النَّاسَ فقال عبدُ الرَّحمنِ بنُ عوفٍ: كأخفِّ الحدودِ. فأمر به عمرُ " ( رواه البخاري ).

5 – عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: " كان الناسُ في عهدِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم يتبايعون الثمارَ، فإذا جدَّ الناسُ وحضر تَقاضيهم، قال المُبتاعُ: إنه أصاب الثمر الدُّمانُ، أصابَه مراضٌ، أصابَه قُشامٌ، عاهاتٌ يحتجون بها، فقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لما كثرت عنده الخصومةُ في ذلك: " فإما لا، فلا تتبايعوا حتى يبدو صلاحُ الثمرِ ". كالمشُورةِ يُشيرُ بها لكثرةِ خصومتِهم. وأخبرني خارِجَةُ بنُ زيدِ بن ثابتٍ: أن زيدَ بنَ ثابتٍ لم يكن يبيعُ ثمارَ أرضه حتى تطلُعَ الثُّريَّا، فيتبين الأصفرُ من الأحمرِ " ( رواه البخاري ).

6 – عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مرَّ بقومٍ يُلقِّحون. فقال " لو لم تفعلوا لصلَح " قال فخرج شِيصًا. فمرَّ بهم فقال " ما لنخلِكم؟ " قالوا: قلتَ كذا وكذا. قال " أنتم أعلمُ بأمرِ دنياكم " ( رواه مسلم ).

7 – عن المسور بن مخرمة و مروان بن الحكم رضي الله عنهما قالا: " خرج النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عام الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه، فلما أتى ذا الحليفة، قُلْد الهدي وأشعره وأحرم منها بعمرة، وبعث عينا له من خزاعة، وسار النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم حتى كان بغدير الأشطاط أتاه عينه، قال: إن قريشاً جمعوا لك جموعاً، وقد جمعوا لك الأحابيش، وهم مقاتلوك، وصادوك عن البيت، ومانعوك. قال: ( أشيروا أيها الناس علي، أترون أن أميل إلى عيالهم وذراري هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت، فإن يأتونا كان الله عز وجل قد قطع عينا من المشركين وإلا تركناهم محروبين ). قال أبو بكر: يا رسولَ اللهِ، خرجت عامداً لهذا البيت، لا تريد قتل أُحُدٍ، ولا حرب أُحُدٍ، فتوجه له، فمن صدنا عنه قاتلناه. قال: ( امضوا على اسم الله ) " ( رواه البخاري ).

8 - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي الهيثم بن التيهان: " هل لك خادم؟ " فقال: لا. قال: " فإذا أتانا سبي فأتنا ". فأتي النبي صلى الله عليه وسلم برأسين، فأتاه أبو الهيثم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " اختر منهما ". فقال: يا نبي الله! اختر لي فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " إن المستشار مؤتمن. خذ هذا فإني رأيته يصلي، واستوص به معروفاً " ( رواه الترمذي ).

9 – عن عبدالرحمن بن غنم رضي الله عنه، أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ قالَ لأبي بَكرٍ وعمرَ: " لو أنَّكما تتَّفقانِ على أمرٍ واحدٍ ما عصيتُكما في مشورةٍ أبدًا " ( رواه ابن حجر العسقلاني وقال إسناده لا بأس به ).

10 – عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: " أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مات وأبو بكرٍ بِالسُّنْحِ، فجاء أبو بكرٍ، فكشف عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، فقَبَّلَهُ قال: بأبي أنتَ وأمي، طِبْتَ حيًّا وميتًا، ثم خرج، فحمدَ اللهَ، وأثنى عليهِ، وقال: ألا من كان يعبدُ محمدًا، فإنَّ محمدًا قد مات، ومن كان يعبدُ اللهَ، فإنَّ اللهَ حيٌّ لا يموتُ، وقال: ( إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ) وقال عزَّ وجلَّ: ( وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ) إلى قولِهِ ( الشَّاكِرِينَ ) قال: فنشجَ الناسُ يبكونَ، قال: واجتمعتِ الأنصارُ إلى سعدِ بنِ عبادةَ في سقيفةِ بني ساعدةَ، فقالوا: مِنَّا أميرٌ، ومنكم أميرٌ، فذهب إليهم أبو بكرٍ، وعمرُ بنُ الخطابِ، وأبو عبيدةَ بنُ الجراحِ، فذهب عمرُ يتكلَّمُ، فأسكتَهُ أبو بكرٍ، ثم تكلَّمَ أبو بكرٍ فتكلَّمَ أبلغُ الناسِ، فقال في كلامِهِ: نحنُ الأمراءُ وأنتمُ الوزراءُ، فبَايِعُوا عمرَ وأبا عبيدةَ، فقال عمرُ: بل نُبَايِعُكَ أنتَ، فأنتَ سيدنا وخيرنا وأَحَبُّنَا إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، فأخذ عمرُ بيدِهِ، فبايَعَهُ، وبايَعَهُ الناسُ " ( رواه البغوي ).

11- عن ميمون بن مهران رضي الله عنه قال: " كان أبو بكر رضي الله عنه إذا ورد عليه الخصم نظر في كتاب الله، فإن وجد فيه ما يقضي بينهم قضى به، وإن لم يكن في الكتاب وعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك سُنةً قضى بها، فإن أعياه خرج فسأل المسلمين وقال: أتاني كذا وكذا، فهل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في ذلك بقضاء؟ فربما اجتمع إليه النفر كلهم يذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه قضاءً، فيقول أبو بكر: الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ على نبينا، فإن أعياه أن يجد فيه سُنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع رءوس الناس وخيارهم فاستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به " ( سنن الدارمي ).

12 – عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه قال: " استشار عمرُ بنُ الخطابِ الناسَ في ملاصِ المرأةِ. فقال المُغيرةُ بنُ شُعبةَ: شهدتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قضى فيه بغُرَّةٍ: عبدٍ أو أمةٍ. قال فقال عمرُ: ائتِني بمن يشهد معك. قال: فشهد له محمدُ بنُ مَسلمةَ " ( رواه مسلم ).

\* ملاص المرأة: أملصت المرأة: أسقطت ولدها قبل موعد الولادة، أجهضت.

\* الغرة: العبد أو الأمة. وقيل هي من العبيد ما بلغت قيمته نصف عشر دية الحر.

13 – عن عبدالله بن عباس رضي الله عنه أنَّ عمرَ رضي اللَّهُ عنهُ قال له: " اعقِلْ عنِّي ثلاثًا الإمارةُ مشورةٌ وفي فداءِ العربِ مكانَ كلِّ عبدٍ عبدٌ وفي الأمَةِ عبدانِ " ( رواه ابن حزم ).

14 – عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال: " دخلَ الرَّهطُ على عمرَ فنظرَ إليْهم فقالَ إنِّي قد نظرتُ في أمرِ النَّاسِ فلم أجِدْ عندَ النَّاسِ شقاقًا فإن كانَ فَهوَ فيكم وإنَّما الأمرُ إليْكم وَكانَ طلحةُ يومئذٍ غائبًا في أموالِهِ قالَ فان كانَ قومُكم لايؤمِّرونَ إلَّا لأحدِ الثَّلاثةِ عبدِ الرَّحمنِ بنِ عوفٍ وعثمانَ وعليٍّ فمن وَلِيَ منْكم فلا يحمِلْ قرابتَهُ على رقابِ النَّاسِ قوموا فتشاوروا ثمَّ قالَ عمرُ أمهِلوا فإن حدثَ لي حدثٌ فليصلِّ لَكم صُهيبٌ ثلاثًا فمن تأمَّرَ منْكم على غيرِ مشورةٍ منَ المسلمينَ فاضرِبوا عنقَهُ " ( رواه ابن حجر العسقلاني ).

15 – عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال عن عمرَ قال له النَّاسُ في الشُّورَى ألا تُشيرُ علينا؟ قال: " لا أُبالي أن أفعلَ، رؤوسُ قريشٍ، ومن سمَّى رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في سبعةٍ فسمَّى السِّتَّةَ وسعيدَ بنَ زيدٍ " ( رواه ابن كثير وقال جيد وله شواهد ).

16 – عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: " لما احترقَ البيتُ زمنَ يزيدِ بنِ معاويةَ، حين غزاها أهلُ الشامِ، فكان من أمرِه ما كان، تركَه ابنُ الزبيرِ. حتى قَدِمَ الناسُ الموسمَ. يريدُ أن يُجَرِّئَهم ( أو يُحِرِّبَهُم بهم ) على أهلِ الشامِ. فلما صدرَ الناسُ قال: يا أيها الناسُ! أشيروا عليَّ في الكعبةِ. أنقُضُها ثم أبني بناءها. أو أُصْلِحُ ما هو منها؟ قال ابنُ عباسٍ: فإني قد فُرِقَ لي رأيٌ فيها. أرى أن تُصْلِحَ ما وَهِي منها. وتدعَ بيتًا أسلمَ الناسُ عليهِ. وأحجارًا أسلم الناسُ عليها وبُعِثَ عليها النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ. فقال ابنُ الزبيرِ: لو كان أحدكم احترقَ بيتُه. ما رضيَ حتى يُجِدِّه. فكيف بيتُ ربكم؟ إني مستخيرٌ ربي ثلاثًا. ثم عازمٌ على أمري. فلما مضى الثلاثَ أجمعَ رأيَه على أن ينقُضَها. فتحاماهُ الناسُ أن ينزلَ، بأولِ الناسِ يصعدُ فيهِ، أُمِرَ من السماءِ. حتى صعد رجلٌ فألقى منهُ حجارةً. فلما لم يرَه الناسُ أصابَه شيٌء تتابعوهُ. فنقضوهُ حتى بلغوا بهِ الأرضَ. فجعل ابنُ الزبيرِ أعمدةً. فسُتِرَ عليها الستورُ. حتى ارتفعَ بناؤُه. وقال ابنُ الزبيرِ: إني سمعتُ عائشةَ تقول: إنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قال " لولا أنَّ الناسَ حديثُ عهدهم بكفرٍ، وليس عندي من النفقةِ ما يقوى على بنائِه. لكنتُ أدخلتُ فيهِ من الحِجْرِ خمسَ أذرعٍ، ولجعلتُ لها بابًا يدخلُ الناسُ منهُ، وبابًا يخرجون منهُ ". قال فأنا اليومَ أجدُ ما أُنْفِقُ. ولستُ أخافُ الناسَ. قال: فزاد فيهِ خمسَ أذرعٍ من الحِجْرِ. حتى أَبْدَى أسًا نظر الناسُ إليهِ. فبنى عليهِ البناءَ. وكان طولُ الكعبةِ ثمانيَ عشرةَ ذراعًا. فلما زاد فيهِ استقصرَه. فزاد في طولِه عشرَ أذرعٍ. وجعل لهُ بابيْنِ: أحدهما يُدخلُ منهُ، والآخر يُخرجُ منهُ. فلما قُتِلَ ابنُ الزبيرِ كتب الحجاجُ إلى عبدِالملكِ بنِ مروانَ يُخبرُه بذلك. ويُخبرُه أنَّ ابنَ الزبيرِ قد وضع البناءَ على أُسٍّ نظر إليهِ العدولُ من أهلِ مكةَ. فكتب إليهِ عبدُالملكِ: إنَّا لسنا من تلطيخِ ابنِ الزبيرِ في شيٍء. أما ما زاد في طولِه فأَقِرَّه. وأما ما زاد فيهِ من الحِجْرِ فرُدَّهْ إلى بنائِه. وسُدَّ البابَ الذي فتحَه. فنقضَه وأعادَه إلى بنائِه " ( رواه مسلم ).

17 - قال عمار بن ياسر رضي الله عنه عن موقف القراء في عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال: " وفي سنيه الست الأولى كانت فتوحات اختلط فيها أهل الشام بأهل العراق، واختلفوا في القراءة وزعم كل أن قراءته خير من قراءة صاحبه فأقبل حذيفة بن اليمان فزعًا وقال أدرك الأمة قبل أن تختلف في الكتاب.

- قال الإمام القرطبي - رحمه الله – في كتاب أحكام القرآن "... وجمع عثمان ذوي الرأي وأهل الحل والعقد وكان الأمر شورى أفضى إلى أن يكتب القرآن على الحرف القرشي، وأن تعدم سائر الأحرف الستة. ولما لام بعض ذوي العقول القاصرة عثمان رضي الله عنه على تلك الخطوة الذكية الزاكية وليدة الشورى المباركة قال علي كرم الله وجهه: ( لا تقولوا في عثمان إلا خيرًا فو الله ما فعل الذي فعل في المصحف إلا عن ملأ منا معشر أصحاب محمد ولو كنت مكانه لفعلت في المصحف ما فعل ). وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هناك يردون كل بادرة من بوادر الاستبداد بالرأي قالوا قال عثمان رضي الله عنه: " لأفعلن هذا الأمر وإن رغمت أنوف ". فقال بعض الحاضرين ( أشهد الله أن أنفي أول راغم ) ".

18 - جاء في سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي رحمه الله: " وعلى هذا النهج سار التابعون أيضًا فقد روي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه لما ولي المدينة جمع عشرةً من فقهائها، وهم سادة الفقهاء في ذلك الزمان، وقال لهم: " إني دعوتكم لأمر تؤجرون عليه ونكون فيه أعوانًا على الحق، ما أريد أن أقطع أمرًا إلا برأيكم أو برأي من حضر منكم ".

19 - جاء في تاريخ الملوك والأمراء للإمام الطبري رحمه الله: " ومن أبرز الأمثلة التي تُدلل على رُقي مبدأ الشورى وتفوقه على غيره من الآليات والوسائل المستحدثة في تولية الحاكم، ما لمسناه في واقع الخلفاء الراشدين، فعندما طُعن عمر بن الخطاب وقارب الأجل، سأله الصحابة أن يترك عهدًا لمن سيخلفه فرفض، بيد أنه جعل البيعة في ستة من صحابة رسول الله، وهم الذين أجمعت الأمة على صلاحهم والالتفاف حولهم، ومن ثَمَّ قرَّر عمر أن يوقظ أمر الشورى بين المسلمين، فقال: "عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله: إنهم من أهل الجنة. سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل منهم؛ ولست مدخله؛ ولكن الستَّة: عليٌّ وعثمان ابنا عبد مناف، وعبد الرحمن وسعد خالا رسول الله، والزبير بن العوام حواريُّ رسول الله وابن عمته، وطلحة الخير بن عبيد الله ؛ فليختاروا منهم رجلاً؛ فإذا وَلَّوا واليًا فأحسنوا مؤازرته وأعينوه، إن ائتَمَن أحدًا منكم فليؤدِّ إليه أمانته...".

- وقال الإمام الطبري أيضاً: وبعدما فرغ المسلمون من دفن عمر بن الخطاب، اجتمع مجلس الشورى، وفي داخل هذا المجلس المحدَّد عددًا بستة أفراد، وزمنًا بثلاثة أيام، استطاع المجتمعون أن يفرغوا من الأمر بسلام، حيث تمكَّنوا من تولية عثمان بن عفان، وكان أولُ المبايعين المنافسَ الأول علي بن أبي طالب، وهذا دليل على رُقي نظام الشورى الإسلامي القائم على احترام حرية الأمة في الاختيار؛ فأهل المدينة قد وافقوا على ترشيح عمر بن الخطاب لمن عَيَّنهم لأمر الخلافة، ولم يكن هذا الترشيح من عمر قسرًا للأمة وإجبارًا لها، ثم وافق أعضاء الهيئة الاستشارية، وهم في ذات الوقت المرشحون أنفسهم على استخلاف أحدهم وهو عثمان، ولم تكن موافقتهم وحدها هي المعتمد في تنصيب عثمان، بل استشير في هذا الأمر كلّ من كان بالمدينة من ساكنيها، أو من زوارها، أو القادمين إليها من أمراء الأجناد وأشراف الناس ".

20 - عن أبي وائلٍ قال: " قيل لعليِّ بنِ أبي طالبٍ ألا تستخلفُ علينا؟ " فقال: " ما استخلف رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فأستخلفُ ولكن إن يُرِدِ اللهُ بالناسِ خيرًا فسيجمعُهم بعدي على خيرِهم كما جمعهم بعد نبيِّهم على خيرِهم " ( رواه ابن كثير بإسناد جيد ).

- إن ما تم ذكره ماهو إلا غيض من فيض وقليل من كثير ولو تتبعنا مواقف الشورى في حياة النبي صلى الله عليه وسلم لأجهدنا اليراع ولعز المداد ولحار العقل في أبعاد هذه المدرسة التي لا تضارعها أخرى وهذا المنهج الذي أجهد من حاول سبر أغواره.

خامساً: الخاتمة: إن بركة الشورى لها ثمار طيبة حيث أنها تؤصل صفة الإيمان في المجتمع، وبتطبيقها يكتمل بناء المجتمع الإسلامي.

- ومن بركتها أنها تجنب المجتمع ويلات الظلم والاستبداد فيكون هناك المسئولية الجماعية بعيداً عن الفردية الطاغية.

- ومن بركتها الشعور بالثقة والأمان بين أفراد المجتمع بعضهم البعض وبين أفراد المجتمع ومن يحكمونه.

- ومن بركتها تقديم المصلحة العليا للوطن على المصلحة الشخصية والتنازل عن الرأي الشخصي واعتناق رأي الأغلبية أو الرأي الذي تمخضت عنه الشورى.

- ولقد أجمل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فوائد الشورى فقال أنها تكمن في: " استنباط الصواب، واكتساب الرأي، والتحصن عن السقطة، وحذر من الملامة، ونجاة من الندامة، وألفة القلوب، واتباع الأثر ".

أسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا، وأن يولي أمورنا خيارنا، وألا يولي أمورنا شرارنا، وأن يُبصرنا بعواقب الأمور حتى لا يطمع فينا عدو ولا يُساء بنا صديق.

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

## الثمرة السابعة: التكافل في الإسلام

التكافل من أهم سمات المجتمع المسلم حيث شبَّه النبي صلى الله عليه وسلم المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم بالجسد الواحد وشبَّههم أيضاً بالبنيان المرصوص. ومن هنا فالتكافل في المجتمع المسلم مثل المِلاط ( مؤنة البناء ) التي تتوغل بين اللبنات فتقويها وتشد بعضها بعضاً. والتكافل يقوي لُحمة المجتمع المسلم ويدعم أواصر الألفة والمحبة بين أفراده.

- والتكافل ليس له شكلاً مُعيناً بل له أشكال عديدة تبدأ بالتكافل المادي مروراً بالتكافل بالعارية ومتطلبات المعيشة منتهياً بالتكافل المعنوي والتعاون على البر والتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

- يقول سيد قطب رحمه الله: " إن نظام التكافل الاجتماعي في الإسلام لا يعنى مجرد المساعدات المالية أياً كانت صورتها فالمساعدات المالية نوع واحد من المساعدات في الإسلام المال مال الله هو وديعة في يد البشر".

- والتكافل ليس قاصراً على أفراد المجتمع المسلم فحسب بل تتسع مظلته لتسع أهل الذمة الغير محاربين والغير مناهضين للدين الإسلامي.

- والتكافل منه التكافل الزماني مثل التكافل بين الأجيال المتعاقبة حيث أنه لا يجب أن يستأثر جيل بعينه على خيرات البلاد تاركاً الجيل الذي يليه فقيراً معدوماً. ومنه التكافل المكاني بين أقطار الأمة الواحدة حال النوازل والكوارث والنكبات وغيرها.

- ولتحقيق هذا التكافل بمفهومه الشامل والمتكامل جعل الله تعالى له روافد عديدة مثل الزكاة والصدقات والميراث والوقف والهبة والنذر والكفارات والهدايا والأضاحي والغنائم والفيء....... الخ.

- ولتطهير المجتمع والحفاظ على هذه الروافد حرم الله تعالى اكتناز المال واحتكار السلع، كما حرم الربا والغش وأكل مال اليتيم وهضم حق المرأة سواء في صداق أو ميراث.

- أولاً: تعريف التكافل: يُعرفه الإمام محمد أبو زهرة رحمه الله في كتاب " في المجتمع الإسلامي " قائلاً: " يقصد بالتكافل الاجتماعي في معناه اللفظي أن يكون آحاد الشعب في كفالة جماعتهم وأن يكون كل قادر أو ذي سلطان كفيلاً في مجتمعه يمده بالخير وأن تكون كل القوى الإنسانية في المجتمع متلاقية في المحافظة على مصالح الآحاد ودفع الأضرار ثم المحافظة على دفع الأضرار عن البناء الاجتماعي وإقامته على أسس سليمة ".

- ويُعرفه الشيخ عبد الله ناصح علوان رحمه الله في كتابه " التكافل الاجتماعي في الإسلام " قائلاً: " أن يتضامن أبناء المجتمع ويتساندوا فيما بينهم سواء أكانوا أفراداً أو جماعات حكاماً أو محكومين على اتخاذ مواقف إيجابية كرعاية اليتيم أو سلبية كتحريم الاحتكار بدافع من شعور وجداني عميق ينبع من أصل العقيدة الإسلامية ليعيش الفرد في كفالة الجماعة وتعيش الجماعة بمؤازرة الفرد حيث يتعاون الجميع ويتضامنون لإيجاد المجتمع الأفضل ودفع الضرر عن أفراده ".

- مما تقدم نجد المسئولية التضامنية من الجميع وللجميع في بوتقة واحدة، فالكل حرص على تقديم يد العون واتخاذ المواقف الإيجابية التي من شأنها تحقيق النفع للجميع، والكل كذلك حريص على اجتثاث القيم السلبية التي من شأنها إلحاق الضرر بالجميع. وبهذا نجد نموذجاً للمجتمع المسلم لا يضارعه مثيل في أي من المجتمعات الأخرى.

- ثانياً: منظومة التكافل في القرآن الكريم: لأهمية التكافل التي ذكرناها نجد أن هناك عشرات من الآيات في القرآن الكريم تحث على هذا التكافل وتنظمه تنظيماً دقيقاً لا يترك للنفس أو الهوى فيه حظاً ولا نصيباً.

1- جعل الله تعالى الإسلام شرطاً لقبول النفقة: قال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُم مِّنَ اللّهِ شَيْئاً وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {116} مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هِذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ {117} " ( آل عمران 116 - 117 ).

- قال تعالى: " قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ {53} وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ {54}‏ فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ {55} " ( التوبة 53 – 55 ).2- لعظم أمر الزكاة وفضلها قرنها الله تعالى بالصلاة:

- قال تعالى: " وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ {43} " ( البقرة 43 ).

- قال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ {277} " ( البقرة 277 ).

- قال تعالى: " إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ {18} " ( التوبة 18 ).

3- وعد الله تعالى المُنفقين بمضاعفة الأجر والثواب فوق ما يتوقعون:

- قال تعالى: " مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ {261} " ( البقرة 261 ).

- قال تعالى: " قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ {39}‏ " ( سبأ 39 ).

- قال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ {29} لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ {30} " ( فاطر 29 – 30 ).

- قال تعالى: " مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ {11}‏ " ( الحديد 11 ).

- قال تعالى: " إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ {17} " ( التغابن 17).

4 – جعل الله تعالى الإخلاص له وابتغاء مرضاته وعدم الرياء شرطاً لقبول الصدقة وإنمائها:

- قال تعالى: " وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ {265} " ( البقرة 265 ).

- قال تعالى: " لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ اللّهِ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ {272} " ( البقرة 272 ).

- قال تعالى: " وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاء قِرِيناً {38} وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُواْ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللّهُ وَكَانَ اللّهُ بِهِم عَلِيماً {39} " ( النساء 38 – 39 ).

- قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ {264}‏ " ( البقرة 264 ).

5 – من رحمة الله تعالى أنه لم يلزم الفقراء وذوي الأعذار بالنفقة أسوة بغيرهم من الميسورين:

- قال تعالى: " لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {91} وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ {92} " ( التوبة 91 – 92 ).

6 – لم يجعل الله تعالى العبرة بحجم النفقة ولكن بالإخلاص وحسن التوجه لله تعالى:

- قال تعالى: " الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ {79}‏ " ( التوبة 79 ).

- قال تعالى: " وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِياً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ {121} " ( التوبة 121 ).

7 – جعل الله تعالى الإنفاق علامة من علامات صدق الإيمان:

- قال تعالى: " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ {2} الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ {3} " ( الأنفال 3 ).

8 – جعل الله تعالى الإنفاق من صفات المخبتين ( الخاشعين المتواضعين ):

- قال تعالى: " وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ {34} الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ {35} " ( الحج 34 – 35 ).

9 – أمر الله تعالى بالاعتدال في النفقة ونهى عن الإسراف والتبذير حيث أن المال هو قوام الحياة:

- قال تعالى: "... وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ {141} " ( الأنعام من الآية 141 ).

- قال تعالى: " يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ {31} " ( الأعراف 31 ).

- قال تعالى: " وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ {75} فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ {76} فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُواْ اللّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ {77} " ( التوبة 75 - 77 ).

- قال تعالى: " وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً {26} إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً {27}‏ " ( الإسراء 26 – 27 ).

- قال تعالى: " وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً {67}‏ " ( الفرقان 67 ).

10 – بين الله تعالى أن المسلم مُستخلف في المال فيجب عليه أن يُؤدي حق الله فيه:

- قال تعالى: " آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ {7} " ( الحديد 7 ).

11 – الصدقة تطهير من الذنوب وتزكية للأنفس والأرواح:

- قال تعالى: " خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ {103} أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ {104} " ( التوبة 103 – 104 ).

- قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {12} أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ {13} " ( المجادلة 12 – 13 ). هذه الآية نسخت ولم يطبق الأمر الذي فيها سوى الإمام علي رضي الله عنه.

- جاء في مختصر تفسير بن كثير: " وقد قيل: إنه لم يعمل بهذه الآية قبل نسخها سوى علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه، قال مجاهد: نهوا عن مناجاة النبي صلى اللّه عليه وسلم حتى يتصدقوا فلم يناجه إلا علي بن أبي طالب، قدم ديناراً صدقة تصدق به، ثم ناجى النبي صلى اللّه عليه وسلم فسأله عن عشر خصال، ثم أنزلت الرخصة، وقال علي رضي اللّه عنه: آية في كتاب اللّه عزّ وجلَّ لم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي، كان عندي دينار فصرفته بعشرة دراهم، فكنت إذا ناجيت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم تصدقت بدرهم، فنسخت، ولم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي، ثم تلا هذه الآية: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً } ( هذه رواية ليث بن أبي سليم عن مجاهد ) الآية.

- وقال ابن عباس { فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً }، وذلك أن المسلمين أكثروا المسائل على رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم حتى شقوا عليه، فأراد اللّه أن يخفف عن نبّيه عليه السلام، فلما قال ذلك جبن كثير من المسلمين، وكفوا عن المسألة، فأنزل اللّه بعد هذا: { أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ } فوسع اللّه عليهم ولم يضيق.

- وقال قتادة ومقاتل: سأل الناس رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم حتى أحفوه بالمسألة، ففطمهم اللّه بهذه الآية، فكان الرجل منهم إِذا كانت له الحاجة إلى نبي اللّه صلى اللّه عليه وسلم فلا يستطيع أن يقضيها، حتى يقدم بين يديه صدقة، فاشتد ذلك عليهم، فأنزل اللّه الرخصة بعد ذلك: { فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }.

12 – بين الله تعالى المصارف الأساسية للزكاة وجعل هذه المصارف قائمة على حفظ النفس الذي هو مقصد من مقاصد الشريعة:

- قال تعالى: " إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ {60 } " ( التوبة 60 ).

- قال تعالى: " يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ {215}‏ " ( البقرة 215 ).

- قال تعالى: " إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ {15} آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ {16} كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ {17} وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ {18} وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ {19} " ( الذاريات 15 – 19 ).

- قال تعالى: " وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ {24} لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ {25} " ( المعارج 24 – 25 ).

13 – حث الله تعالى على سرعة إخراج حق الله تعالى في المال – دون إسراف أو تقتير - قبل أن يتمكن من القلب فيصعب إخراجه:

- قال تعالى: "... وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ {141} " ( الأنعام من الآية 141 ).

14- نهى الله تعالى عن التعدي على مشاعر الفقراء بالمن والأذي والسخرية:

- قال تعالى: " الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواُ مَنّاً وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ {262} قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ {263} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ {264}‏ " ( البقرة 262 – 264 ).

- قال تعالى: " الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ {79}‏ " ( التوبة 79 ).

15- حذر الله تعالى من الإنفاق بالسيء الرديء فالله تعالى طيباً لا يقبل إلا طيباً:

- قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ {267} " ( البقرة 167 ).

- قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ {172} " ( البقرة 172 ).

- قال تعالى: " لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ {92}‏ " ( آال عمران 92 ).

16 – أباح الله تعالى إبداء الصدقة كما حث على إخفائها، وللمنفق اتباع ما فيه مصلحة الفقراء إذا كان إبدائهاً تشجيعاً للغير وحثهم على الإنفاق:

- قال تعالى " إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لُّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ {271} " ( البقرة 271 ).

- قال تعالى: " الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ {274}‏ " ( البقرة 274 ).

- قال تعالى: " وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ {22} " ( الرعد 22 ).

- قال تعالى: " قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خِلاَلٌ {31} " ( إبراهيم 31 ).

- قال تعالى: " ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً عَبْداً مَّمْلُوكاً لاَّ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ {75} " ( النحل 75 ).- قال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ {29} لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ {30} " ( فاطر 29 – 30 ).

17 – حث الله تعالى على الجهاد بالمال وقرنه بالجهاد بالنفس:

- قال تعالى: " لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً {95} " ( النساء 95 ).

- قال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ {72} " ( الأنفال 72 ).

- قال تعالى: " انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ {41} " ( التوبة 41 ).

- قال تعالى: " إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ {111} " ( التوبة 111 ).

- قال تعالى: " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ {15} " ( الحجرات 15 ).

- قال تعالى: " تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ {11} " ( الصف 11 ).

18 – جعل الله تعالى الأجر الكبير للذين يؤثرون على أنفسهم وينفقون رغم الحاجة:

- قال تعالى " وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ " ( البقرة 177 ).

قال تعالى: " وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ {9} " ( الحشر 9 ).

- قال تعالى: " وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً {8} إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً {9} " ( الإنسان 8 – 9 ).

19 – أمر الله تعالى بالنفقة في كل حال ( اليُسر والعُسر، والمنشط والمكره، والعافية والمرض ):

- قال تعالى: " الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ {134} " ( آل عمران 134 ).

20 – بين الله تعالى أن النفقة وقت التضييق وحاجة المسلمين المُلِحَّة للمال أفضل من وقت اليسر والكفاية:

- قال تعالى: " وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلّاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ {10} " ( الحديد 10 ).

21 – جعل الله تعالى النفقة من جنس النعمة وأنها ليست مُقيضة أو قاصرة على المال فقط:

- قال تعالى: " الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ {3} " ( البقرة 3 ).

- قال تعالى: " تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ {16} " ( السجدة 16 ).

- قال تعالى: " وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ {38} " ( الشورى 38 ).

22 – حث الله تعالى الذي ينفق ماله على الفطنة وتحري الدقة حتى يقع المال في يد من يستحق ولا يكون هناك مُستحق لا يصل إليه حقه:

- قال تعالى: " لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ {273} " ( البقرة 273 ).

23 – حث الله تعالى على إمهال المُعْسِر وعدم التضييق عليه:

- قال تعالى: وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ {280} " ( البقرة 280 ).

24- حذر الله تعالى من البخل حيث أن المسلم جواد مِعطاء:

- قال تعالى: " وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ {180}‏ " ( آل عمران 180 ).

- قال تعالى: " الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً {37}‏ " ( النساء 37 ).

- قال تعالى: " الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ {24}‏ " ( الحديد 24 ).

- قال تعالى: " إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ {15} فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْراً لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ {16} " ( التغابن 15 – 16 ).

25- حذر الله تعالى من مكر الشيطان وتلبيسه على الإنسان ليكفه عن النفقه في سبيل الله:

- قال تعالى: " الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ {268} " ( البقرة 268 ).

26 – حذر الله تعالى من الربا ونهى عنه لأنه يتنافى مع أخلاق الإسلام ومبادئه:

- قال تعالى: " الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىَ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {275} يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ {276} " ( البقرة 275- 276 ).

- قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ {278} فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ {279} " ( البقرة 278 – 279 ).

27- جعل الله تعالى التهلكة في عدم الإنفاق:

- قال تعالى: " وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ {195} " ( البقرة 195 ).

- قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ {254} " ( البقرة 254 ).

- قال تعالى: " وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ {10} وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاء أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ {11}‏ " ( المنافقون 10 - 11 ).

28 – جعل الله تعالى ( الوصية - الفدية - النذر - الكفارة - الهدية – الوقف – الغنائم – الفيء.... الخ ) باباً من أبواب النفقة للتوسعة على الفقراء والمحتاجين:

- قال تعالى: " كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ {180} " ( البقرة 180 ).

- قال تعالى: " فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ " ( البقرة 196 ).

- قال تعالى: " وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ {270} " ( البقرة 270 ).

- قال تعالى: " لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُواْ أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ {89}‏ " ( المائدة 89 ).

- قال تعالى: " وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَئاً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَئاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُواْ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مْؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةً فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللّهِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً {92} " ( النساء 92 ).

- قال تعالى: " وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ {3} " ( المجادلة 3 ).

- قال تعالى: " فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ {11} وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ {12} فَكُّ رَقَبَةٍ {13} أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ {14} يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ {15} أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ {16} " ( البلد 11 – 16 ).

29 – بيَّن الله تعالى أن الكافرين ينفقون الأموال ليصدوا عن سبيل الله، فمن باب أولى أن يحرص المسلم على الإنفاق في سبيل الله:

- قال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ {36} " ( الأنفال 36 ).

30 – بين الله تعالى أن من صفات الأمم السابقة التي ذمهم الله بها هي أكل أموال الناس بالباطل وإكتنازها، فحري بالمؤمن أن يتجنب هاتين الصفتين:

- قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ {34} " ( التوبة 34 ).

31 – توعد الله تعالى من يحبس المال عنده ويكتنزه ولا ينفقه فيما أمر الله تعالى بالعذاب الأليم:

- قال تعالى: " يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ {35} " ( التوبة 35 ).

32 – نهى الله تعالى عن التضييق على المُطلقة أو حِرمانها من النفقة:

- قال تعالى: " أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى {6} لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً {7} " ( الطلاق 6 – 7 ).

33 – حذر الله تعالى من الانشغال بتحصيل المال عن الذكر والعبادة حيث أن المال وسيلة وليس غاية:

- قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ {9} " ( المنافقون 9 ).

34 – بيَّن الله تعالى أن سبب قوامة الرجل تتمثل في أنه هو عائل الأسرة الذي ينفق عليها:

- قال تعالى: " الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ........ {34} " ( النساء من الآية 34 ).

35 – أكد الله تعالى على تعويض من وقع عليهم ضرراً في سبيل الله تعالى وسد حاجتهم وعوزهم:

- قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ {10} وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ {11} " ( الممتحنة 10 – 11 ).

36 – أمر الله تعالى بالمحافظة على مال اليتيم وعدم تبديده:

- قال تعالى: " وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً {2} " ( النساء 2 ).

- قال تعالى: " وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّىَ إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَن يَكْبَرُواْ وَمَن كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللّهِ حَسِيباً {6}‏ " ( النساء 6 ).

- قال تعالى: " وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ... {152} " ( الأنعام 152 ).

- قال تعالى: " وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً {34} " ( الإسراء 34 ).

37 – نهى الله تعالى عن أكل مال اليتيم وجعله من الكبائر وتوعد من يفعل ذلك بالعذاب الأليم:

- قال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً {10} " ( النساء 10 ).

- قال تعالى: " وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً {34} " ( الإسراء 34 ).

- قال تعالى: " كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ {17} وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ {18} وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمّاً {19} وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً {20} " ( الفجر 17 – 20 ). التراث: ميراث النساء والصغار.

- قال تعالى: " فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ {9} " ( الضحى 9 ).

38 – نهى الله تعالى عن أكل مال المرأة أو ميراثها وتوعد من يفعل ذلك بالعذاب الأليم:

- قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاء كَرْهاً وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً {19} " ( النساء 19 ).

- قال تعالى: " كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ {17} وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ {18} وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمّاً {19} وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً {20} " ( الفجر 17 – 20 ). التراث: ميراث النساء والصغار.

39 – نهى الله تعالى عن سوء معاملة المساكين وهضم حقوقهم أو حرمانهم وعدم مساعدتهم، وجعل الله تعالى ذلك تكذيباً بالدين:

- قال تعالى: " إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ {33} وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ {34} " ( الحاقة 33 – 34 ).

- قال تعالى: " أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ {1} فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ {2} وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ {3} فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ {4} الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ {5} الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ {6} وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ {7}‏ ( الماعون 1 – 7 ).

- وقد فسر ابن كثير الماعون بقوله: " سُئِلَ ابن مسعود عن الماعون فقال: هو ما يتعاطاه الناس بينهم من الفأس والقدر والدلو وأشباه ذلك ".

40 – نهى الله تعالى عن ترك المال تحت يد السُّفهاء يُبددونه فيما لا نفع فيه:

- قال تعالى: " وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً {5} " ( النساء 5 ).

41 – نهى الله تعالى عن أكل أموال الناس بالباطل أو إنفاقها إرضاءً للحكام:

- قال تعالى: " وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ {188} " ( البقرة 188 ).

42 – نهى الله تعالى عن النفقة انتظاراً لعوض أو مقابل أكبر:

- قال تعالى: " وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّباً لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ {39} " ( الروم 39 ).

43 – أمر الله تعالى بدفع صداق المرأة إليها وعدم إكراهها على التنازل عنه أو بعضه:

- قال تعالى: " وَآتُواْ النَّسَاء صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَّرِيئاً {4} " ( النساء 4 ).

44 – نهى الله تعالى عن التبديل أو التعديل في الوصية طالما كانت في حدود الشرع:

- قال تعالى: " فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ {181}‏ " ( البقرة 181 ).

45 – أباح الله تعالى في التعديل في الوصية الجائرة التي تتجاوز حدود الشرع:

- قال تعالى: " فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {182} " ( البقرة 182 ).

46- نهى الله تعالى عن النفقة الجائرة التي تترك الورثة فقراء أو عالة يسألون الناس:

- قال تعالى: "...... وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ {219}‏ " ( البقرة من الآية 219 ). - العفو: هو ما يفضل عن أهلك، كما قال بن عباس رضي الله عنه.

47 – حدد الله تعالى كيفية توزيع الفيء ( الغنيمةُ تُنالُ بلا قتال ) حتى لا يستأثر الأغنياء بالمال فتظهر الطبقية الممقوتة في المجتمع المسلم:

- قال تعالى: " مَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ {7} لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ {8} " ( الحشر 7 – 8 ).

48 – حدد الله تعالى كيفية توزيع الغنائم حتى لا يكون هناك للنفس حظاً ولا يكون هناك محاباة لفئة على حساب فئة:

- قال تعالى: " وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ {41} " ( الأنفال 41 ).

49 – التكافل ليس قاصراً على الجوانب المادية فقط بل مأمور به في الجوانب الروحية المعنوية:

- قال تعالى: "..... وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ {2}‏ " ( المائدة من الآية 2 ).

50 – نهى الله تعالى عن التناجي إلا تناجياً في الخير وجعل منه الأمر بالصدقة وتدبير أمرها:

- قال تعالى: " لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً {114} " ( النساء 114 ).

51 – التكافل ليس قاصراً على أفراد المجتمع المسلم فحسب بل إن مظلته تمتد لتسع أهل الديانات الأخرى المسالمين وغير المناهضين للإسلام:

- قال تعالى: " لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ {8} إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ {9} " ( الممتحنة 8 – 9 ).

52 – التكافل مأمور به حتى مع اللقيط - ولو كان إبن زنا من باب أنه لا تزر وازرة وزر أخرى -:

- قال تعالى: " وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً " ( المائدة 32 ).

- قال مجاهد في رواية { وَمَنْ أَحْيَاهَا } أي أنجاها من غرق أو حرق أو هلكة.

- اللقيط هو الطفل الذي يوجد في الشارع أو ضالاً ولا يعرف نسبه، وقد يكون ابن زنا وقد لا يكون كذلك. والله سبحانه وتعالى شرع كفالة اللقطاء. وكفالة اللقيط ليست دون كفالة اليتيم في الأجر إن لم تكن أعظم، وذلك لأنه أسوأ وضعا منه. ولو كان اللقيط ابن زنا فإنه ليس له ذنب في ذلك، ولا مؤاخذة له بأمر ليس له فيه من يد. والتقاط اللقيط فرض عين على من يجده إن وجد في مكان يغلب على الظن هلاكه لو ترك فيه.

- جاء في كتاب المحلى لابن حزم رحمه الله: " اتفق الفقهاء على وجوب التقاط اللقيط، وأن وجوبه على الكفاية، إذا قام به واحد سقط عن الباقين، فإن تركه الجماعة، أثموا كلهم، إذا علموا فتركوه مع إمكان أخذه، بل اعتبر ابن حزم التقصير في ذلك من قتل النفس بغير حق، قال:( إن وجد صغير منبوذ ففرض على من بحضرته أن يقوم به ولا بد , لقول الله تعالى: " وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْأِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ " ( المائدة: من الآية 2)، وقال تعالى: " وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً " ( المائدة: من الآية32 ).

53 – الإسلام حث على التكافل الذاتي بأن تكون الشخصية متوازنة وحمل النفس على الطاعة:

- قال تعالى: " وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ {77}‏ " ( القصص 77 ).

- قال تعالى: " وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا {7} فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا {8} قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا {9} وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا {10} " ( الشمس 7 – 10 ).

54 – التكافل ليس قاصراً على الجيل الحالي فقط بل إننا مأمورون بأن نحافظ على الثروات والمقدرات والتراث للأجيال القادمة لكي تحمل لنا المعروف وتترحم علينا:

- قال تعالى: " وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ {10} " ( الحشر 10 ).

- جاء في تفسير بن كثير رحمه الله: قال ابن جرير: قرأ عمر بن الخطاب: { إنما الصدقات للفقراء والمساكين } حتى بلغ { عليم حليم }، ثم قال: هذه لهؤلاء، ثم قرأ: { واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن للّه خمسه وللرسول ولذي القربى } الآية، ثم قال: هذه لهؤلاء، ثم قرأ: { ما أفاء اللّه على رسوله من أهل القرى فللّه وللرسول ولذي القربى } حتى بلغ { والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم - والذين جاؤوا من بعدهم } ثم قال: استوعبت هذه المسلمين عامة، وليس أحد إلا وله فيها حق، ثم قال: لئن عشت ليأتين الراعي وهو بسرو حمير نصيبه فيها لم يعرق فيها جبينه ( أخرجه ابن جرير ).

- وروي أنه لما فتحت مصر وكان الأمير عمرو بن العاص، قال له الزبير بن العوام: اقسمها بين الغانمين، فقال: لا، حتى أكتب إلى عمر، فكتب إليه فأجابه عمر: " دعها حتى يغدو فيهما حبل الحبلة " ( حبل الحبلة: الطفل الذي مازال في بطن أمه ).

وهنا نرى مدى حرص الفاروق رضي الله عنه على مصلحة الأجيال القادمة. فالملكية العامة لا تتوقف عند جيل بعينه، ولا تقف عند المرافق العامة فحسب، بل تتخطى ذلك إلى كل ما هو مملوك للناس في أرضها وبحارها وأجوائها وآبارها ومناجمها......... الخ.

فعلى كل جيل أن يحافظ على ثروات البلاد التي تحت يديه ولا يبددها بل يعمل على المحافظة عليها وحسن استثمارها وتهيئتها للأجيال القادمة قابلة للنماء، وهذا معنى التكافل بين الأجيال بعضها البعض.

- بعد هذا الاستعراض للآيات الكريمات نجد أن الله تعالى لم يترك في النفس السَّوية تساؤلاً إلا أورد له الإجابة الشافية التي معها تستقيم الأنفس وتكون الأمور في نصابها وفي مسارها الصحيح، فلا شح ولا إسراف، ولا تبديد ولا تبديل، " وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ "؟ " وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ قِيلاً "؟

- ثالثاً: منظومة التكافل في السنة النبوية المطهرة: كما وضح القرآن الكريم التكافل وبيَّنه بياناً لا لبس فيه ولا غموض نجد أن السيرة النبوية هي الأخرى قد قدمت في هذا الجانب نماذجاً لولا أنها صحيحة ورواها ثقات ما تخيل عقل أن هذه المواقف من صنيع البشر لما فيها من التجرد والتعالي عن حظ النفس والترفع عن حطام الدنيا وسفاسف الأمور ولنا فيما فعله الأنصار مع المهاجرين المثل والأسوة الحسنة.

1- عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مَثلُ المؤمنين في توادِّهم وتراحُمِهم وتعاطُفِهم، مَثلُ الجسدِ إذا اشتكَى منه عضوٌ، تداعَى له سائرُ الجسدِ بالسَّهرِ والحُمَّى " ( رواه مسلم ).

2- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ، يشدُّ بعضُه بعضًا. وشبّك بين أصابعِه " ( رواه البخاري ).

3 - عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " المسلمُ أخو المسلمِ، لا يظلِمُه ولا يُسلِمُه. من كان في حاجةِ أخيه، كان اللهُ في حاجتِه. ومن فرَّج عن مسلمٍ كُرْبةً، فرَّج اللهُ عنه بها كُرْبةً من كُرَبِ يومِ القيامةِ. ومن ستر مسلمًا، ستره اللهُ يومَ القيامةِ " ( رواه مسلم ).

4 – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من نفَّسَ عن مسلمٍ كُربةً مِن كُربِ الدُّنيا نفَّسَ اللَّهُ عنهُ كربةً مِن كُرَبِ يومِ القيامةِ، ومن يسَّرَ على مُعسرٍ في الدُّنيا يسَّرَ اللَّهُ عليهِ في الدُّنيا والآخرةِ، ومن سَترَ على مُسلمٍ في الدُّنيا سترَ اللَّهُ علَيهِ في الدُّنيا والآخرةِ، واللَّهُ في عونِ العَبدِ، ما كانَ العَبدُ في عونِ أخيهِ " ( رواه الترمذي ).

5 - عن عبد الله بن أبي قتادة، أن أبا قتادة طلب غريماً له فتوارى عنه، ثم وجده. فقال: إني معسر، فقال: آلله؟، قال: آلله؟، قال: فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " من سَرَّه أن يُنجِيَهُ الله من كربِ يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه " ( رواه مسلم ).

6- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن في سفرٍ مع النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، إذ جاء رجلٌ على راحلةٍ له. قال: فجعل يصرف بصرَه يمينًا وشمالًا. فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: " من كان معه فضلُ ظهرٍ فليَعُدْ به على من لا ظهرَ له. ومن كان له فضلٌ من زادٍ فليَعُدْ به على من لا زاد له ". قال: " فذكر من أصنافِ المالِ ما ذكر، حتى رأينا أنه لا حقَّ لأحدٍ منَّا في فضلٍ " ( رواه مسلم ).

7 – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " المؤمن يألف ويؤلف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف، وخير الناس أنفعهم للناس " ( صححه الألباني ).

8 - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخُو المؤمنِ يكُفُّ عليه ضيْعتَه، ويَحوطُه من ورائِه " ( رواه أبو داود ).

9 – عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنَّ الأشعريِّينَ إذا أرملوا في الغزوِ أو قلَّ طعامُ عيالِهم بالمدينةِ جمعوا ما كانَ عندَهم في ثوبٍ واحدٍ ثمَّ اقتسموهُ بينَهم في إناءٍ واحدٍ بالسَّويَّةِ فَهم منِّي وأنا منْهم " ( رواه البخاري ).

10 – عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " على كلِّ نَفْسٍ كلَّ يَوْمٍ طَلَعَتْ فيهِ الشمسُ صدقةٌ مِنْهُ على نفسِهِ ". قُلْتُ يا رسولَ اللهِ من أين نَتَصَدَّقُ وليس لَنا أَمْوَالٌ؟ قال: " لِأنَّ من أبوابِ الصَّدَقَةِ التَّكْبيرَ، وسُبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إلهَ إلَّا اللهُ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، وتَأْمُرُ بالمعروفِ، وتَنْهَى عَنِ المنكرِ، وتَعْزِلُ الشَّوْكَةَ عن طَرِيقِ الناسِ والعظمَةَ والحَجَرَ، وتَهْدِي الأَعْمَى، وتُسْمِعُ الأَصَمَّ والأَبْكَمَ حتى يَفْقَهَ، وتُدِلُّ المُسْتَدِلَّ على حاجَةٍ لهُ قد عَلِمْتَ مكانَها، وتَسْعَى بِشِدَّةِ ساقَيْكَ إلى اللَّهْفَانِ المُسْتَغِيثِ، وتَرْفَعُ بِشِدَّةِ ذِرَاعَيْكَ مع الضَّعِيفِ، كلُّ ذلكَ من أبوابِ الصَّدَقَةِ مِنْكَ على نَفْسِكَ، ولكَ في جِماعِكَ زَوْجَتَكَ أَجْرٌ ". قال أبو ذَرٍّ: كَيْفَ لي أَجْرٌ في شَهْوَتِي؟ فقال: أرأيْتَ لَوْ كان لكَ ولَدٌ فَأَدْرَكَ ورَجَوْتَ خَيْرَهُ، فماتَ أَكُنْتَ تَحْتَسِبُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قال: فَأنتَ خَلَقْتَهُ؟ قال: بَلْ اللهُ خلقَهُ، قال: فَأنتَ هَدَيْتَهُ؟ قال: بَلْ اللهُ هَدَاهُ، قال: فَأنتَ تَرْزُقُهُ؟ قال: بَلْ اللهُ كان يَرْزُقُهُ، قال: كَذلكَ فَضَعْهُ في حَلالِه وجَنِّبْهُ حَرَامَهُ، فإنْ شاءَ اللهُ أَحْياهُ، وإنْ شاءَ أَماتَهُ، و لكَ أَجْرٌ " ( صححه الألباني ) وقال: إسناده صحيح على شرط مسلم.

11 – عن عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: " ما من إمام أو وال، يغلق بابه دون ذوي الحاجة والخلة والمسكنة، إلا أغلق الله أبواب السماء دون خلته وحاجته ومسكنته " ( صحيح الجامع ).

12 - عن جابر بن عبد الله وأبي طلحة الأنصاري - رضي الله عنهما- قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما من مسلمٍ يخذُلُ امرأً مسلمًا في موضعٍ تُنتهكُ فيه حُرمتُه ويُنتَقصُ فيه من عِرضِه إلَّا خذله اللهُ في موطنٍ يُحِبُّ فيه نُصرتَه وما من امرئٍ ينصُرُ مسلمًا في موضعٍ يُنتَقصُ فيه من عِرضِه ويُنتهكُ فيه من حُرمتِه إلَّا نصره اللهُ في موطنٍ يُحبُّ فيه نُصرتَه " ( رواه المنذري ).

13 – عن عبدالله بن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ليس المؤمنُ بالذي يشبعُ ؛ وجارُه جائعٌ إلى جنبِه " ( حسنه الألباني ).

14 - عن أم سلمة هند بنت أبي أمية رضي الله عنها قالت: قُلْت: يا رسولَ اللهِ، ألي أجرٌ أنْ أُنْفِقَ على بني أبي سلمةَ، إنما هم بَنِيَّ؟ فقال: " أنْفِقي عليهِم، فلكِ أجْرُ ما أنْفَقْتِ عليهِم " ( رواه البخاري ).

15 – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه وسلم: قال الله عز وجل: " أنفقْ أُنفقْ عليك، وقال: يدُ اللهِ ملأى لا تغيضُها نفقةٌ، سحَّاءُ الليلِ والنهارِ. وقال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماءَ والأرضَ فإنه لم يَغِضْ ما في يدِه، وكان عرشُه على الماءِ، وبيدِه الميزانُ يخفضُ ويرفعُ " ( رواه البخاري ).

16 – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا مات الإنسانُ انقطع عنه عملُه إلا من ثلاثةٍ: إلا من صدقةٍ جاريةٍ. أو علمٍ ينتفعُ به. أو ولدٍ صالحٍ يدعو له "( رواه مسلم ).

17 – عن سعد بن أبي وقاس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني عام حجة الوداع، من وجع اشتد بي، فقلت: إني قد بلغ بي من الوجع، وأنا ذو مال، ولا يرثني إلا ابنة، أفاتصدق بثلثي مالي؟ قال: لا. قلت: بالشطر؟ فقال: لا. ثم قال: الثلث والثلث كبير، أو كثير، إنك أن تذر ورثتك أغنياء، خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس، وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها، حتى ما تجعل في في امرأتك " ( رواه البخاري ).

18 – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " تهادُوا تحابُّوا " ( صحيح الجامع ).

19 – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " والذي نَفْسِي بيدهِ لأنْ يأْخُذَ أحدُكم حَبْلَهُ، فَيَحْتَطِبَ علَى ظَهْرِهِ خيرٌ له مِن أنْ يأْتِيَ رجُلًا، فيسألهُ أعْطاهُ أو مَنَعَهُ " ( رواه البخاري ).

20 – عن معمر بن عبدالله بن نضلة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من احتكرَ فهوَ خاطئٌ " ( رواه مسلم ).

21 – عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أنا وكافلُ اليتيمِ كهاتين في الجنةِ. وقرن بين أصبعيه الوسطى، والتي تلي الابهامَ " ( رواه أبو داود ).

22 - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " السَّاعي على الأرملةِ والمسكينِ، كالمُجاهدِ في سبيلِ اللَّهِ، أو القائمِ الليلَ والصائمِ النهارِ " ( رواه البخاري ).

23 - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اللَّهمَّ إنِّي أحرِّجُ حقَّ الضَّعيفينِ: اليتيمِ، والمرأَةِ " ( رواه بن ماجه ).

24 – عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الرَّاحمونَ يرحمُهمُ الرَّحمنُ ارحموا مَن في الأرضِ يرحَمْكم مَن في السَّماءِ " ( رواه بن حجر العسقلاني ).

25 – عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: كنا عندَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في صدر النهارِ. قال: فجاءه قومٌ حُفاةٌ عُراةٌ مُجتابي النِّمارِ أو العباءِ. مُتقلِّدي السيوفَ. عامَّتُهم من مُضَرَ. بل كلُّهم من مُضرَ. فتمعَّر وجهُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لما رأى بهم من الفاقةِ. فدخل ثم خرج. فأمر بلالًا فأذَّن وأقام. فصلَّى ثم خطب فقال: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ( النساء 1 ). والآيةَ التي في الحشرِ: اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ ( الحشر 18 ) تصدَّق رجلٌ من دينارِه، من درهمِه، من ثوبِه، من صاعِ بُرِّه، من صاعِ تمرِه ( حتى قال ) ولو بشِقِّ تمرةٍ " قال: فجاء رجلٌ من الأنصارِ بصُرَّةٍ كادت كفُّه تعجِزُ عنها. بل قد عجَزتْ. قال: ثم تتابع الناسُ. حتى رأيتُ كَومَين من طعامٍ وثيابٍ. حتى رأيتُ وجهَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يتهلَّلُ. كأنه مَذهبةٌ فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: " من سنَّ في الإسلامِ سُنَّةً حسنةً، فله أجرُها، وأجرُ مَن عمل بها بعدَه. من غير أن ينقص من أجورِهم شيءٌ. ومن سنَّ في الإسلامِ سُنَّةً سيئةً، كان عليه وزرُها ووزرُ مَن عمل بها من بعده. من غير أن يَنقصَ من أوزارهم شيءٌ " ( رواه مسلم ).

26 – عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أُمِرتُ أن أُقاتِلَ الناسَ حتى يشهدوا أن لا إلهَ إلا اللهُ وأن محمدًا رسولُ اللهِ، ويقيموا الصلاةَ، ويؤتوا الزكاةَ، فإذا فعلوا ذلك عَصَموا مني دماءَهم وأموالَهم إلا بحقِّ الإسلامِ، وحسابُهم على اللهِ " ( رواه البخاري ).

27 - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " خرجَ رسولُ اللهِ في ساعَةٍ لا يخرجُ فيها ولا يلقاهُ فيها أحدٌ، فأتاهُ أبو بكرٍ فقال: ما جاء بِكَ يا أبا بكرٍ؟ قال: خرجْتُ ألقى رسولَ اللهِ وأنظرُ في وجهِهِ والتسليمَ عليهِ. فلمْ يلبثْ أنْ جاء عمرُ، فقال: ما جاء بِكَ يا عمرُ؟ قال: الجوعُ يا رسولَ اللهِ! قال: وأنا قد وجَدْتُ بعضَ ذلكَ. فانطلقوا إلى منزلِ أبي الهيثمِ بنِ التَّيْهانِ الأنصاريِّ، وكان رجلًا كثيرَ النخلِ والشَّاءِ ولمْ يكنْ لهُ خَدَمٌ فلمْ يجدوهُ، فَقَالوا لامرأتِهِ: أين صاحبُكِ؟ فقالتْ: انطلقَ يَسْتَعْذِبُ لَنا الماءَ. فلمْ يَلبَثوا أنْ جاء أبو الهيثمِ بِقِرْبَةٍ يَزْعَبُها فوضعَها، ثُمَّ جاء يلتزمُ النبيَّ ويُفَدِّيهِ بأبيهِ وأُمِّهِ، ثُمَّ انطلقَ بِهمْ إلى حديقتِهِ فبسطَ لهُمْ بِساطًا، ثُمَّ انطلقَ إلى نخلةٍ، فَجاء بِقِنْوٍ فوضعَهُ، فقال النبيُّ: فلا تَنَقَّيْتَ لَنا من رُطَبِهِ؟ فقال: يا رسولَ اللهِ إنِّي أردْتُ أنْ تَختاروا أوْ تَخَيَّرُوا من رُطَبِهِ وبُسْرِهِ فأكلوا وشَرِبُوا من ذلكَ الماءِ، فقال: هذا والذي نَفسي بيدِهِ مِنَ النعيمِ الذي تسألونَ عنهُ يومَ القيامةِ، ظِلٌّ بارِدٌ، ورُطَبٌ طَيِّبٌ، وماءٌ بارِدٌ. فانطلقَ أبو الهيثمِ ليصنعَ لهُمْ طعامًا، فقال النبيُّ: لا تَذْبَحَنَّ ذاتَ دَرٍّ. فذبحَ لهُمْ عَناقًا أوْ جَدْيًا، فأتاهُمْ بِها، فأكلوا، فقال: هل لكَ خادمٌ؟ قال: لا. قال: فإذا أَتَانا سَبْيٌ فَأْتِنا. فَأُتِيَ بِرَأْسَيْنِ ليس مَعهُما ثالثٌ. فأتاهُ أبو الهيثمِ، فقال النبيُّ: اخترْ مِنْهُما. فقال: يا رسولَ اللهِ! اخترْ لي. فقال النبيُّ: إِنَّ المستشارَ مؤتمنٌ، خُذْ هذا، فإني رأيْتُهُ يصلِّي، واستوصِ بهِ معروفاً. فانطلقَ أبو الهيثمِ إلى امرأتِهِ، فأخبرَها بقولِ الرسولِ، فقالتِ امرأتُهُ: مَما أنتَ بِبالِغٍ حقَّ ما، قال فيهِ النبيُّ إلَّا بِأنْ تَعْتِقَهُ، قال: فهوَ عَتِيقٌ، فقال: إِنَّ اللهَ لمْ يَبْعَثْ نبيًّا ولا خَلِيفَةً إلَّا ولهُ بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بالمعروفِ وتَنْهاهُ عَنِ المنكرِ، وبِطَانَةٌ لا تَأْلوهُ خَبالا، ومَنْ يُوقَ بِطَانَةَ السُّوءِ فقد وُقِيَ " ( صححه الألباني ).

28 - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " جاء رجلٌ إلى رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فقال: إني مجهودٌ ( جائع ). فأرسل إلى بعضِ نسائه. فقالت: والذي بعثك بالحقِّ! ما عندي إلا ماءٌ. ثم أرسل إلى أخرى. فقالت مثلَ ذلك. حتى قلنَ كلهنَّ مثلَ ذلك: لا. والذي بعثك بالحقِّ! ما عندي إلا ماءٌ. فقال ( من يُضيفُ هذا، الليلةَ، رحمه اللهُ ) فقام رجلٌ من الأنصارِ فقال: أنا. يا رسولَ اللهِ! فانطلق به إلى رَحْلِه. فقال لامرأتِه: هل عندك شيءٌ؟ قالت: لا. إلا قوتُ صِبياني. قال: فعلِّلِيهم بشيءٍ. فإذا دخل ضيفُنا فأَطفِئي السِّراجَ وأَرِيه أنا نأكلُ. فإذا أهوى ليأكلَ فقومي إلى السِّراجِ حتى تُطفئيه. قال: فقعدوا وأكل الضَّيفُ. فلما أصبح غدا على النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ. فقال: ( قد عجِب اللهُ من صنيعِكما بضيفِكما الليلةَ ) " ( رواه مسلم ).

29 - من عجائب الإيثار هو ما فعلته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حين تصدقت بمائة ألف درهم وليس عليها إلا ثوب قديم وكانت صائمة، فقالت لها خادمتها: لو أبقيتِ شيئاً لتفطري عليه! فأجابتها: لو ذكرتني لفعلت!! وتصدقت مرة برغيف ليس عندها غيره وهي صائمة، فذكرتها خادمتها فقالت: ادفعي الرغيف ولن يضيعنا الله! فأهدي إليها في المساء شاة وطعام، فقالت لخادمتها: كلي!! هذا خير من قرصك! ( أي رغيفك ) ( رواه مالك في الموطأ ).

30 – عن طارق بن عبدالله المحاربي رضي الله عنه قال: " قدِمتُ المدينةَ، فإذا رسولُ اللَّهِ، قائمٌ علَى المنبرِ، يخطبُ النَّاسَ، وَهوَ يقولُ: يدُ المعطى العُليا، وابدأ بمن تعولُ: أمَّكَ وأباكَ، فأختَكَ وأخاكَ، ثمَّ أدناكَ أدناكَ " ( صححه الألباني ).

31 – عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا أبا ذر، إذا طبخت مرقة ؛ فاكثر ماءها وتعاهد جيرانك " ( رواه مسلم ). وفي رواية له عن أبي ذر قال: إن خليلي صلى الله عليه وسلم أوصاني: " إذا طبخت مرقاً فأكثر ماءه، ثم انظر أهل بيت من جيرانك، فأصبهم منها بمعروفٍ " ( رواه مسلم ).

32 – عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: " قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، إنَّ لي جارينِ أحدُهُما مُقبلٌ علي ببابِهِ والآخرُ ناءٍ ببابِهِ عنِّي وربَّما الَّذي كانَ عِندي لا يسعُهُما، فأيُّهما أعظَمُ حقًّا فقالَ: المقبِلُ عليكِ ببابِهِ " ( صححه الألباني ).

33 – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما من يومٍ يصبحُ العبادُ فيه، إلا ملَكان ينزلان، فيقول أحدُهما: اللهم أعطِ مُنفقًا خلفًا، ويقول الآخرُ: اللهم أعطِ مُمسكًا تلفًا " ( رواه البخاري ).

34- عن عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما منكم من أحدٍ إلا سيُكلِّمُه ربُّه ليس بينه وبينه تَرجُمانٌ، فينظر أيمنَ منه فلا يرى إلا ما قدَّم من عملِه، وينظر أشْأَمَ منه فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظر بين يدَيه فلا يرى إلا النّارَ تلقاءَ وجهِه، فاتَّقوا النَّارَ ولو بشِقِّ تمرةٍ " ( رواه البخاري ) وقال: قال الأعمش: وحدثني عمرو بن مرة، عن خيثمة: مثله. وزاد فيه: ولو بكلمة طيبة.

35 – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما تصدَّق أحدٌ بصدقةٍ من طيِّبٍ، ولا يقبلُ اللهُ إلا الطَّيِّبَ، إلا أخذها الرحمنُ بيمينِه. وإن كانت تمرةً. فتربو في كفِّ الرحمنِ حتى تكون أعظمَ من الجبلِ. كما يربي أحدُكم فَلُوَّه أو فصيلَه " ( رواه مسلم ).

36 - عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: " كان أبو طلحةَ أكثرُ أنصاري بالمدينةِ مالًا مِن نَخْلٍ، وكان أحبُّ مالِه إليه بَيْرُحاءَ، وكانت مُسْتَقْبَلَ المسجدِ، وكان رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَدْخُلُها ويَشْرَبُ مِن ماءٍ فيها طيِّبٌ، قال أنسٌ: فلما نزلت ( لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ). قام أبو طلحةَ فقال: يا رسولَ اللهِ، إن اللهَ يقول: ( لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ). وإن أحبَّ مالي إليَّ بَيْرُحاءُ، وإنها صدقةٌ للهِ أرجو برَّها وذُخْرَها عندَ اللهِ، فضَعْها يا رسولَ اللهِ، حيث أراكَ اللهُ، فقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: بَخٍ! ذلك مالٌ رابحٌ، أو رايحٌ - شك عبدُ الله - وقد سَمِعْتُ ما قلتَ، وإني أرى أن تجعلَها في الأَقربين. فقال أبو طلحةَ: أفعلُ يا رسولَ اللهِ، فقَسَّمَها أبو طلحةَ في أقاربِه وفي بني عمِّه " ( رواه البخاري ).

37 – عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: " أنهم ذَبَحُوا شاةً فقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ما بَقِيَ منها؟ قلْتُ: ما بَقِيَ منها إلَّا كَتِفُها. قال: بَقِيَ كلُّها غيرُ كَتِفِها " ( رواه الترمذي ).

38 – عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " دَاوُوا مَرضاكُمْ بِالصَّدقةِ " ( حسنه الألباني ).

39 – جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: " أتَى رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بني عمرِو بنِ عوفٍ يومَ الأربعاءِ فذكر الحديثَ إلى أن قال يا معشرَ الأنصارِ قالوا لبَّيْك يا رسولَ اللهِ فقال كنتم في الجاهليَّةِ إذ لا تعبدون اللهَ تحمِلون الكَلَّ وتفعلون في أموالِكم المعروفَ وتفعلون إلى ابنِ السَّبيلِ حتَّى إذا منَّ اللهُ عليكم بالإسلامِ وبنبيِّه إذا أنتم تُحصِنون أموالَكم فيما يأكلُ ابنُ آدمَ أجرٌ وفيما يأكلُ السَّبعُ والطَّيرُ أجرٌ قال فرجع القومُ فما منهم أحدٌ إلَّا هدم من حديقتِه ثلاثين بابًا "(رواه المنذري وقال صحيح أو حسن أو ما قاربهما).

40 – عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " احتجَّتِ الجنَّةُ والنَّارُ فقالتِ النَّارُ يدخلني الجبَّارونَ والمتَكبِّرونَ وقالتِ الجنَّةُ يدخلني الفقراءُ والمساكينُ فأوحى اللَّهُ عزَّ وجلَّ إلى الجنَّةِ أنتَ رحمتي أصيبُ بِك من أشاءُ وأوحى إلى النَّارِ أنتِ عذابي أصيبُ بِك من أشاءُ ولِكلِّ واحدٍ منكما ملؤُها فأمَّا النَّارُ فتقولُ هل من مزيدٍ حتَّى يضعَ قدميهِ فيها فتقولُ قَطْ قَطْ " ( رواه الطبري ).

- هذا قليل من كثير وغيض من فيض مما ورد في مدرسة النبوة في هذا الجانب.

رابعاً: منظومة التكافل في حياة الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين: كما رأينا أن النبي صلى الله عليه وسلم غرس في صحابته الكرام منظومة متكاملة من التكافل فترجموا ذلك ترجمة عملية وكونوا مجتمعاً لم يجود الزمان بمثله وضربوا أروع الأمثلة في الزهد والتكافل والإيثار ولولا أن هذه التراجم قد رواها ثقات ما صدقها عقل لما فيها من المثالية والتجرد والإيثار ونكران الذات.

- نطرح هنا بعض المواقف والأقوال من حياة الصحابة والتابعين للمثال لا الحصر:-

1 – عن أنس رضي الله عنه قال: " قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة فآخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله فقال عبد الرحمن بارك الله لك في أهلك ومالك دلني على السوق فربح شيئاً من أقط وسمن فرآه النبي صلى الله عليه وسلم بعد أيام وعليه وضر من صفرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " مهيم يا عبد الرحمن؟ " قال: يا رسول الله تزوجت امرأة من الأنصار قال: " فما سقت فيها؟ " فقال: وزن نواة من ذهب. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " أولم ولو بشاة " ( رواه البخاري ). ( مَهْيَمْ: كلمةُ استفهام، أَى: ما حالك، وما شأَنك، أَو: ما وراءَك؟ ).

2- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " قالت الأنصارُ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم: اقْسِمْ بينَنا وبينَ إخوانِنا النخيلَ. قال: لا. فقال: تُكُفوننا المَؤُونةَ ونُشْرِكُكُم في الثَّمرَةِ. قالوا: سَمِعْنا وأطَعْنا " ( رواه البخاري ).

3- عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: " أمرَنا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنْ نتصدقَ، فوافقَ ذلك عندي مالًا فقلتُ: اليومَ أسبقُ أبا بكرٍ إن سبقتُهُ يومًا قال: فجئتُ بنصفِ مالي، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: ما أبقيتَ لأهلِكَ؟ قلتُ مثلهُ، وأتى أبو بكرٍ بكُلِّ ما عنده، فقال يا أبا بكرٍ: ما أبقيتَ لأهلِكَ؟ فقال: أبقيتُ لهمُ اللهَ ورسولَهُ، قلتُ: لا أسبِقُهُ إلى شيءٍ أبدًا " ( رواه الترمذي ).

4 - عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: " لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب، قال عمر بن الخطاب لأبى بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله "؟ فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها، قال عمر: فوالله ما هو إلا رأيت أن الله شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق " ( متفق عليه ).

5- دخلت حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد رأت ما هو فيه من شدة العيش والزهد الظاهر عليه، فقالت: إن الله أكثر من الخير، وأوسع عليك من الرزق، فلو أكلت طعامًا أطيب من ذلك، ولبست ثيابًا ألين من ثوبك؟ قال: سأخصمك إلى نفسك، فذكر أمر رسول الله وما كان يلقى من شدة العيش، فلم يزل يذكرها ما كان فيه رسول الله، وكانت معه حتى أبكاها، ثم قال: إنه كان لي صاحبان سلكا طريقًا، فإن سلكت طريقًا غير طريقهما سلك بي غير طريقهما، إني والله سأصبر على عيشهما الشديد لعلي أن أدرك معهما عيشهما الرَّخِيّ.

6 – عن الأحنف بن قيس قال: " أتيتُ المدينةَ وأَنا حاجٌّ، فبَينا نحنُ في مَنازِلِنا نضعُ رحالَنا إذ أتى آتٍ، فقالَ: قدِ اجتَمعَ النَّاسُ في المسجدِ، فاطَّلعتُ، فإذا يعني النَّاسَ مجتمِعونَ، وإذا بينَ أظهرِهِم نفرٌ قعودٌ، فإذا هوَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ، والزُّبَيْرُ وطلحةُ، وسعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ رحمةُ اللَّهِ عليهم، فلمَّا قُمتُ علَيهِم قيلَ: هذا عثمانُ بنُ عفَّانَ، قد جاءَ، قالَ: فجاءَ وعلَيهِ مُليَّةٌ صفراءُ، فقلتُ لصاحِبي: كما أنتَ حتَّى أنظرَ ما جاءَ بِهِ؟ فقالَ عثمانُ: أَها هُنا عليٌّ؟ أَها هُنا الزُّبَيْرُ؟ أَها هُنا طلحةُ؟ أَها هُنا سعدٌ؟ قالوا: نعَم، قالَ: فأنشدُكُم باللَّهِ الَّذي لا إلَهَ إلَّا هوَ، أتعلَمونَ أنَّ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ قالَ: مَن يبتاعُ مِربدَ بَني فلانٍ غفرَ اللَّهُ لَهُ؟ فابتعتُهُ، فأتيتُ رسولَ اللَّهِ، فقلتُ: إنِّي ابتعتُ مِربدَ بَني فلانٍ، قالَ: فاجعلهُ في مسجِدِنا وأجرُهُ لَكَ، قالوا: اللَّهُمَّ نعَم، قالَ: فأنشدُكُم باللَّهِ الَّذي لا إلَهَ إلَّا هوَ، هل تعلمونَ أنَّ رسولَ اللَّهِ، قالَ: من يبتاعُ بئرَ رومَةَ غفرَ اللَّهُ لَهُ؟ فأتيتُ رسولَ اللَّهِ فقلتُ: قد ابتعتُ بئرَ رومةَ، قالَ: فاجعَلها سقايةً للمسلمينَ وأجرُها لَكَ، قالوا: نعَم، قالَ: فأنشدُكُم باللَّهِ الَّذي لا إلَهَ إلَّا هوَ، هل تعلَمونَ أنَّ رسولَ اللَّهِ قالَ: مَن يُجَهِّزُ جيشَ العُسرةِ غفرَ اللَّهُ لَهُ؟ فجَهَّزتُهُم حتَّى ما يفقِدونَ عِقالًا ولا خطامًا، قالوا: نعَم، قالَ: اللَّهمَّ اشهَدْ، اللَّهمَّ اشهَدْ، اللَّهمَّ اشهَدْ " ( رواه النسائي ).

7- ذكر الإمام ابن عبد البر رحمه الله في ترجمته في الاستيعاب: قال أبو إسحاق السبيعي:... وكان علي رضي الله عنه يسير في الفيء مسيرة أبي بكر الصديق في القسم إذا ورد عليه مال لم يبق منه شيئا إلا قسمه ولا يترك في بيت المال منه إلا ما يعجز عن قسمته في يومه ذلك ويقول: يا دنيا غُري غيري. ولم يكن يستأثر من الفيء بشيء ولا يخص به حميماً ولا قريباً ولا يخص بالولايات إلا أهل الديانات والأمانات وإذا بلغه عن أحدهم خيانة كتب إليه: " قد جاءتكم موعظة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين، بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين، وما أنا عليكم بحفيظ "، إذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك من أعمالنا حتى نبعث إليك من يتسلمه منك ثم يرفع طرفه إلى السماء فيقول: اللهم إنك تعلم أني لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك.

8 - عن عمرو بن ثابت قال: لما مات علي بن الحسين فغسلوه، جعلوا ينظرون إلى آثار سواد في ظهره، فقالوا: ما هذا؟! قالوا: كان يحمل جرب الدقيق ليلاً على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة.

- عن محمد بن إسحاق، قال: كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم؟ فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به في الليل.

9 - دخل عمر بن عبدالعزيز ذات ليلة على بناته، فلما أحسسنه، وضعن أيديهن على أفواههن، ثم تبادرن الباب ( خرجن من الباب مسرعات ) فقال للحاضنة: ما شأنهن؟ قالت: إنه لم يكن عندهن شيء يتعشينه إلا عدس وبصل، فكرهن أن تشم ذلك من أفواههن. فبكى عمر، ثم قال لهن: يا بناتي ما ينفعكن أن تعشّيْن الألوان ( أصناف الطعام ) ويُمَرُ بأبيكُن إلى النار. قال: فبكين حتى علت أصواتهن، ثم انصرف.

10 – جاء في كتاب الكبائر للإمام الذهبي رحمه الله: " بعض العلويين وكان نازلا ببلخ من بلاد العجم وله زوجة علوية وله منها بنات وكانوا في سعة ونعمة فمات الزوج وأصاب المرأة وبناتها بعده الفقر والقلة فخرجت ببناتها إلى بلدة أخرى خوف شماتة الأعداء واتفق خروجها في شدة البرد فلما دخلت ذلك البلد أدخلت بناتها في بعض المساجد المهجورة ومضت تحتال لهم في القوت فمرت بجمعين جمع على رجل مسلم وهو شيخ البلد وجمع على رجل مجوسي وهو ضامن البلد فبدأت بالمسلم وشرحت حالها له وقالت أنا امرأة علوية ومعي بنات أيتام أدخلتهم بعض المساجد المهجورة وأريد الليلة قوتهم فقال لها أقيمي عندي البينة إنك علوية شريفة فقالت أنا امرأة غريبة ما في البلد من يعرفني فأعرض عنها فمضت من عنده منكسرة القلب فجاءت إلى ذلك الرجل المجوسي فشرحت له حالها وأخبرته أن معها بنات أيتام وهي امرأة شريفة غريبة وقصت عليه ما جرى لها مع الشيخ المسلم فقام وأرسل بعض نسائه وأتوا بها وبناتها إلى داره فأطعمهن أطيب الطعام وألبسهن أفخر اللباس وباتوا عنده في نعمة وكرامة قال فلما انتصف الليل رأى ذلك الشيخ المسلم في منامه كأن القيامة قد قامت وقد عقد اللواء على رأس النبي وإذا القصر من الزمرد الأخضر شرفاته من اللؤلؤ والياقوت وفيه قباب اللؤلؤ والمرجان فقال يا رسول الله لمن هذا القصر قال لرجل مسلم موحد فقال يا رسول الله أنا رجل مسلم موحد فقال رسول الله أقم عندي البينة أنك مسلم موحد قال فبقي متحيراً فقال له لما قصدتك المرأة العلوية قلت أقيمي عندي البينة إنك علوية فكذا أنت أقم عندي البينة إنك مسلم فانتبه الرجل حزينا على رده المرأة خائبة ثم جعل يطوف بالبلد ويسأل عنها حتى دل عليها أنها عند المجوسي فأرسل إليه فأتاه فقال له أريد منك المرأة الشريفة العلوية وبناتها فقال ما إلى هذا من سبيل وقد لحقني من بركاتهم ما لحقني قال خذ مني ألف دينار وسلمهن إلي فقال لا أفعل فقال لا بد منهن فقال الذي تريده أنت أنا أحق به والقصر الذي رأيته في منامك خلق لي أتدل علي بالإسلام فوالله ما نمت البارحة أنا وأهل داري حتى أسلمنا كلنا على يد العلوية ورأيت مثل الذي رأيت في منامك وقال لي رسول الله العلوية وبناتها عندك قلت نعم يا رسول الله قال القصر لك ولأهل دارك وأنت وأهل دارك من أهل الجنة خلقك الله مؤمناً في الأزل قال فانصرف المسلم وبه من الحزن والكآبة ما لا يعلمه إلا الله فانظر رحمك الله إلى بركة الإحسان إلى الأرملة والأيتام ما أعقب صاحبه من الكرامة في الدنيا.

- هذه مجرد نماذج للاستدلال والمثال لا الحصر لأن النماذج تترى من لدن النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا.

- خامساً: توصية واجبة: علينا أن ندرك بل نوقن أن التكافل جزء من عقيدة المسلم ومن خلق الإسلام ومبادئه كما أنه يوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع لأنه يقضي على التفاوت الطبقي المذموم ولذلك يجب على كل صاحب نعمة أو فضل أن يجود مما رزقه الله تعالى به – مادياً كان أو معنوياً - على كل محتاج دون إسراف أو تقتير أو إبطاء حتى تسود المحبة والألفة والأخوة والإيثار والأمن وحب الوطن...... الخ.

- كما علينا أن نوقن أيضاً أن التكافل يميز المجتمع المسلم عن غيره من المجتمعات التي تقوم على فلسفات من شأنها أن توجِد التفاوت الطبقي الذي يزيد الغني غناً فاحشاً ويزيد الفقير فقراً مُدقعاً. فلك أن تتخيل المجتمع وقد جرد من التكافل فلن ترى سوى العقوق والجحود والحسد والبغض والكراهية والسخط والأنانية.. الخ. كما أنه ستسود في هذا المجتمع الجرائم والفوضى والعبثية والمشاحنات وعدم الانتماء.

- على هذا فالتكافل يقضي حاجة المضطر، ويزيل هَمُّ المهموم، ويضمد جرح المصاب، فيكون المجتمع قوياً متماسكاً كالبنيان المصوص.

اللهم ألف بين قلوبنا ولا تجعل للشيطان مكانا بيننا

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

## الثمرة الثامنة: الانتماء في الإسلام

- الوطن كلمة لها جرس خاص في الآذان، وقبضة في القلوب وقشعريرة في الأبدان. هذه الكلمة كثيراً ما تغنى بها الشعراء وتفنن في ذكرها الأدباء وأصابت باللوعة والأسى الغرباء.

- الوطن هواء وسماء، عُشب وماء، تراب وطين، ذكريات وحنين , ضحكات وآهات، أهل وأحباب، أبناء وأحفاد، أفراح وأتراح، عبرات وابتسامات.

- إن الوطن عبارة عن مزيج من كل شيء، يسري في العروق، فإذا حُرِم منه الإنسان سار كالطفل الذي حُرم من حنان أمه فلا يجف له دمع ولا يهدأ له حال حتى يجتمع الشمل وتلتقي النظرات وتنسكب العبرات والزفرات فرحاً بذلك.

أولاً: تعريف الوطن بمفهومه الشامل: قال ابن منظور رحمه الله في لسان العرب: ( الوطن ): المنزل تقيم فيه , وهو موطن الإنسان , ومحله , يقال: أوطن فلان أرض كذا وكذا , أي اتخذها محلاً , ومسكناً يقيم فيه.

- وجاء في تاج العروس: " الوطن منزل الإقامة من الإنسان ومحله , وجمعها أوطان ".

- قال الجاحظ رحمه الله: " كانت العرب إذا غزَتْ، أو سافرتْ، حملتْ معها من تربة بلدها رملًا وعفرًا تستنشقه ".

قال الغزالي رحمه الله: " والبشر يألَفُون أرضَهم على ما بها، ولو كانت قفرًا مُستوحَشًا، وحبُّ الوطن غريزةٌ متأصِّلة في النفوس، تجعل الإنسانَ يستريح إلى البقاء فيه، ويحنُّ إليه إذا غاب عنه، ويدافع عنه إذا هُوجِم، ويَغضب له إذا انتقص ".

ولذلك فإن مصطلح " التغريب " ‏ يقصد به: " النفي والإبعاد عن الوطن عقاباً على ما يصدر من الشخص من جُرم في حق الآخرين أو في حق الوطن " ‏. وهو ما ذكر في تهديد قوم لوط عليه السلام له: " قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ {167} " ( الشعراء 167 ). وكذلك في قوله تعالى: " إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ {33} " ( المائدة 33 ).

- أما عن مصطلح " الجلاء " جاء في التفسير الكبير أن معناه: " الخروج من الوطن والتحول عنه، والجلاء نوع من أنواع التعذيب ". قال تعالى عن جلاء اليهود عن المدينة: " وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاء لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ {3}‏ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ {4} " ( الحشر 3 – 4 ).

- وكل ما سبق لا يجب أن يتنافى مع العقيدة والدين ففي سبيل العقيدة والدين هجر النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام الأوطان وتركوا كل غال ونفيس لإعلاء كلمة التوحيد ولكي يُعلِّموا من يأتون بعدهم من المسلمين أن الوطن الحقيقي ليس هو المكان الذي تحده الحدود والمعالم فقط ولكن هو كل مكان ترفع فيه كلمة التوحيد ويأمن فيه الفرد على نفسه وعلى إقامة شعائر دينه. قال تعالى: " إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ {92} " ( الأنبياء 92 ). وقال تعالى: " وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ {52} " ( المؤمنون 52 ).

- قال الشاعر: فَأَيْنَمَا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ فِي بَلَدٍ عَدَدْتُ ذَاكَ الحِمَى مِنْ صُلْبِ أَوْطَانِي

- إن الانتماء وحب الأوطان ليس مدعاة للانسلاخ من الدين أو التنازل عن بعض مبادئه وليس مدعاة للذوبان في مجتمع قد طمست فيه الهوية وضاعت فيه القيم، وليس مدعاة لتقديم العصبية والقبلية على العقيدة والدين. عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: " كنا في غَزاةٍ - قال سُفيانُ مرةً: في جيشٍ - فكسَع رجلٌ من المهاجرينَ رجلًا من الأنصارِ، فقال الأنصارِيُّ: يا لَلأنصارِ، وقال المهاجرِيُّ: يا للمهاجرينَ، فسمِع ذاك رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فقال: " ما بالُ دَعوى جاهليةٍ ". قالوا: يا رسولَ اللهِ، كسَع رجلٌ من المهاجرينَ رجلًا من الأنصارِ، فقال: " دَعوها فإنها مُنتِنَةٌ "( رواه البخاري ).

- عن أبو مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أربعٌ في أمَّتي من أمرِ الجاهليَّةِ، لا يتركونهنَّ: الفخرُ في الأحسابِ، والطَّعنُ في الأنسابِ، والاستسقاءُ بالنُّجومِ، والنِّياحةُ " ( رواه مسلم ).

- وعن جندب بن عبدالله و أبو هريرة رضي الله عنهما: " مَنْ قُتِلَ تحتَ رايةٍ عَمِّيَّةٍ، يَنصرُ العصبيةَ، ويغضبُ للعصبيةِ، فقِتْلتُهُ جاهليةٌ " ( صححه الألباني ).

- قال حسن البنا رحمه الله: "........ فالإسلام والحالة هذه لا يعترف بالحدود الجغرافية ولا يعتبر الفروق الجنسية والدموية , ويعتبر المسلمين جميعا أمة واحدة , ويعتبر الوطن الإسلامي وطناً واحداً مهما تباعدت أقطاره وتناءت حدوده.

ثانياً: منظومة الانتماء في القرآن الكريم: لأهمية الأوطان بالنسبة للإنسان عموماً وللمسلم بصفة خاصة نجد أن الله تعالى قد أفرد العديد من الآيات في كتابه الكريم تتحدث عن الوطن وأهميته ومدى التعلق به وضرورة الدفاع عنه وتمني الخير له وتقديم مصلحته على أي مصلحة أخرى مهما كانت التضحيات. ونسوق هنا بعض الآيات لنبرهن على ذلك.

أ) لأهمية الوطن استخدم أسلوب التهديد بالطرد والإخراج منه والإبعاد عنه كوسيلة من وسائل العقاب:

1- قال تعالى:" قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ {167} " ( الشعراء 167 ).

2- قال تعالى: " وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجوكَ مِنْهَا وَإِذاً لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً {76} " ( الإسراء 76 ).

3- قال تعالى: " وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ {30} " ( الأنفال 30 ).

ب) لأهمية الوطن استخدم أسلوب الطرد والإخراج منه والإبعاد عنه كوسيلة من وسائل العقاب:

1- قال تعالى: " إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ {33} " ( المائدة 33 ).

2- قال تعالى:" فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ {56} " ( النمل 56 )

3- قال تعالى: " وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ {82} " ( الأعراف 82 ).

4- قال تعالى: " إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ {40}‏ " ( الأنفال 40 ).

5- قال تعالى: " وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ {13} " ( محمد 13 ).

ج) الخروج من الوطن ومفارقته من الأشياء العزيزة على النفس ولا تميل إليه وهو بمثابة خروج الروح:

1- قال تعالى: " وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُواْ مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً {66} " ( النساء 66 ).

2- قال تعالى: " كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ {5} " (الأنفال 5 ).

د) الإنسان لا يضطر إلى مُغادرة الوطن إلا لضرورة مُلحة أو تفادياً لخطر أكبر:

- قال تعالى: " وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ {20} فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ {21}‏ " ( القصص 20 – 21 ).

ه ) جعل الله تعالى الثواب الأعظم لمن يُرغم على الخروج من وطنه ومفارقة الأهل والأحبة والأموال قسراً:

1- قال تعالى: " لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ {8} " ( الحشر 8 ).

2- قال تعالى: " فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَاباً مِّن عِندِ اللّهِ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ {195} " ( آل عمران 195 ).

3- قال تعالى: " الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ.... {40} " ( الحج من الآية 40 ).

و) حب الوطن وتمني الخير له غريزة فطرية في الإنسان:

- قال تعالى: " وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ {35} " ( إبراهيم 35 ).

ز) أحيانا يكون الخروج من الوطن والبعد عنه هو ضرورة ملحة والخيار الأمثل بل واجباً شرعياً حِفاظاً على النفس وحفاظاً على الدين:

1- قال تعالى: " الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً {75} " ( النساء 75 ).

2- قال تعالى: " وَلُوطاً آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ {74} " ( الأنبياء 74 ).

3- قال تعالى: " فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ {35} فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ {36} " ( الذاريات 35 – 36 ).

4- قال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيراً {97} إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً {98} فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللّهُ عَفُوّاً غَفُوراً {99} وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللّهِ وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَّحِيماً {100} (النساء 97 – 100 ).

5- قال تعالى: "..... وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ {72} " ( الأنفال 72 ).

ح) المصلحة العليا للوطن مُقدمة فوق أي مصلحة أخرى ولا يجب التواد مع المتآمرين على سلامة الوطن وسلامة أراضيه:

1- قال تعالى: " لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ {8} إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ {9} " ( الممتحنة 8 – 9 ).

2- قال تعالى: " وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ {190}‏ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ {191} " ( البقرة 191 ).

3- قال تعالى: " أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤُمِنِينَ {13}‏ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ {14} وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللّهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ {15} " ( التوبة 13 – 15 ).

4- قال تعالى: " يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {217} " ( البقرة 217 ).

ط) عندما يستنفذ المسلمون كل سبل الدفاع عن أوطانهم تتدخل قدرة الله تعالى للدفاع عن بلاد المسلمين:

- قال تعالى: هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ {2} " ( الحشر 2 ).

ي) من الصفات التي ذم الله تعالى بها أهل الكتاب والأمم السابقة استخدامهم وسيلة الإخراج والإبعاد والطرد لمن يخالفوهم في الرأي أو يدعونهم للخير:

- قال تعالى: " وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ {84} ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ {85} " ( البقرة 84 – 85 ).

- تلك عشرة كاملة أرساها الله تعالى في كتابه الكريم لنتعرف منها على ضوابط التعامل مع الأوطان حباً وانتماءً وتمسكاً ودفاعاً وألا يكون حب الوطن سيفاً مُسلطاً على الرقاب بالإخراج منه أو التهديد بذلك.

- ثالثاً: منظومة الانتماء في السنة النبوية المطهرة: لقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم أروع الأمثله في الانتماء للوطن وحب الأهل والعشيرة ولم يتبادر إلى ذهن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سيُجبر على مفارقة هذا الوطن يوماً من الأيام، فعندما قال له ورقة بن نوفل: " ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومُك "، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: " أوَمُخرجِيَّ هم؟ " قال: نعم، لم يأتِ رجل قطُّ بمثل ما جئتَ به إلا عودي، وإن يدركني يومُك أنصرْك نصرًا مؤَزَّرًا. ثم لم ينشب ورقةُ أن توفي، وفترُ الوحيُ " ( رواه البخاري ).

- قال السفيري رحمه الله " قوله صلى الله عليه وسلم: ( أو مخرجي هم؟ ): " استفهام إنكاري على وجه التفجع والتألم، كأنه استبعد صلى الله عليه وسلم أن يخرجوه من حرم الله وجوار بيته، وبلدة أبيه إسماعيل من غير سبب، فإنه صلى الله عليه وسلم لم يكن منه فيما مضى ولا فيما سيأتي سبب يقتضي إخراجاً، بل كانت منه المحاسن الظاهرات والكرامات المقتضية لإكرامه وإنزاله بأعلى الدرجات ".

ولأن مفارقة الأوطان تترك في القلب لوعة وحنيناً نجد أن الله تعالى أراد أن يُسرِّي عن النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل عليه قوله تعالى: " إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاء بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ {85} " ( القصص 85 ).

- يقول سيد قطب رحمه الله: "... يتوجه الخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن خلفه القلة المسلمة التي كانت يومها بمكة، يتوجه الخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مُخرج من بلده، مُطارد من قومه، وهو في طريقه إلى المدينة التي لم يبلغها بعد، فقد كان بالجحفة قريبًا من مكة، قريبًا من الخطر، يتعلق قلبه وبصره ببلده الذي يحبه، والذي يعز عليه فراقه لولا أن دعوته أعز عليه من بلده وموطن صباه، ومهد ذكرياته، ومقر أهله، يتوجه الخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في موقفه ذلك: { إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ } ( القصص 85 ) فما هو بتاركك للمشركين.

- ولقد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: " اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد " ( رواه البخاري ).

- ونسوق هنا بعض الأحاديث التي وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن:-

1 - عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنَّ اللَّهَ خلقَ السَّماواتِ سبعًا ثمَّ خلقَ الخلقَ فاختارَ منَ الخلقِ بَنيِ آدمَ ثمَّ اختارَ من بَنيِ آدمَ العَربَ ثمَّ اختارَ منَ العَربِ مُضرَ ثمَّ اختارَ مِن مضرَ قُرَيْشًا ثمَّ اختارَ من قُرَيْشٍ بَنيِ هاشمٍ ثمَّ اختارَني من بَني هاشمٍ فأَنا خيارٌ مِن خيارٍ " ( رواه ابن حجر العسقلاني في الأمالي المطلقة ).

2 - عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " حب قريش إيمان وبغضهم كفر، وحب العرب إيمان وبغضهم كفر، فمن أحب العرب فقد أحبني، ومن أبغض العرب فقد أبغضني " ( رواه الحاكم والطبراني ).

3 – عن عبدالله بن عباس رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ لمكَّةَ ما أطيبَكِ من بلدٍ وأحبَّكِ إليَّ، ولولا أنَّ قومي أخرجوني منكِ ما سَكَنتُ غيرَكِ " ( رواه الترمذي ).

4 – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى عليه وسلم: " لو أنَّ الأنصارَ سلكوا واديًا، أو شِعبًا، لسلكتُ في وادي الأنصارِ، ولولا الهجرةُ لكنتُ امرأً منَ الأنصارِ ". فقالَ أبو هريرةَ: ما ظلمَ، بأبي وأمِّي، لآوَوْهُ ونصروهُ، أو كلمةً أخرى ( رواه البخاري ).

5 – عن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مَنْ قُتِلَ دُونَ مالِهِ فهوَ شَهيدٌ. ومَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فهوَ شَهيدٌ. ومَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فهوَ شَهيدٌ، ومَنْ قُتِلَ دُونَ أهلِهِ فهوَ شَهيدٌ " ( رواه الترمذي ).

6 – عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: " لمَّا قدِمَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ المدينَةَ وُعِكَ أبو بكرٍ وبلالٌ، فكانَ أبو بكرٍ إذا أَخَذَتْهُ الحمَّى يقولُ: كلُّ امرئٍ مُصْبِحٌ في أهْلِهِ \* والموت أدنى من شراك نعله. وكانَ بلالٌ إذا أقْلَعَ عنهُ الحمَّى يرْفَعُ عَقِيَرتَهُ يقولُ: ألا ليتَ شِعْرِي هلْ أَبِيتَنَّ ليلةً \* بوادٍ وحولِي إذْخِرٌ وجَلِيلُ. وهلْ أَرِدَنَّ يومًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ \* وهلْ يَبْدُوَنَّ لي شَامَةٌ وطَفِيلُ. وقالَ: اللهمَّ العَنْ شَيبَةَ بنَ رَبيعَةَ، وعُتْبَةَ بنَ ربِيعَةَ، وأميَّةَ بنَ خَلَفٍ، كمَا أخْرَجُونَا من أرْضِنَا إلى أرضِ الوَبَاءِ. ثمَّ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: " اللهمَّ حَبِبْ إلينَا المدينةَ كحُبِّنَا مكةَ أو أَشَدَّ، اللهمَّ بارِكْ لنَا في صَاعِنَا وفي مُدِّنَا، وصَحِّحْهَا لنَا، وانْقُلْ حُمَّاهَا إلى الجُحْفَةِ ". قالتْ: وقَدِمْنَا المدينةَ وهيَ أَوْبَأُ أرضِ اللهِ، قالتْ: فكانَ بُطْحَانُ يجرِي نَجْلًا، تعنِي ماءً آجِنًا " ( رواه البخاري ).

7 – عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اللهم اجعلْ بالمدينةِ ضِعفَي ما جعَلْتَ بمكةَ من البرَكةِ " ( رواه البخاري ).

8 – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " كان الناسُ إذا رأوا أولَ الثمرِ جاءوا به إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ. فإذا أخذه رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال: " اللهمَّ! بارِك لنا في ثمرِنا. وبارِك لنا في مدينتِنا. وبارِك لنا في صاعِنا. وبارِك لنا في مُدِّنا! اللهمَّ! إنَّ إبراهيمَ عبدُك وخليلُك ونبيُّك. وإني عبدُك ونبيُّك. وإنه دعاك لمكةَ. وإني أدعوك للمدينةِ. بمثل مادعاك لمكةَ. ومثلُه معه ". قال: ثم يدعو أصغرَ وليدٍ له فيُعطيه ذلك الثمرَ " ( رواه مسلم ).

9 – عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: " كان رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إذا قَدِمَ مِن سفرٍ، فأَبْصَرَ درجاتِ المدينةِ، أَوْضَعَ ناقتَه، وإن كانت دابَّةً حرَّكَها " ( رواه البخاي ). أوضع ناقته: أسرع بها.

10 - وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: " كان إذا اشتكى الإنسانُ الشيءَ منهُ، أو كانت بهِ قرحةٌ أو جرحٌ. قال النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بإصبعِه هكذا. ووضع سفيانُ سبَّابتَه بالأرضِ ثم رفعها. " باسمِ اللهِ. تربةُ أرضنا. بريقِةِ بعضِنا. ليُشفَى بهِ سقيمُنا. بإذنِ ربِّنا ". قال ابنُ أبي شيبةَ " يشفى " وقال زهيرٌ " ليُشفَى سقيمُنا " ( رواه مسلم ).

11- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن أُحُداً جبل يحبنا ونحبه " ( رواه مسلم ).

12 – عن مالكِ بنِ الحُويرِثِ ؛ قال: أتينا رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ونحن شَبَبةٌ متقارِبون. فأقمْنا عنده عشرينَ ليلةً. وكان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ رحيمًا رقيقًا. فظن أنا قد اشتَقْنا أهلَنا. فسألَنا عن من تركْنا من أهلِنا. فأخبرْناه. فقال ارجِعوا إلى أهلِيكم. فأقيموا فيهم. وعلِّموهم. ومُروهم. فإذا حضرتِ الصلاةُ فلْيؤَذِّنْ لكم أحدُكم. ثم لْيؤمَّكم أكبرُكم " ( رواه مسلم ).

- جاء في الأثر: روى ابن شهاب الزهري قال: " قدم أصيل الغفاري قبل أن يضرب الحجاب على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فدخل على عائشة، رضي الله عنها، فقالت له: يا أصيل، كيف عهدت مكة؟ قال: عهدتها قد أخصب جنابها وابيضت بطحاؤها. قالت: أقم حتى يأتيك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يلبث أن دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا أصيل، كيف عهدت مكة؟ قال: عهدتها والله قد أخصب جنابها، وابيضت بطحاؤها وأعذق إذرخرها، وأسلب ثمامها وأمشر سلمها، فقال: حسبك يا أصل، لا تحزنا " رواه محمد بن عبد الرحمن القرشي، عن مدلج، هو ابن سدرة السلمي، قال قدم أصيل الهذلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة، نحوه.

- هكذا عبر النبي صلى الله عليه وسلم عن مدى حبه للوطن وعلمنا كيف يكون الانتماء بمفهومه الشامل ومفهومه الصحيح، فلا إفراط يصل لدرجة الغلو والتقديس، ولا تفريط يصل لدرجة الاستهانة والانتقاص. وعلى دربه صلى الله عليه وسلم سار صحابته الكرام والتابعين وتابعيهم رضوان الله عليهم أجمعين.

رابعاً: قالوا عن الوطن: لقد تفنن المخلصون في التعبير عن حبهم للوطن، ونظم الشعراء قصائداً تتغنى بالوطن، وألف الأدباء كتباً في محبته فترك الجميع لنا تراثاً في هذا الشأن يصلح بأن نقتبس منه بعد كتاب الله تعالى وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم.

1- قال إبراهيم بن أدهم: " ما قاسيت فيما تركت شيئا أشد علي من مفارقة الأوطان ".

2- قال ابن المبارك وغيره: " إن من أقام في مدينة أربع سنين فهو من أهلها ".

3 - قال بعض الفلاسفة: " فطرة الرجل معجون بحب الوطن ".

4 - قال أبقراط: " يداوي كل عليل بعقاقير أرضه فان الطبيعة تتطلع لهوائها وتنزع إلى غذائها ".

5 - قال الرافعي القزويني: " ولو لا نزوع النفس إلى مسقط الرأس ودائرة الميلاد لم ينزل: " إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ".

6 - أنشدت ميسون بنت بحدل الكلبية في حب وطنها قائلة:

خشونة عيشتي في البدو أشهى إلى نفسي من العيش الطريف

فما أبغي سوى وطني بديلاً فحسبي ذاك من وطن شريف

7 - قال الشريف قتاده أبوعزيز:

بلادى وأن هانت على عزيزة ولو أننى أعرى بها وأجوع

8- قال أبو تمام الطائي:

بالشّامِ أهلي وبغداد الهوى وأنا بالرقمتينِ وبالفسطاطِ جِيراني

فأينما ذُكر اسمُ اللهِ في بلدٍ عددتُ ذاكَ الحمى من صلبُ أوطاني

9 – قال عبد الرحمن الداخل وهو بأرض الأندلس:

أيّها الراكب الميمم أرضي... اقر منّي بعض السلام لبعضي

إنّ جسمي كما تراه بأرضٍ... وفؤادي ومالكيه بأرض

10 - قال جعفر بن أحمد السراج البغدادي:

وقفنا وقد شطت بأحبابنا النوى على الدار نبكيها سقي ربعها المزن

أفيك لحمل الشوق يا ريح موضع فقد ضعفت عن حمل أشواقنا البدنُ

خامساً: الختامة: إن حب الوطن ليس معناه السير في قطيع واعتناق مبادئه والتحدث بلسانه واقتفاء أثر الأباء والأجداد دون إعمال للعقل.

- إن حب الوطن يعني غرس واقتلاع وليس مجرد إتباع.

- إن حب الوطن يعني غرس كل ما هو في مصلحة أفراد الوطن وأجيال الوطن المتلاحقة وتراب الوطن والحفاظ عليه والدفاع عن حياضه مهما كانت التضحيات وتوريث ذلك للأجيال.

- إن حب الوطن يعني إقتلاع كل ما من شأنه إحداث ضرراً بأفراد الوطن وأجيال الوطن أو بتراب الوطن وسلامة أراضيه وتوريث ذلك للأجيال كذلك.

- إن حب الوطن يعني غرس قيم المواطنة الصحيحة البناءة التي لا تصطدم مع دين ولا مع موروثات صحيحة.

- إن حب الوطن يعني اقتلاع كل ما من شأنه إلحاق الضرر العاجل أو الآجل، الحالي أو المستقبلي بالوطن أو بأفراده أو معتقداتهم.

- إن حب الوطن يعني دراسة تاريخه للاستفادة من إيجابياته والإضافة عليها وتجنب سلبياته وتلاشيها.

- إن الوطن لابد وأن يعيش فينا قبل أن نعيش فيه. فبدونه يصبح الإنسان هائماً على وجهه مشرداً طريداً لا قيمة له.

- إن حب الوطن يعني أن يكون الفرد خير ممثلاً لوطنه أينما حل وأينما ارتحل.

- ألم ترى أن الطيور والحيوانات والأسماك تهاجر لأبعد المسافات وتجوب الأرض من أقصاها إلى أقصاها ثم تعود لأوطانها؟

- ألم ترى أن الإنسان يجوب الأرض ويطوي أطرافها حتى إذا أنهكت قواه وبلغ من العمر أرذله عاد إلى موطنه ليدفن في مسقط رأسه؟

- هل هناك مخلوق على وجه البسيطة يعيش بلا وطن؟

- هل هناك أسد بلا عرين؟

- هل هناك نحل بلا خلية؟

- هل هناك طائر بلا عش؟

- هل هناك أفعى بلا جحر؟

- هل هناك غنم بلا حظيرة؟

- هل هناك سمك بلا ماء؟

وصدق الشاعر حيث قال: بلادى وأن هانت على عزيزة ولو أننى أعرى بها وأجوع

وقال آخر: بِلاَدِي وَإِنْ جَارَتْ عَلَيَّ عزيزة وَأَهْلِي وَإِنْ ضَنُّوا عَلَيَّ كِرَامُ

- وخلاصة القول أننا يجب أن نوازن بين الإفراط في حب الوطن والتفريط في حب الوطن. فلا نُفْرِط في حبنا للوطن لدرجة التقديس الطاغي الذي يجعله في مرتبة أعلى من ثوابت ديننا، ولا نُفَرِّط في حبنا للوطن ونخذله في مواطن النصرة ونشمت فيه الأعداء.

- اللهم من أراد أوطاننا بسوء فأشغله بنفسه ورد كيده في نحره وإجعل تدبيره في تدميره.

- اللهم إحفظ أوطاننا من شر الأشرار وكيد الفجار وشر طوارق الليل والنهار.

- اللهم إحفظ أوطاننا من عث العابثين وكيد الكائدين وعدوان المعتدين.

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

## الجمرة الأولى: الخيانة

- جاء في لسان العرب لابن منظور: الخون أن يؤتمن الإنسان فلا ينصح، خانه يخونه خوناً وخيانة وخانة ومخانة.

- قال القرطبي رحمه الله تعالى في تفسيره: والخيانة: الغدر وإخفاء الشيء، ومنه: " يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ " ( غافر 19 ) وكان عليه الصلاة والسلام يقول: " اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع، ومن الخيانة فإنها بئست البطانة " ( خرجه النسائي عن أبي هريرة ).

- والخيانة هي عكس الأمانة، وهي نقصان في الوفاء، وتفريط الإنسان في حقوق الغير التي تحت يديه " مادية كانت أو معنوية " أو تبديدها أوإفشائها وإذاعتها.

- قال الجاحظ: الخيانة هي الاستبداد بما يؤتمن الإنسان عليه من الأموال والأعراض والحرم، وتملك ما يستودع ومُجاحدة مُودعه، وفيها أيضاً طي الأخبار إذا نُدِب لتأديتها، وتحريف الرسائل إذا تحملها فصرفها عن وجوهها ".

- قال الراغب: الخيانة والنفاق واحد، إلا أن الخيانة تُقال: اعتباراً بالعهد والأمانة، والنفاق يُقال: اعتباراً بالدين، ثم يتداخلان. فالخيانة: مُخالفة الحق بنقض العهد في السِّر. ونقيض الخيانة الأمانة.

- لقد عد الإمام الذهبي الخيانة من الكبائر بدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم: " آية المنافق ثلاث، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان " ولقوله أيضاً: " أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك ".

- وقال: الخيانة قبيحة في كل شيء، وبعضها شر من بعض، وليس من خانك في فِلس كمن خانك في أهلك ومالك وارتكب العظائم.

- قال بن عاشور: حقيقة الخيانة عمل من اؤتمن على شيء بضد ما اؤتمن لأجله، بدون علم صاحب الأمانة.

يقول سيد قطب رحمه الله: إن الإسلام يكره الخيانة، ويحتقر الخائنين الذين ينقضون العهود، ومن ثم لا يحب للمسلمين أن يخونوا أمانة العهد في سبيل غاية مهما تكن شريفة.. إن النفس الإنسانية وحدة لا تتجزأ، ومتى استحلت لنفسها وسيلة خسيسة، فلا يمكن أن تظل محافظة على غاية شريفة.. وليس مُسلماً من يبرر الوسيلة بالغاية، فهذا المبدأ غريب على الحس الإسلامي والحساسية الإسلامية، لأنه لا انفصال في تكوين النفس البشرية وعالمها بين الوسائل والغايات.. إن الشط الممرع لا يغري المسلم بخوض بركة من الوحل، فإن الشط الممرع لابد أن تلوثه الأقدام الملوثة في النهاية.. من أجل هذا كله يكره الله الخائنين ويكره الله الخيانة. ( مُمرع: خِصب وكثير العُشب ).

- وفي العصر الحديث يتم إطلاق مصطلح ( الطابور الخامس ) أو ( الخيانة العظمى ) على الخونة وأعوانهم، حيث يصف المصطلح مجموعة من الناس تتعامل غالبًا مع أعداء داخليين أو خارجيين بغرض التخريب والتضليل وإشاعة الفوضى وزعزعة أمور البلاد. وتقوم أركان الخيانة العظمى عند قيام شخص بخدمة دولة أجنبية وتعهد مصالحها على حساب مصلحة دولته التي ينتمي إليها، ما يؤدي إلى المساس بأمن بلده واستقراره أو الإضرار بمركزه السياسي.

أولاً: ذكر بعض الآيات التي تحدثت عن الخيانة والخائنين في القرآن الكريم: -

لقد وردت في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تحذرنا من صفة الخيانة ومن الميل إلى الخائنين أو الركون إليهم أو الدفاع عنهم فالله تعالى يُبطِل خيانتهم ولا يُصلِح لهم عملاً ويكفيهم حرماناً وذلاً أن الله تعالى قد صرَّح بعدم حبه لهم.

1- قال تعالى: " إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً {105}‏ " ( النساء 105 ).

2- قال تعالى: " وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً {107} " ( النساء 107 ).

3- قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ {27} " ( الأنفال 27 ).

4- قال تعالى: " وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ {58} " ( الأنفال 58 ).

5- قال تعالى: " وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ اللّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ {71} "

( الأنفال 71 )

6- قال تعالى: " ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ {52} " ( يوسف 52 ). ‏

7- قال تعالى: " إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ {38}‏ " ( الحج 38 ).

8- قال تعالى: " يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ {19} " ( غافر 19 ).

- وهكذا رأينا الآيات التي تربي مجتمعاً نظيفاً خالياً من هذه الآفة بل تسد كل الأبواب الموصلة إليها ولم يرخص الله تعالى استعمالها حتى مع أعداء الإسلام.

- ثانياً: ذكر بعض الأحاديث النبوية التي حذرت من الخيانة: إن الأحاديث النبوية المُطهرة بها ما يسد الذرائع أمام هذه الآفة الخطيرة بكل أشكالها ما صغر منها وما كبر وما قل منها وما كثر:-

1- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ " ( رواه البخاري ومسلم ).

2 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بِكَ منَ الجوعِ فإنَّهُ بئسَ الضَّجيعُ وأعوذُ بِكَ منَ الخيانةِ فإنَّها بئسَتِ البطانةُ " ( رواه النووي ).

3- عن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يكون قوم يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن " ( متفق عليه ). السِّمَن: البدانة وكثرة اللحم والشحم.

4 – عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " يُطبَعُ المؤمنُ على كلِّ خُلَّةٍ غيرَ الخيانةِ والكذبِ " ( رواه المنذري ).

5- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " سيأتي على الناس سنوات خداعات يُصدق فيها الكاذب ويُكذب فيها الصادق ويُؤتمن فيها الخائن ويُخون فيها الأمين وينطق فيها الرويبضة ". قيل: وما الرويبضة؟ قال: " الرجل التافه في أمر العامة " ( رواه بن ماجة ).

6 – عن عبدالله بن عباس قال: " فقدوا قطيفةً يومَ بدرٍ فقالوا: لعلَّ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ أخذَها. فأنزلَ اللَّهُ: وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ أيْ: يخونَ " ( عمدة التفسير أحمد شاكر ).

7- عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: " من تقول عليَّ ما لم أقل فليتبوا مقعده من النار، ومن أفتى بفتيا بغير علم كان إثم ذلك على من أفتاه، ومن استشاره أخوه المسلم فأشار عليه بغير رشد فقد خانه " ( صحيح الجامع الصغير ). 8 – عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إنَّ اللَّهَ يبغضُ الفحشَ والتَّفحُّشَ والَّذي نَفسُ محمَّدٍ بيدِهِ لا تقومُ السَّاعةُ حتَّى يُخوَّنَ الأمينُ ويؤتَمنَ الخائنُ حتَّى يَظهرَ الفُحشُ والتَّفحُّشُ وقَطيعةُ الأرحامِ وسوءُ الجوارِ والَّذي نفسُ محمَّدٍ بيدِهِ إنَّ مثلَ المؤمنِ لَكَمثلِ القطعةِ مِنَ الذَّهبِ نفَخَ عليها صاحبُها فلم تَغيَّرْ ولم تَنقُصْ والَّذي نفسُ محمَّدٍ بيدِهِ إنَّ مثلَ المؤمنِ لَكَمثلِ النَّحلةِ أَكَلَت طيِّبًا ووضعت طيِّبًا ووقعت فلم تَكْسر ولم تُفسِد قالَ وقالَ ألا إنَّ لي حوضًا ما بينَ ناحيتيهِ كما بينَ أيلةَ إلى مَكَّةَ - أو قالَ صنعاءَ إلى المدينةِ - وإنَّ فيهِ منَ الأباريقِ مثلَ الكواكِبِ هوَ أشدُّ بياضًا منَ اللَّبنِ وأحلى منَ العسَلِ مَن شرِبَ منهُ لم يظمَأْ بعدَها أبدًا " ( رواه أحمد ).

9 - عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة ". وفي رواية: " لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدره ألا ولا غادر أعظم غدراً من أمير عامة " ( رواه مسلم ) إست: مؤخّرُ الشّخص، حلْقة الدُّبُر ( مؤنّثة ).

10- روى أحمد في الزهد والمسند والبيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: " القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها إلا الأمانة ". ثم قال: " يُؤتى بالعبد يوم القيامة وإن قتل في سبيل الله فيقال أد أمانتك فيقول أي رب كيف وقد ذهبت الدنيا؟ قال: فيقال انطلقوا به إلى الهاوية فينطلق به إلى الهاوية وتمثل له أمانته كهيئتها يوم دُفعت إليه فيراها فيعرفها فيهوي في أثرها حتى يدركها فيحملها على منكبيه حتى إذا نظر ظن أنه خارج زلت عن منكبيه فهو يهوي في أثرها أبد الآبدين ثم قال: " الصلاة أمانة والوضوء أمانة والوزن أمانة والكيل أمانة وأشياء عدها وأشد ذلك الودائع ".

- قال يعني زاذان فأتيت البراء بن عازب فقلت ألا ترى إلى ما قال ابن مسعود؟ قال كذا قال كذا قال صدق أما سمعت الله يقول: " إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ".

- والأحاديث في هذا المجال أكثر من أن تُحصى، وما ذُكِر ما هو إلا غيض من فيض أحاديثه صلى الله عليه وسلم

ثالثاً: أشكال الخيانة: كلمة الخيانة من الكلمات التي تلقي ظِلالاً بشعة ومُفزعة داخل النفس وذلك لأنه بمجرد ذكرها تتوارد إلى النفس جرائم التآمر والقتل والجاسوسية......... الخ. ولكن هناك أنواع عديدة من الخيانات يقع فيها الناس استهانة بأمرها وهم لا يُدركون أنها من أبشع أنواع الخيانة. فالخيانة لها أشكال متعددة نذكرها دون الخوض في التفاصيل.

1- خيانة الله ورسوله من خلال تعدي الحدود وتعطيل الفرائض وانتهاك الحرمات

2- خيانة الوطن عن طريق موالاة أعداء الله تعالى ومداهنتهم والميل والركون إليهم.

3- خيانة الأعراض وإفشاء الأسرار الزوجية.

4 - الخيانة في البيع والشراء والكسب غير المشروع بأي وسيلة كانت.

5 - خيانة المجالس وإفشاء أسرارها.

6 - خيانة العلم بأن يُحرِّف العلماء كلام الله تعالى، أو يقولوا ما لا يعلمون، أو بكتمان ما أنزل الله تعالى.

7 - خيانة الودائع بعدم ردها أو بإتلافها أو بالمماطلة في آدائها.

8 – خيانة تضييع الأهل بإهمالهم وعدم تعهدهم بالتربية والنصح والإرشاد.

- حقيقة إن أبواب الخيانة مُتعددة ومداخلها مُتشعبة وعلى كل عاقل أن يحترز لنفسه حتى لا يوردها المهالك. والخيانة لا تتجزأ فهي صفة مذمومة ومشئومة بكل المقاييس والأحوال، ولكن تخف حدتها حسب ما هو مترتب عليها. قال الإمام الذهبي: " الخيانة قبيحة في كل شيء، وبعضها شر من بعض، وليس من خانك في فِلس كمن خانك في أهلك ومالك وارتكب العظائم ".

- رابعاً: نماذج لمن اشتهرت عنهم الخيانة: إن التاريخ حافل بنماذج الخيانة والخائنين على مر العصور، وجسد الأمة الإسلامية بصفة خاصة ليس به موضع إصبع إلا وتجد تحته أثراً لخيانات متعددة تارة من أعدائها، وتارات - وهو أنكى وأشد ألماً - من بني جلدتها. وذلك لأن أعداء هذه الأمة عندما ييئسوا من القضاء عليها في مجال من المجالات يقومون بزراعة ورم سرطاني خبيث ينهك هذا الجسد ويودي به. فالرسول صلى الله عليه وسلم سَمَّته يهود، وعمر الفاروق رضي الله عنه قتله أبو لؤلؤة المجوسي، وعثمان قتلته يد الغدر، وفي بئر معونة قُتِلَ سبعون من خيار [الصحابة](http://ar.islamway.net/search?domain=default&query=%22%D8%A7%D9%84%D8%B5%D8%AD%D8%A7%D8%A8%D8%A9%22).... الخ.

- جاء في الأثر: " لا تقوم الساعة حتى لا يأمن المرء جليسه... ".

إن الخيانة موجودة في كل الأمم في وقت السلم، وتشتد في الحرب، ولم يسلم منهم زمان دون زمان ولا مكان دون مكان، بل لم يسلم منهم أفضل زمان بوجود أفضل رجل ورجال، زمن النبي وصحابته الكرام، فكيف بمن بعده؟!

1 - أبو رغال: يعد أبو رغال الخائن الاكبر الذي جعل من نفسه دليلاً وعميلاً لابرهة الاشرم عندما عزم على هدم الكعبة، ولقد مر الرسول صلى الله عليه وسلم بقبره فرجمه فأصبح رجمه سنه.

2- عبد الله بن أبي بن سلول: حيث خان النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد. عندما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ألف من أصحابه، انخزل عنه عبد الله بن أبي بن سلول بثلث الجيش، وقال قولته المشهورة: " أطاعهم وعصاني! " يقول: " ما ندري علام نقتل أنفسنا ها هنا أيها الناس؟ ".

3- المرجفون في غزوة تبوك: قال ابن إسحاق: وقد كان رهط من المنافقين منهم وديعة بن ثابت أخو بني عمرو بن عوف، ومنهم رجل من أشجع حليف لبني سلمة يقال له: مخشن بن حمير ( قال ابن هشام: ويقال: مخشي ) يشيرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منطلق إلى تبوك، فقال بعضهم لبعض: أتحسبون جِلاد بني الأصفر ( يعنون الروم ) كقتال العرب بعضهم بعضا؟ والله لكأنا بكم غداً مُقرنين في الحبال.. إرجافاً وترهيباً للمؤمنين.

4 - عبد الله بن سبأ المعروف ب ( ابن السوداء ): لقد كان لابن سبأ الخائن الدور الكبير في [الفتنة](http://ar.islamway.net/search?domain=default&query=%22%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%AA%D9%86%D8%A9%22) العظمى التي حصلت بين الصحابة رضوان الله عليهم في موقعة الجمل.

- جاء في البداية والنهاية أن عبد الله بن سبأ قال لبعض أصحابه: " يا قوم إن عِيركم في خلطة الناس فإذا التقى الناس فأنشبوا الحرب والقتال بين الناس ولا تدعوهم يجتمعون...... ".

5 – ابن العلقمي: كان بن العلقمي وزيرًا للخليفة العباسي المستعصم بالله محمد الظاهر، وكان لابن العلقمي الدور الكبير في دخول التتار إلى بغداد، وسقوط الخلافة العباسية فيها.

- كتب ابن العلقمي إلى هولاكو قائد التتار أنه على استعداد أن يُسلمه بغداد إذا قام بالهجوم عليها، فكتب هولاكو لابن العلقمي: " إن عساكر بغداد كثيرة، فإن كنت صادقًا فيما قلت لنا وداخلاً تحت طاعتنا ففرّق العسكر "، فلما وصل الكتاب إلى ابن العلقمي أخذ يتحايل على المعتصم ويقنعه بعدم جدوى هذه الأعداد الكبيرة من الجنود حيث أن التتار قد رجعوا إلى بلادهم، ولا حاجة لتكليف الدولة كلفة هؤلاء الجند، فاستجاب الخليفة لرأيه، وبالفعل تم تسريح أعداد غفيرة من أفضل عناصر الجيش، يقول المؤرخون أن ما تم تسريحه يقارب مائتي ألف فارس. ولما أتم حيلته كتب إلى هولاكو بما فعل، فركب هولاكو وقدم بجيشه إلى بغداد، وأثناء المعركة أرسل ابن العلقمي جماعة من أنصاره، فحبسوا مياه دجلة، حتى تعوق تفوق جيش بغداد وبالفعل انتصر التتار وقتلوا الخليفة وابنه، وأفسدوا البلاد أشدَّ الفساد، ثم دعا هولاكو بابن العلقمي ليكافئه، فحضر بين يديه، فوبخه على خيانَتِه لسيّده الذي وثِق به، ثم قال: " لو أعطيناك كلَّ ما نملك ما نرجو منك خيرًا، فما نرى إلا قتلَك " وقتله بالفعل.

6 – الوزير شاور وخيانته للمصريين ضد الصليبيين: حيث عاون شاور الصليبيين ضد نور الدين محمود وصلاح الدين في الفترة من 562 ه إلى 564 ه، وحاول تمهيد الطريق لهم للاستيلاء على مصر عن طريق الخيانة تارة، وعن طريق إشعال الحرائق في أنحاء القاهرة تارة أخرى حتى يضطر الناس لمغادرتها ويكون الطريق ممهداً للصليبيين. وظلت نار الخيانة تستعر إلى أن تم قتل شاور ومكن الله تعالى للمسلمين.

7- خيانة الناصر يوسف الأيوبي: من احفاد صلاح الدين الأيوبي وأخر ملوك الدولة الأيوبيه وكان من خيانته أن قام الناصر يوسف الأيوبي بمنع الإمدادات والمساعدات عن الكامل محمد الأيوبي، وساعد كذلك في حصار مدينة ميافارقين ( بين [دجلة](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AF%D8%AC%D9%84%D8%A9) [والفرات](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B1%D8%A7%D8%AA) ) وساعد هولاكو في الهجوم على مصر لتخليصها من بين يدي المماليك. والأكثر من ذلك أن العزيز بن الناصر يوسف آثر أن يبقى في عسكر هولاكو ليهاجم معه المسلمين.

وبالرغم من كل ذلك أرسل هولاكو رسالة إلى الناصر يوسف الأيوبي يهدده ويتوعده بل ويأمره أن يأتيه هو وجنوده. وفي نهاية رسالة التهديد والوعيد هذه كتب قائلاً: "...... وقد بلغنا أن تجار الشام وغيرهم انهزموا بحريمهم إلى مصر، فإن كانوا في الجبال نسفناها، وإن كانوا في الأرض خسفناها ".

بعد هذه الرسالة التي يفهم منها تجريد الناصر يوسف من كل شيء والقضاء على حلمه قرر الناصر يوسف أن يتخذ قراراً بإعلان الجهاد ضد التتار. قوبلت هذه الدعوة للجهاد باستهتار واستخفاف شديدين لأن الجميع يعلم أن الناصر يوسف ليس من أهل الجهاد، وليس عنده أي حمية للدين ولا للعقيدة ولا يغارعليهما، فمن المعروف عنه أنه اعتاد أن يتنازل عن كل شيء، وأي شيء، من أجل الحكم.

استجاب بعض المتحمسين للناصر يوسف وجاءوا يقاتلون تحت رايته الجديدة، وضرب معسكراً لجيشه في شمال دمشق عند قرية ( برزة )، وبدأ الناصر يوسف يراسل الأمراء من حوله لينضموا إليه لقتال التتار. وبدأ كذلك استمالة النصارى ووعدهم بتوليهم إدارة شئون البلاد بعد المعركة.

تقدم جيش هولاكو واستولى على ما بقي من بلاد الشام فقرر الناصر يوسف الهرب إلى مصر لكن السلطان ( قطز ) سلطان مصر كان له بالمرصاد ورفض دخوله، وبقي الناصر يوسف في الصحراء إلى ان أمسكته جنود المغول وقام هولاكو بقتله بعد هزيمة المغول في معركة عين جالوت.

8- الضابط المصري علي يوسف الشهير ب ( خنفس باشا ): وهو من بين الضباط الذين خانوا أحمد عرابي في معركه التل الكبير مما أدى إلى هزيمة جيش عرابي واحتلال القوات الانجليزية لمصر.

وكان من خيانة ( خنفس ) أن طمأن جيش عرابي بأن الانجليز لن يهجموا في ذلك اليوم، فطمأن الجيش غير ان القائد الانجليزي ( ولسلي ) شن هجوماً مُباغتاً ترتب عليه هزيمة جيش عرابي في معركة التل الكبير وسيطرة الانجليز على زمام الأمور.

- وجاء في كتاب " فصل في تاريخ الثوره العرابيه " للمؤرخ ( محمود خفيف ) أنه: " في 15 سبتمبر بلغ الانجليز منطقه العباسية، ومنها ساروا إلي القلعة وكان بها أربعة آلاف جندي، فسلمهم خنفس مفاتيحها ".

9- المعلم يعقوب يوحنا ودوره في تسهيل الاحتلال الفرنسي لمصر: عندما غزت الحملة الفرنسيه مصر بقياده نابليون بونابرت عام 1798. استعانت بالمعلم يعقوب يوحنا لاخضاع الصعيد ومطارده جيش مراد بك. وبالفعل أدى دوراً بارزا في خدمة الحملة الفرنسية على مصر وذلك لخبرته بطبيعة المكان وبطبيعة قادة المماليك في ذلك الوقت.

كتب الجنرال جاك فرانسوا مينو الي بونابرت برسالة يقول فيها: " إني وجدت رجلاً ذا دراية ومعرفة واسعة اسمه ( المعلم يعقوب ) وهو الذي يؤدي لنا خدمات باهره منها تعزيز قوه الجيش الفرنسي بجنود اضافيه من القبط لمساعدتنا ".ويذكر أن الكنيسة قد تبرأت من تصرفاته ومن خيانته للوطن، جاء في كتاب « تاريخ الامه القبطيه » لمؤلفه المؤرخ ( يعقوب نخلة ): " وتسجل كتب التاريخ القبطي تبرؤ الكنيسه المصريه من الشخص الذي ينحرف عن هذا التقليد العريق، يعني الولاء للوطن، ممثلاً بالجنرال يعقوب الذي عاش أيام الحملة الفرنسيه وسار في خطه تخالف أبناء جنسه ".

ومع نهايه الحمله الفرنسيه على مصر قرر المعلم يعقوب أن يسافر إلي فرنسا وفي عرض البحر اصيب يعقوب بعد يومين من ركوبه السفينه بالحمي ومات وتقول بعض الروايات ان الفرنسيين قد قاموا بالقاء جثته في البحر.

- إن النماذج على مر العصور أكثر من أن تُحصى وستستمر المعركة سِجال والأيام دُول إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها.

خامساً: مصارع بعض الخونة ونهايتهم: إن الخونة مصيرهم معروف ونهايتهم نكراء وما إن يذكر اسمه إلا تبعته اللعنات سواء في محياهم أو بعد مماتهم. وذلك لأن الخونة إنما يصنعون أمجادهم على أشلاء الضحايا وأطلال الوطن. فهم الحصان الأسود الذي يراهن عليه أعداء كل أمة وبعد أن يقضي العدو منهم وطره يلفظهم لفظ النواة.

- لقد رأينا كيف تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع ( قبر أبو رغال ) حيث رجمه النبي صلى الله عليه وسلم فأصبحت سُنة باقية إلى يوم الدين.

- ولقد رأينا كيف تعامل الفرنسيون مع جثمان الخائن ( المعلم يعقوب حنا ) عندما مرض ومات في عرض البحر فما كان منهم إلا أن تخلصوا من جثته بإلقائها في البحر.

- يذكر أن أحد الخونة أراد يوماً أن ينافق نابليون بونابرت قائد الحملة الفرنسية على مصر، فنقل إليه أسراراً عسكرية عن جيش مصر، وبعد أن حقق نابليون انتصاره أساء نابليون استقبال ذلك الرجل وعامله بحدة وغلظة ثم أعطاه مبلغاً من المال، فقال له المنافق: " لا حاجة بي إلى المال، وأمنيتي هي أن أصافح الإمبراطور"، فقال له نابليون: " من يخون وطنه وينافق أعداءه على حساب شعبه له المال فقط، أما يد الإمبراطور فإنها لا تصافح إلا الأشراف المخلصين ".

- إن الخائن يعيش مُهاناً ذليلاً منبوذاً من أقرب الناس إليه وليس له أي مكانة مهما انتفش وانتفخت أوداجه فهو لا يرتفع إلا كما ترتفع الجيفة على سطح الماء، ولا يعلوا إلا أن يكون خائناً خان الأمانة وبنى مجداً زائفاً من خياله وخيال أمثاله.

سادساً: بعض نماذج الخونة عبر التاريخ: إن ذكرنا لأمثلة من الخونة في الأمة العربية والإسلامية لا يعفي باقي الأمم من وجود هذه الآفة فهم من تمرسوا عليها وتلطخوا بأوحالها فكانوا مثالاً يحتذى للخونة في العالم يأسره.

1- يهوذا الإسخريوطي: يقال أنه كان أحد تلاميذ المسيح الأثنى عشر. ولكن ذكر عنه الخيانة وعدم مراعاة الأمانة كما ذكر أنه تآمر مع رؤساء الكهنة ضد المسيح عليه السلام ليُسلمه إليهم ليقتلوه حسب اعتقادهم. وفي نهاية حياته قام بخنق نفسه ومات منتحراً غير مأسوفاً عليه.

2- ماركوس جونيوس بروتس: كان بروتس من رجال السياسة في الجمهورية الرومانية وعضواً في مجلس الشيوخ الروماني قبل الميلاد وما إن تذكر الخيانة إلا ذكر ( بروتس ) حيث أنه قام باغتيال يوليوس قيصر الذي قام بالعديد من الإصلاحات لنهضة الامبراطورية الرومانية ولكن الطمع وحب الرياسة جعلا أعدائه يدبرون لقتله.واختاروا لهذه المهمة أقرب رجاله إليه ( بروتس ) وعندما طعنه نظر حينها " يوليوس قيصر" في عيني صديقه وقال له: " حتى أنت يا بروتس "؟ فأجابه " إني أحبك لكني أحب روما أكثر "، فكان جواب قيصر له: " إذاً فليمت قيصر ".

3- جاي فوكس والمعروف بجيدو فوكس: وهو الإسم الذي تبناه أثناء الحرب في صفوف الأسبان. كان عضوا في فرقة من الكاثوليك الإنجليز الذين خططوا لمؤامرة البارود سنة 1605.

قام ( فوكس ) بتغيير ديانته إلى كاثوليكي وغادر بلده، ليحارب في حرب الثمانين عاماً بجانب الإسبان الكاثوليك ضد البروتستانت الهولنديين. قام برحلة إلى إسبانيا طلبا لدعم تمرد كاثوليكي في إنجلترا ولكنه لم يوفق في ذلك. التقى فيما بعد ب ( توماس وينتور ) وعادا معاً إلى إنجلترا.

تعرف ( فوكس ) على ( روبرت كاتسبي ) الذي خطط لقتل ( جيمس الأول ) ملك إنجلترا وإعادة ملك كاثوليكي إلى الحكم.

حفر المتآمرون سرداباً تحت مجلس اللوردات وأوكلوا مهمة إشعال البارود فيه إلى ( فوكس ). تلقت السلطات رسالة مجهولة المصدر تخبرهم بالمؤامرة فقامت السلطات على الفور بالبحث في قصر ( وستمنستر ) حيث وجدوا ( فوكس ) ووجدوا المتفجرات.

تم القبض على ( فوكس ) وإعدامه وأصبح إسم ( فوكس ) مُرادفاً لمؤامرة البارود، والتي يتم الإحتفال بها منذ 5 نوفمبر 1605، يتم في هذه الإحتفالات حرق دميته في موقد كبير من النيران.

4 - بينيدكت أرنولد: هو عسكري أمريكي وأحد رموز حرب الاستقلال، قام بعدة حملات ضد البريطانيين إلا أنه غير موقفه وانضم للبريطانيين، وهو يعتبر الآن رمز الخيانة في أمريكا.

أراد ( أرنولد ) بخيانته أن يضع نهر هادسون تحت السيطرة البريطانية، وذلك لإضعاف موقف الثورة وفتح الباب للمفاوضات لعودة أمريكا للتاج البريطاني. عندما علم

علم ( أرنولد ) بأن أمره قد افتضح وخيانته قد كشفت وذلك بعد اعتقال ( أندري ) أحد المقربين منه فقام بالهروب نحو الخطوط البريطانية. تم تفويض أرنولد برتبة عميد في الجيش البريطاني، وتلقى تعويضاً عن خسارة أملاكه في أمريكا.

كان طموح ( أرنولد ) أكبر من ذلك فخاب أمله بسبب فشل خططه وشعوره بالمرارة بسبب الإهمال والإزدراء الذي لاقاه في إنجلترا مما أصابه بالاكتئاب، وأصيب بمرض عصبي، ومات في لندن في 14 يونيو 1801 عن ستين عاماً.

- إن ما ذكر من نماذج الخينة هذه ما هو إلا غيض من فيض من هذا المستنقع الآسن الذي يزكم الأنوف وتعافه الفطرة السوية السليمة.

- سابعاً: بعض صور الوفاء والأمانة وتقدير المسئولية: بعد ذكرنا لهذه النماذج من الخونة والخائنين قد يظن البعض أن الصورة سوداوية مُعتمة وأن وضع الأمة كئييب ويدعوا إلى التشاؤم أو اليأس والعياذ بالله، لذا وجب ذكر بعض الصور المُشرقة للوفاء والأمانة وتقدير المسئولية، هذه الصور التي تبرهن على أن الخير في هذه الأمة إلى يوم القيامة.

1- الصحابي الجليل كعب بن مالك: عندما تخلف الصحابي الجليل كعب بن مالك عن غزوة تبوك دون عذر يعتذر به أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم غير أنه أخذ يسوِّف في موعد الخروج إلى أن فاته الوقت وأصبح من المخلفين الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بمقاطعتهم. ظلت المقاطعة ما بقرب من الشهرين حتى ضاقت عليهم أنفسهم.

ظل الحال كذلك إلى أن أرسل ملك غسان رسالة إلى الصحابي الجليل كعب بن مالك، يقول فيها: " أما بعد: فقد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، وإن الله لم يجعلك في دار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسِك ". وحين قرأ سيدنا كعب الرسالة قال: " وهذا أيضًا من البلاء " وقال: فتيممتُ التنور فسجرته به. ثم لما أتم أربعين ليلة من الخمسين جاءه أمر رسول من رسول الله أن يعتزل امرأته، فلما أتم الخمسين ليلة جاءه البشير بالفرج من الله والتوبة. وفي قصة كعب وصاحبيه نزل قوله تعالى: " وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ {118} " ( التوبة 118 ).

إن هذا الصحابي الجليل لم يتغير قلبه لتعذير النبي صلى الله عليه وسلم له، ولم تخور عزيمته أو يتزعزع إيمانه أمام ما جاءه من إغراء من أعداء الله تعالى.

2- سلطان العلماء وبائع الأمراء العز بن عبد السلام: إن حياة العز بن عبد السلام زاخرة بالمواقف التي ينحني الزمان أمام عظمتها وروعتها. فلم تأخذه في الحق لومة لائم، ولم يخور له عزم، ولم تلين له قناة أمام التصدي لتراكمات وموروثات من الفساد في عصره.

 - إن العز بن عبد السلام هو الذي تصدى بفتواه للخونة الذين كانوا يقومون ببيع السلاح للصليبيين في ذلك الوقت حيث أنهم كانوا لا يزالون يحتلون أجزاء من بلاد الشام، بعد أن ثبت عنده أن هذه الأسلحة يستخدمها الفرنج في محاربة المسلمين. وبالرغم أن هذه الفتوى ترتب عليها منعه من الفتوى ومنعه من الخطابة إلا أنه لم يرضخ ولم يتراجع ولم يداهن.

3- السلطان عبد الحميد الثاني: حاول " تيودور هرتزل " مساومة السلطان عبد الحميد وإغرائه بالمال مقابل أن يسمح لأفواج المهاجرين اليهود أن تسافر إلى فلسطين والسماح لهم بإقامة مستوطنات بها. فما كان من السلطان عبد الحميد إلا أن رد رداً حاسماً ومزلزلاً على هذا الطلب وكتب رسالة قال فيها: " انصحوا الدكتور هرتزل بألا يتخذ خطوات جدية في هذا الموضوع، فإني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من أرض فلسطين، فهي ليست ملك يميني، بل ملك الأمة الإسلامية، ولقد جاهد شعبي في سبيل هذه الأرض ورواها بدمه، فليحتفظ اليهود بملايينهم، وإذا مزقت دولة الخلافة يوماً فإنهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن، أما وأنا حيّ فإن عمل المبضع في بدني لأهون عليَّ من أن أرى فلسطين قد بترت من دولة الخلافة، وهذا أمر لا يكون. إني لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة ".

نتيجة لهذا الرفض القاطع تمت المؤامرات اليهودية ضد السلطان عبد الحميد إلى أن تمكنوا من استصدار أمر بعزل السلطان عبد الحميد وعزله وإحاطته بحراسة مشددة بعد أن جُرّد من كل ممتلكاته إلى أن توفي في 10 فبراير 1918م عن عمر يناهز 76 عاماً.

إن هذه الأمانة وعدم الانصياع لمطالب الخيانة جعلت العلماء والمفكرين ورجال السياسة يُمجدون السلطان عبد الحميد بأحرف من نور ستظل باقية ما بقي الزمان.

- يقول جمال الدين الأفغاني في حق السلطان عبد الحميد: " إنّ السلطان عبد الحميد لو وُزِن مع أربعة من نوابغ رجال العصر لرجحهم ذكاءً ودهاءً وسياسة ".

- وأنصفه البطريرك الماروني إلياس الحويك قائلاً: " لقد عاش لبنان وعاشت طائفتنا المارونية بألف خير وطمأنينة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، ولا نعرف ماذا تخبئ لنا الأيام بعده ".

- هذه ما هي إلا نماذج من أناس عرفوا معنى الأمانة التي أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها والخير في هذه الأمة موصول إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها.

ثامناً: أقوال مأثورة عن الخيانة: لفداحة هذه الآفة وشناعتها وبشاعتها توارثت الأجيال أقوالاً وحِكماً وأمثالاً للتحذير منها ومن مَغبة الوقوع فيها أو التلطخ بأوحالها.

1- يقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه: " أكيس الكيْس التقوى، وأحمق الحَمَق الفجور، وأصدق الصِدْق الأمانة، وأكذب الكذِب الخيانة ".

2- قال الإمام علي رضي الله عنه: " من ضيّع الأمانة ورضي بالخيانة فقد تبرّأ من الديانة ".

3 – كما يقول أيضاً: أدالأمانة والخيانة فاجتنب واعدل ولا تظلم يطيب المكسب.

4- قال الأعور الشني: " لا تأمنَنَّ امرأً خانَ امرأً أبداً إِن من الناسِ ذا وجهين خوَّانا ".

5- قال الفيلسوف الفرنسي دنيس ديدرو: " الراعي الذي يفتخر بالذئب لا يحب الخراف ".

6- يقول المثل الأيرلندي: " من الأفضل أن يكون أمامك أسد مفترس على أن يكون وراءك كلب خائن ".

7- قال نابليون بونابرت: " مثل الذي خان وطنه وباع بلاده مثل الذي يسرق من مال أبيه ليطعم اللّصوص، فلا أبوه يسامحه ولا اللّص يكافئه ".

8- قال الشاعر معن بن أوس:

أُعَلِّمُه الرمايَة كُلَّ يَومٍ فَلَمّا اشتدَّ ساعِدهُ رَماني

وَكَم علمتُه نظمَ القوافِي فَلما قالَ قافيةً هجاني

أَعلَّمه الفُتُوَّة كل وَقتٍ فَلَمّا طَرَّ شارِبُه جَفاني. ( طَرَّ: نبت )

9- يقول المثل الفرنسي: " الخيانة تغفر ولا تنسى ".

10- يقول المفكر الإسلامي عبد الكريم بكار: " إن انشغال الناس بالجزئيات، والأمة تجتث من جذورها من أعظم الخيانة لها وللمنهج الرباني الذي كلفنا بحمله ".

11- يقول المثل الروماني: " كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة ".

12 – قال أحد الشعراء: إنَّ الخيانةَ ليس يغسلُها مِن خاطئٍ دمعٌ ولا ندمُ.

- ومن المؤكد أن هناك الكثير والكثير من الأدبيات في هذا الجانب ولكن نكتفي بما ذُكِر للدلالة والتذكير.

تاسعاً: جزاء خيانة الوطن في الإسلام: إن خيانة الأوطان كما يطلق عليها هي ( الخيانة العظمى ) وذلك لما يترتب عليها من إهلاك للحرث والنسل وتهديد لكيان الوطن بأكمله. فهي ليست كغيرها من الخيانات. وبالتالي لابد وأن تكون عقوبتها من أغلظ العقوبات. وسبق أن ذكرنا قول الإمام الذهبي حين قال: " الخيانة قبيحة في كل شيء، وبعضها شر من بعض، وليس من خانك في فِلس كمن خانك في أهلك ومالك وارتكب العظائم ".

- قال الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ.... " ( الممتحنة 1 ). قال: " من كثر تطلعه على عورات المسلمين وينبه عليهم ويعرِّف عدوهم بأخبارهم لم يكن بذلك كافراً إذا كان فعله لغرض دنيوي، واعتقاده على ذلك سليم، كما فعل حاطب حين قصد بذلك اتخاذ اليد ولم ينو الردة عن الدين ".

وقال أيضاً: " إذا قلنا لا يكون بذلك كافراً فهل يُقتل بذلك حداً أم لا؟ اختلف الناس فيه ; فقال مالك وابن القاسم وأشهب: يجتهد في ذلك الإمام. وقال عبد الملك: إذا كانت عادته تلك قتل لأنه جاسوس، وقد قال مالك بقتل الجاسوس - وهو صحيح لإضراره بالمسلمين وسعيه بالفساد في الأرض. ولعل ابن الماجشون إنما اتخذ التكرار في هذا لأن حاطباً أخذ في أول فعله ". والله أعلم.

عاشراً: ختام وتوصيات: إن ما يقي الأفراد والشعوب والأمم من مَغبة هذه الآفة المشئومة التي تفرق الشمل، وتضيع الجهود، وتبدد الطاقات، وتضيع النسل والثروات، هو:-

1- الانتصار على النفس وهواها بزيادة الإيمان بالله تعالى.

2- حُسن اللجوء لله عز وجل حين يضعف الإيمان ويوسوس الشيطان.

3- تقديم المصلحة العامة على أي مصلحة أو نفع شخصي.

4- نشر العدل واحترام كرامة الفرد وتوفير ضروريات الحياة حتى لا يكون ضعاف النفوس من الأفراد لقمة سائغة لأعداء الأمة.

5- تربية النشء وكافة المجتمع على معنى الانتماء وحب الوطن.

6- إبراز نماذج المخلصين من أبناء الأمة وكيف مجدهم التاريخ ورفع من شأنهم.

7- إبراز نماذج الخائنين من أبناء الأمة وكيف لعنهم التاريخ وحط من قدرهم.

8- التفكر في نتائج هذا الأمر الذي تعافه الفطرة السليمة. فالخائن مهما انتفش فهو في نفسه وضيعاً وفي أنفس الناس كذلك فهو سيء السمعة في حياته وبعد مماته بل يُخلف عاراً تتوارثه ذريته من بعده فتعيش مُنكسرة ذليلة منبوذة فالتاريخ لا يُمجد خائناً ولا يُعلي له قدراً علاوة على المصير الذي ينتظره بين يدي الله تعالى.

نسأل الله تعالى أن يحفظ أمتنا من كيد الكائدين وتدبير الخائنين إنه سبحانه ولي ذلك والقادر عليه

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

## الجمرة الثانية: الظلم

- إن أبسط تعريف للظلم هو: ( وضع الشيء في غير موضعه ) وكلمة الظلم ومشتقاتها وردت في القرآن الكريم أكثر من ثلاثمائة مرة. وهناك أنواع متعددة للظلم فالشرك ظلم، والجحود ظلم، والكذب ظلم، وكتمان الشهادة ظلم، وأكل الحقوق ظلم، وتعطيل الحدود ظلم، وتعدي حدود الله ظلم، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ظلم. ومن هنا شرع الحق تبارك وتعالى مقاومة الظلم والظالمين بصفة عامة.

- قال تعالي: "... وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ {251} " ( البقرة 251 ).

- وفي السنة النبوية العديد من الأحاديث التي تأمرنا بالكف عن الظلم وتأمرنا كذلك بمقاومة الظالمين.

- عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " سيِّدُ الشُّهداءِ حمزةُ بنُ عبدِ المطَّلبِ، ورجلٌ قام إلى إمامٍ جائرٍ فأمره ونهاه فقتله " ( السلسلة الصحيحة ).

- وقال ابن تيمية رحمه الله: " إن الله لينصر الدولة العادلة ولو كانت كافرة ولا ينصر الظالمة وإن كانت مُسلمة إن الدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والإسلام ".

- ومن المُسَلَّم به أن مقاومة الظلم قضية فطرية في الإنسان وغريزة في الحيوان.

- قال تعالى: "... وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ {40} " ( الحج 40 ).

- ولقد اتفقت الأديان السماوية والقوانين الوضعية والنظريات الفلسفية علي مشروعية مقاومة الظلم والتصدي له دفاعاً عن النفس وإحقاقاً للحق. ولقد أقر الإسلام مشروعية المعاملة بالمثل حيث قال تعالى: "..... فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ {194} " ( البقرة من الآية 194 ).

- أولاً: منظومة الظلم في القرآن الكريم:

من يتتبع آيات القرآن الكريم يجد أن الله تعالى لم يترك باباً للظلم إلا أوصده، ولا ذريعة إلا سدَّها، ولا شبهة إلا فنَّدها، حتى يُقيم الحُجة على كل مسلم وحتى يتطهر المجتمع المسلم من هذه الأفة الخطيرة التي لا تدع مُلكاً إلا قودته، ولا مجداً إلا أزالته، ولا مُتجبراً إلا أذلته.

أ ) حرم الله تعالى الظلم على نفسه فهو سبحانه لا يظلم أحداً:

1- قال تعالى: " إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً {40} " ( النساء 40 ).

2- قال تعالى: " وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتَ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً {124} " ( النساء 124 ).

3- قال تعالى: " إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ {44} " ( يونس 44 ).

4- قال تعالى: " ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ {52} وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ {53}‏ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لاَفْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ {54} " ( يونس 52 - 54 ).

5- قال تعالى: " وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ مِن شَيْءٍ لِّمَّا جَاء أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ {101} وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ {102} " ( هود 101 - 102 ).

6- قال تعالى: " وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً {49} " ( الكهف 49 ).

7- قال تعالى: " وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْماً وَلَا هَضْماً {112} " ( طه112 ).

8- قال تعالى: " وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ {47} " ( الأنبياء 47 ).

9- قال تعالى: " فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ {54} " ( يس 54 ).

10- قال تعالى: " الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ {17} " ( غافر 17).

ب) الإشراك بالله تعالى من أكبر وأشد أنواع الظلم التي نهى الله عنها:

1- قال تعالى: " وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ {165} " ( البقرة 165 ).

2- قال تعالى: " سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ {151} " ( آل عمران 151 ).

3- قال تعالى: " وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ مِن شَيْءٍ لِّمَّا جَاء أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ {101} " ( هود 101 ).

4- قال تعالى: " كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ {16}‏ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ {17} " ( الحشر 16 – 17 ).

ج ) الافتراء على الله كذباً من أشد أنواع الظلم:

1- قال تعالى: " وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ {21} " ( الأنعام 21 ).

2- قال تعالى: " وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنَزلَ اللّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ {93} " ( الأنعام 93 ).

3- قال تعالى: " وَمِنَ الإِبْلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ وَصَّاكُمُ اللّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ {144} " ( الأنعام 144 ).

4- قال تعالى: " فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُوْلَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُواْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ {37}‏ " ( الأعراف 37 ).

5- قال تعالى: " فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ {17} " ( يونس 17 ).

6- قال تعالى: " وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ {18} " ( هود 18 ).

7- قال تعالى: " هَؤُلَاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً {15}‏ " ( الكهف 15 ).

8- قال تعالى: " وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ {68} " ( العنكبوت 68 ).

9- قال تعالى: " وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ {7} " ( الصف 7 ).

د ) الكذب على الله تعالى والتكذيب بما جاء به رسل الله من أشد أنواع الظلم التي نهى الله تعالى عنها:

- قال تعالى: " أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ {157} " ( الأنعام 157 ).

- قال تعالى: " فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ {32} " ( الزمر 32 ).

ه ) الإعراض عن آيات الله من أشد أنواع الظلم التي نهى الله تعالى عنها:

1- قال تعالى: " وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً {57} " ( الكهف 57 ).

2- قال تعالى: " وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ {22} " ( السجدة 22 ).

و ) كتمان الشهادة من أشد أنواع الظلم التي نهى الله تعالى عنها:

- قال تعالى: " أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطَ كَانُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ {140} " ( البقرة 140 ).

ز ) نهى الله تعالى عن ظلم النفس لأن ذلك يوردها المهالك:

1- قال تعالى: " وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ..... {54} " ( البقرة من الآية 54 ).

2- قال تعالى: "............ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً {1} " ( الطلاق من الآية 1 ).

ح ) نهى الله تعالى عن ظلم العباد وأكل حقوقهم:

1- قال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً {10} " ( النساء 10 ).

2- قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً {29} وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيراً {30} " ( النساء 29 - 30 ).

ط ) منع مساجد الله تعالى والسعي في تعطيلها عن القيام بدورها من أشد أنواع الظلم:

- قال تعالى: " وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَآئِفِينَ لهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ {114} " ( البقرة 114 ).

ي ) بين الله تعالى أنه لا يحب الظالمين:

1- قال تعالى: " إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ {140}‏ " ( آل عمران 140 ).

2- قال تعالى: " وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ {40} " ( الشورى 40 ).

ك ) نهانا الله تعالى عن الركون إلى الظالمين حتى لا يصيبنا ما أصابهم:

1- قال تعالى: " وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ {113} " ( هود 113 ).

2- قال تعالى: " وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ {25}‏ " ( الأنفال 25 ).

ل ) بين الله تعالى أن دفع الظلم ومقاومة الظالمين يحفظ الأرض ومن عليها من الفساد والخراب:

1- قال تعالى: "... وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ {251} " ( البقرة من الآية 251 ).

2- قال تعالى: "....... وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ {40} " ( الحج 40 ).

م ) أمرنا الله تعالى بالاعتبار بمصارع الظالمين:

1- قال تعالى: " وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ {13} " ( يونس 13 ).

2- قال تعالى: " وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ {102} " (هود 102).

3- قال تعالى: " وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ {13} وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ {14} " ( إبراهيم 13 – 14 ).

4- قال تعالى: " وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُواْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ {44} وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ {45} " ( إبراهيم 44 – 45 ).

5- قال تعالى: " وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِداً {59} " ( الكهف 59 ).

6- قال تعالى: " وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ {11} " ( الأنبياء 11 ).

7- قال تعالى: " فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ {45} " ( الحج 45 ).

8- قال تعالى: " وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ {48} " ( الحج 48 ).

ن ) توعد الله تعالى الظالمين بسوء العاقبة والعذاب الشديد:

1- قال تعالى: " وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ {165} " ( البقرة 165 ).

2- قال تعالى: " سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ {151} " ( آل عمران 151 ).

3- قال تعالى: " فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {45} " ( الأنعام 45 ).

4- قال تعالى: "......... وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ {93} " ( الأنعام من الآية 93 ).

5- قال تعالى: " وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ {44} " ( الأعراف 44 ).

6- قال تعالى: " وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ {18} " ( هود 18 ).

7- قال تعالى: " وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ {36} وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ {37}‏ " ( هود 36 – 37 ).

8- قال تعالى: " فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ {66} وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ {67} كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا أَلاَ إِنَّ ثَمُودَ كَفرُواْ رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْداً لِّثَمُودَ {68} " ( هود 66 – 68 ).

9- قال تعالى: " يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاءُ {27} " ( إبراهيم 27 ).

10- قال تعالى: " وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ {42}‏ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء {43} وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُواْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ {44} وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ {45} " ( إبراهيم 42 – 45 ).

11- قال تعالى: " وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً {29} " ( الكهف 29 ).

12- قال تعالى: " وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً {71} ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً {72} " ( مريم 71 – 72 ).

13- قال تعالى: " وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً {111} " ( طه 111 ).

14- قال تعالى: " وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً {27} يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً {28} لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً {29} " ( الفرقان 27 – 29 ).

15- قال تعالى: "...... وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ {227}‏ " ( الشعراء من الآية 227 ).

16- قال تعالى: " فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ {57} " ( الروم 57 ).

17- قال تعالى: "..... وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ {31}‏ " ( سبأ من الآية 31 ).

18- قال تعالى: " فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعاً وَلَا ضَرّاً وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ {42} " ( سبأ 42 ).

19- قال تعالى: " هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ {21} احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ {22} " ( الصافات 21 – 22 ).

20- قال تعالى: " أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ {24} " ( الزمر 24 ).

21- قال تعالى: " وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ {18} " ( غافر 18 ).

22- قال تعالى: " إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ {51} يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ {52} " ( غافر 51 – 52 ).

23- قال تعالى: " إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ {42} " ( الشورى 42 ).

24 - قال تعالى: " وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ {44}‏ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ {45} " ( الشورى 44 – 45 ).

25- قال تعالى: " إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ {74} لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ {75} وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ {76} " ( الزخرف 74 – 76 ).

26- قال تعالى: " كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ {16}‏ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ {17} " ( الحشر 16 – 17 ).

27- قال تعالى: " يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً {31}‏ " ( الإنسان 31 ).

- ثانياً: منظومة الظلم في السنة النبوية المطهرة:

1- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " الظلم ثلاثة، فظلم لا يتركه الله، وظلم يغفر، وظلم لا يغفر، فأما الظلم الذي لا يغفر، فالشرك لا يغفره الله، وأما الظلم الذي يغفر، فظلم العبد فيما بينه و بين ربه، وأما الظلم الذى لا يترك، فظلم العباد، فيقتص الله بعضهم من بعض " ( السلسلة الصحيحة ).

2- عن عبدِ اللهِ يعني ابنَ مسعودٍ رضِيَ اللهُ عنه قال: " إنَّ في النساءِ لخَمْسُ آياتٍ ما يَسُرُّنِي بها الدنيا وما فيها وقدْ علِمْتُ أنَّ العلماءَ إذا مرُّوا بها يعرِفُونَها ( إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا ) وقولُه ( إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ) و ( إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ) الآيةَ ( وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ) ( وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ) " ( رواه الهيثمي في الزوائد وقال: رجاله رجال الصحيح ).

3- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " اتَّقوا الظُّلمَ. فإنَّ الظُّلمَ ظلماتٌ يومَ القيامةِ. واتَّقوا الشُّحَّ فإنَّ الشُّحَّ أهلك من كان قبلكم. حملهم على أن سفكوا دماءَهم واستحلُّوا محارمَهم " ( رواه مسلم ).

4- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " بابان مُعجّلانِ عقوبتهُما في الدنيا: البَغْيُ والعُقوقُ " ( السلسلة الصحيحة ).

5- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ليس شيءٌ أُطِيعَ اللهُ تعالى فيه أعجلَ ثوابًا من صلَةِ الرحِمِ، وليس شيءٌ أعجلَ عقابًا من البغْيِ وقطيعةِ الرحمِ، واليمينِ الفاجرةِ تدعُ الديارَ بلاقِعَ " ( صحيح الجامع ) \* بلاقع: خالية من كل شيء ( المفرد: بلقع ).

6- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن اللهَ ليُملي للظالمِ، حتى إذا أخذه لم يفلتْهُ. قال: ثم قرأ: { وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} " ( رواه البخاري ).

7- عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث مُعاذا إلى اليمن فقال: " اتقِ دعوةَ المظلومِ، فإنها ليس بينَها وبينَ اللهِ حجابٌ " ( رواه البخاري ).

8- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إياكم ودعوةَ المظلومِ، وإِنْ كانتْ مِنْ كافِرٍ ؛ فإِنَّه ليسَ لَها حجابٌ دونَ اللهِ عزَّ وجلَّ " ( صحيح الجامع ).

9- عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " اتَّقوا دعوةَ المظلومِ، فإنها تَصعدُ إلى السماءِ كأنها شرارةٌ " ( صحيح الجامع ).

10- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " دعوةُ المظلومِ مُستجابةٌ، وإن كان فاجرًا ففُجورُه على نفسِه " ( صحيح الترغيب ).

11- عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " سيِّدُ الشُّهداءِ حمزةُ بنُ عبدِ المطَّلبِ، ورجلٌ قام إلى إمامٍ جائرٍ فأمره ونهاه فقتله " ( السلسلة الصحيحة ).

12- عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " مَن أعانَ علَى خصومةٍ بظُلمٍ، أو يعينُ علَى ظُلمٍ، لم يزَلْ في سخطِ اللَّهِ حتَّى ينزعَ " ( رواه بن ماجه ).

13- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا قدست أمة لا يعطي الضعيف فيها حقه غير متعتع " ( صحيح الترغيب ).

14- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " أربعةٌ يُبغِضُهمُ اللَّهُ عز وجل: البيَّاعُ الحلَّافُ، والفقيرُ المختالُ، والشَّيخُ الزَّاني، والإمامُ الجائرُ " ( رواه النسائي ).

15- عن سعيد بن زيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إنَّ من أكبرِ الكبائرِ استطالةُ المرءِ في عِرْضِ رجلٍ مسلمٍ بغيرِ حقٍّ ومن الكبائرِ السَّبَّتانِ بالسَّبَّةِ " ( السلسلة الصحيحة ).

16- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ما من أميرِ عشرَةٍ إِلَّا يؤتى بهِ يومَ القيامةِ مَغْلولًا، لا يَفُكُّهُ إِلَّا العَدْلُ، أوْ يُوبِقُهُ الجَوْرُ " ( السلسلة الصحيحة ).

17- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " مَن كانت لَهُ امرأتانِ فمالَ إلى إحداهما، جاءَ يومَ القيامةِ وشقُّهُ مائلٌ " ( رواه أبو داود ).

18- عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " صنفانِ من أُمَّتِي لن تنالَهُما شفاعتي، إمامٌ ظلومٌ غشومٌ، وكلُّ غالٍ مارقٍ " ( السلسلة الصحيحة ).

19- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ثلاث دعواتٍ مستجاباتٌ دعوةُ المظلومِ ودعوةُ المسافرِ ودعوةُ الوَالِد على وَلدهِ " ( رواه الترمذي ).

20-‏ عن جابر بن سمرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ثلاثٌ أخافُ على أُمَّتِي: الاسْتِسْقاءُ بالأنْواءِ، وحَيْفُ السُّلطانِ، وتَكذِيبٌ بالقَدَرِ " ( صحيح الجامع ).

21- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ثلاثةٌ لا يردُّ دعاؤهُم: الذاكِرُ اللهَ كثيرا، ودعوةُ المظلومِ، والإمامُ المقسطُ " ( السلسلة الصحيحة ).

22- عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " يجيءُ الظالمُ يومَ القيامةِ حتَّى إذا كان على جسرِ جهنَّمَ بينَ الظُّلمةِ والوُعْرةِ لقيه المظلومُ فعرَفه وعرَف ما ظلَمه به فما يبرحُ الَّذين ظُلِموا يقصُّونَ من الَّذين ظلَموا حتَّى ينزَعوا ما في أيديهم من الحسناتِ فإن لم تكنْ لهم حسناتٌ رُدَّ عليهم من سيِّئاتِهم حتَّى يُورَدَ الدَّرْكَ الأسفلَ من النَّارِ " ( رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ).

23- عن خالد بن الوليد وعياض بن غنم وهشام بن حكيم رضي الله عنهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " أشدُّ الناسِ عذابًا للناسِ في الدنيا، أشدُّ الناسِ عذابًا عند اللهِ يومَ القيامةِ " ( صحيح الجامع ).

24- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا. قالوا: يا رسولَ اللهِ، هذا ننصرُه مظلومًا، فكيف ننصرُه ظالمًا؟ قال: تأخذُ فوق يديه " ( رواه البخاري ).

25- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " أشدُّ الناسِ يومَ القيامةِ عذابًا إِمامٌ جائِرٌ " ( صحيح الجامع ).

26- عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إنَّ النَّاسَ إذا رأوا الظَّالمَ فلم يأخذوا علَى يدَيهِ أوشَكَ أن يعمَّهمُ اللَّهُ بعقابٍ منُه " ( رواه الترمذي ).

27- عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إذا رأيتَ أمَّتي تَهابُ الظَّالمَ أن تقولَ لَهُ: أنتَ ظالمٌ فقد توُدِّعَ منهُم " ( مسند أحمد ).

28- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " مطْلُ الغنيِّ ظلمٌ، فإذا أتبعَ أحدُكم على مليٍّ فليتبِعْ " ( رواه البخاري ).

\* قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- في شرح رياض الصالحين،: قوله: " مطل الغني ظلم " يعني: ممانعة الإنسان الذي عليه دَين عن الوفاء، وهو غني قادرٌ على الوفاء؛ ظلم..... "

\* وأما معنى قوله: " فَإِذَا أُتْبِعَ أَحَدُكُمْ عَلَى مَلِيءٍ فَلْيَتْبَعْ ". قال النووي - رحمه الله- في شرح مسلم: وَمَعْنَاهُ: وَإِذَا أُحِيلَ بِالدَّيْنِ الَّذِي لَهُ عَلَى مُوسِرٍ، فَلْيَحْتَلْ ".

29- عن أم سلمة هند بنت أبي أمية رضي الله عنها قالت: " ما خرج النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم من بيتي قَطُّ إلا رفع طَرْفَه إلى السماءِ فقال: " اللهم أعوذُ بك أن أَضِلَّ أو أُضَلَّ أو أَزِلَّ أو أُزَلَّ أو أَظْلِمَ أو أُظْلَمَ أو أَجْهَلَ أو يُجْهَلَ عَلَيَّ " ( رواه أبو داود ).

30- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " تعوَّذوا باللهِ مِن الفقرِ والذِّلَّةِ وأنْ تَظلِمَ أو تُظلَمَ " ( صحيح ابن حبان ).

31- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " تحاجَّتِ الجنَّةُ والنار، فقالت النار: أوثِرتُ بالمتكبِّرينَ والمتجَبِّرينَ، وقالت الجنة: ما لي لا يدخُلُني إلَّا ضُعَفاءُ الناس وسَقَطُهم. قال الله تبارك وتعالى للجنَّة: أنت رحمتي أرحمُ بك من أشاءَ من عبادي، وقال للنار: إنَّما أنتِ عذابي أعذِّبُ بك من أشاءُ من عبادي، ولكلِّ واحدةٍ منهما مِلؤُها، فأما النار: فلا تمتلئُ حتى يضَعَ رِجلَه فتقول: قطْ قطْ قطْ، فهنالك تمتلئُ ويُزوى بعضُها إلى بعض، ولا يظلِمُ الله عزَّ وجَلَّ مِن خَلْقِه أحدًا، وأما الجنَّةُ: فإن اللهَ عَزَّ وجَلَّ يُنشِئُ لها خَلْقًا " ( رواه البخاري ).

32- عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآيةُ: " { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ }. شقَّ ذلك على أصحابِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، وقالوا: أيُّنا لم يظلمْ نفسَه؟ فقال رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: ( ليس كما تظنون، إنما هو كما قال لقمانُ لابنِه: { يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } " ( رواه البخاري ).

33- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إنَّ اللَّهَ لا يظلِمُ مؤمنًا حسنةً يُعطى بِها في الدُّنيا ويُجزى بِها في الآخرةِ. وأمَّا الكافرُ فيُطعَمُ بحسناتِ ما عمِلَ بِها للَّهِ في الدُّنيا. حتَّى إذا أفضى إلى الآخرةِ. لم يَكُنْ لهُ حسنةٌ يُجزَى بِها " ( رواه مسلم ).

34- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " يخرج من النارِ من كان في قلبهِ مثقالُ ذرةٍ من الإيمانِ. قال أبو سعيدٍ: فمن شكَّ فليقرأْ { إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ } " ( رواه الترمذي ).

35- عن قرة بن إياس المزني رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لتُمْلَأَنَّ الأرضُ جَوْرًا وظلمًا، فإذا مُلِئَتْ جَوْرًا وظلمًا، بعث اللهُ رجلًا مني، اسمُه اسمي، فيملَؤُها قسطًا وعدلًا، كما مُلِئَتْ جَوْرًا وظلمًا " ( السلسلة الصحيحة ).

36- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا تقومُ الساعةُ حتى تُملأَ الأرضُ ظلمًا وعُدوانًا، ثم يخرج رجلٌ من عِترتي، أو من أهلِ بيتي يملأُها قِسطًا وعدلًا، كما مُلِئتْ ظُلمًا وعُدوانًا " ( السلسلة الصحيحة ).

37- عن عبدالله بن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا يقِفنَّ أحدُكم موقفًا يُقتلُ فيه رجلٌ ظلمًا فإنَّ اللَّعنةَ تنزِلُ على كلِّ من حضر حين لم يدفعوا عنه ولا يقِفنَّ أحدُكم موقفًا يُضربُ فيه رجلٌ ظُلمًا فإنَّ اللَّعنةَ تنزِلُ على من حضره حين لم يدفعوا عنه " ( رواه المنذري في الترغيب والترهيب بإسناد حسن ).

38- عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا تُقتلُ نفسٌ ظلمًا، إلا كان على ابنِ آدمَ الأوَّلِ كِفلٌ من دمِها، لأنه أولُ من سنَّ القتلَ " ( رواه البخاري ).

39- عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه أنَّ أبا بكرٍ الصديقَ رضي الله عنه قال للنبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: " يا رسولَ اللهِ، علِّمني دعاءً أدعو به في صلاتي ". قال: ( قُلْ: اللهم إني ظلَمتُ نفسي ظُلمًا كثيرًا، ولا يغفرُ الذنوبَ إلا أنت، فاغفِرْ لي من عِندِك مغفرًة، إنك أنت الغفورُ الرحيمُ ) ( رواه البخاري ).

40- عن سعيد بن زيد رضي الله عنه أنه خاصَمَتْه أَرْوَى - في حقٍ زَعَمَتْ أنه انتقَصَه لها - إلى مَرْوانَ، فقال سعيدٌ: " أنا أَنْتَقِصُ من حقِّها شيئًا، أشهَدُ لَسَمِعْتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقول: مَن أَخَذَ شِبْرًا مِن الأرضِ ظلمًا، فإنه يُطَوَّقُه يومَ القيامةِ مِن سبعِ أَرَضين " ( رواه البخاري ).

41- عن سعيد بن زيد رضي الله عنه أنَّ أروى - بنت أويس - خاصمتْه في بعضِ دارِه. فقال: دعوها وإياها. فإني سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقول ( من أخذ شبرًا من الأرضِ بغيرِ حقِّه، طوَّقَه في سبعِ أرضينَ يومَ القيامةِ ). اللهم! إن كانت كاذبةَ، فأَعْمِ بصرها. واجعل قبرها في دارها. قال: فرأيتُها عمياءَ تلتمسُ الجُدُرَ. تقول: أصابتني دعوةُ سعيدِ بنِ زيدٍ. فبينما هي تمشي في الدارِ مرَّتْ على بئرٍ في الدارِ، فوقعتْ فيها. فكانت قبرَها " ( رواه مسلم ).

42- عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: " شكا أهل الكوفة سعدا إلى عمر رضي الله عنه، فعزله واستعمل عليهم عمارا، فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلي، فأرسل اليه فقال: يا أبا إسحق إن هؤلاء يزعمون انك لا تحسن تصلي؟ قال أبو إسحق: أما أنا، والله فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخرم عنها، أصلي صلاة العشاء، فأركد في الاولين، وأخف في الأخريين. قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحق. فأرسل معه رجلا، أو رجالا، إلى الكوفة، فسأل عنه أهل الكوفه، ولم يدع مسجدا إلا سأل عنه، ويثنون معروفا، حتى دخل مسجدا لبني عبس، فقام رجل منهم، يقال له أسامة بن قتادة، يكنى أبا سعدة، قال: أما إذ نشدتنا، فإن سعدا كان لا يسير بالسرية، ولا يقسم بالسوية، ولا يعدل في القضية. قال سعد: أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبا، قام رياء وسمعة، فأطل عمره، واطل فقره، وعرضه بالفتن. وكان بعد إذا سئل يقول: شيخ كبير مفتون، أصابتني دعوة سعد. قال عبد الملك: فأنا رأيته بعد، قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتعرض للجواري في الطرق يغمزهن " ( رواه البخاري ).

43- عن أوس بن شرحبيل رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من مشى معَ ظالِمٍ ليُقَوِّيَهُ وهوَ يعلمُ أنَّهُ ظالِمٌ، فقد خرجَ مِنَ الإسلامِ " ( رواه البيهقي في شعب الإيمان ).

44- عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال: لَمَّا مَرَّ النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بالحِجْرِ قال: ( لا تَدخلوا مَساكنَ الذينَ ظَلموا أنفُسَهم، أنْ يُصيبَكم ما أصابَهم، إلا أنْ تَكونوا باكينَ ). ثم قنَّعَ رأْسهُ وأسرَعَ السيْرَ حتى أجازَ الواديَ " ( رواه البخاري ).

45- عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ما من رجلٍ يُذْنِبُ ذنبًا، ثُم يقومُ فيَتَطهَّرُ ثمَّ يُصلِّي ثم يستغفرُ اللهَ، إلا غفر اللهُ له، ثمَّ قرأَ هذه الآيةَ: والَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أوْ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ...... إلى آخرِ الآيةِ " ( رواه الترمذي ).

46- عن عبدالله بن عباس رضي الله عنه قال: " لما أُخرج النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ من مكةَ قال أبو بكرٍ أخرَجوا نبيَّهم ليهلكُن فأنزل الله تعالى { أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ} الآية فقال أبو بكرٍ لقد علمتُ أنه سيكون قتالٌ " ( رواه الترمذي ).

47- عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا تَكونوا إمَّعةً، تقولونَ: إن أحسنَ النَّاسُ أحسنَّا، وإن ظلموا ظلَمنا، ولَكن وطِّنوا أنفسَكم، إن أحسنَ النَّاسُ أن تُحسِنوا، وإن أساءوا فلا تظلِموا " ( رواه الترمذي ).

48- عن صفوان بن محرز المازني قال: " بينما أنا أمشي مع ابن عمر رضي الله عنهما آخذ بيده إذ عرض رجل فقال كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله يُدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا فيقول نعم أي رب حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك قال سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته وأما الكافر والمنافقون فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين " ( رواه البخاري ).

49- عن أبي الزبير رضي الله عنه أنه سمع جابر بن عبد الله يقول أخبرتني أم مبشر ( الأنصارية ) أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة: " لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها ". قالت بلى يا رسول الله فانتهرها فقالت حفصة وإن منكم إلا واردها فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد قال الله عز وجل " ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً " ( رواه مسلم ).

50- عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " مَدحُك أخاك في وجهِه كإمرارِك على حلْقِه موسى رهيصًا أي شديدًا قال: ومدح رجلٌ ابنَ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ في وجهه فقال: سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقول: احثُوا في وجوه المدَّاحينَ التُّرابَ، ثم أخذ ابنُ عمرَ التُّرابَ فرمى به في وجه المادحِ، وقال: هذا في وجهِك ( ثلاثَ مراتٍ ) " ( السلسلة الصحيحة ).

51- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " صنفانِ من أهلِ النارِ لم أرَهما. قومٌ معهم سياطٌ كأذنابِ البقرِ يضربون بها الناسَ. ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ مميلاتٌ مائلاتٌ. رؤوسُهنَّ كأسنِمَةِ البختِ المائلةِ. لا يدخلْنَ الجنةَ ولا يجدْنَ ريحَها. وإن ريحَها ليوجد من مسيرةِ كذا وكذا " ( رواه مسلم ).

52- عن كعب بن عجرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " خرَجَ علينا رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ونحن تسعةٌ فقال: إنه ستكون بعدِي أمراءٌ، مَن صدَّقَهم بكَذِبِهم، وأعانهم على ظلمِهم، فليس مني، و لست منه، و ليس بواردٍ عليَّ الحوضَ، و مَن لم يُصَدِّقْهم بكَذِبِهم،و لم يُعِنْهم على ظلمِهم فهو مني و أنا منه، و هو واردٌ علىَّ الحوضَ " ( رواه النسائي ).

53- عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " المسلمُ أخو المسلمِ، لا يظلِمُه ولا يُسلِمُه. من كان في حاجةِ أخيه، كان اللهُ في حاجتِه. ومن فرَّج عن مسلمٍ كُرْبةً، فرَّج اللهُ عنه بها كُرْبةً من كُرَبِ يومِ القيامةِ. ومن ستر مسلمًا، ستره اللهُ يومَ القيامةِ " ( رواه مسلم ).

54- عن أبي ذر الغفاري، عن النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، فيما روى عن اللهِ تبارك وتعالى أنَّهُ قال " يا عبادي! إني حرَّمتُ الظلمَ على نفسي وجعلتُه بينكم محرَّمًا. فلا تظَّالموا. يا عبادي! كلكم ضالٌّ إلا من هديتُه. فاستهدوني أَهْدِكم. يا عبادي! كلكم جائعٌ إلا من أطعمتُه. فاستطعموني أُطعمكم. يا عبادي! كلكم عارٍ إلا من كسوتُه. فاستكسوني أكْسُكُم. يا عبادي! إنكم تُخطئون بالليلِ والنهارِ، وأنا أغفرُ الذنوبَ جميعًا. فاستغفروني أغفرُ لكم. يا عبادي! إنكم لن تبلغوا ضُرِّي فتضروني. ولن تبلغوا نفعي فتنفَعوني. يا عبادي! لو أنَّ أوَّلكم وآخركم وإِنْسَكم وجِنَّكم. كانوا على أتقى قلبِ رجلِ واحدٍ منكم. ما زاد ذلك في ملكي شيئًا. يا عبادي! لو أنَّ أوَّلَكم وآخركم. وإنْسَكم وجِنَّكم. كانوا على أفجرِ قلبِ رجلٍ واحدٍ. ما نقص ذلك من ملكي شيئًا. يا عبادي! لو أنَّ أوَّلَكم وآخرَكم. وإنسَكم وجِنَّكم. قاموا في صعيدٍ واحدٍ فسألوني. فأعطيتُ كل إنسانٍ مسألتَه. ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقصُ المِخْيَطُ إذا أُدْخِلَ البحرَ. يا عبادي! إنما هي أعمالكم أُحصيها لكم. ثم أوفِّيكم إياها. فمن وجد خيرًا فليحمدِ اللهَ. ومن وجد غيرَ ذلك فلا يلومَنَّ إلا نفسَه ". وفي روايةٍ: " إني حرَّمتُ على نفسي الظلمَ وعلى عبادي. فلا تظَّالموا " ( رواه مسلم ).

55- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " أتدرون ما المفلِسُ؟ قالوا: المفلِسُ فينا من لا درهمَ له ولا متاعَ. فقال: إنَّ المفلسَ من أمَّتي، يأتي يومَ القيامةِ بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مالَ هذا، وسفك دمَ هذا، وضرب هذا. فيُعطَى هذا من حسناتِه وهذا من حسناتِه. فإن فَنِيَتْ حسناتُه، قبل أن يقضيَ ما عليه، أخذ من خطاياهم فطُرِحت عليه. ثمَّ طُرِح في النَّارِ " ( رواه مسلم ).

56- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إذا خُلِّصَ المؤمنون مِن النارِ حُبِسُوا بقِنْطَرَةٍ بينَ الجنةِ والنارِ، فيَتَقاصون مظالمَ كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا نُقُّوا وهُذِّبُوا، أُذِنَ لهم بدخولِ الجنةِ، فوالذي نفسُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم بيدِه، لأَحدُهم بمَسْكَنِه في الجنةِ أدلُّ بمنزلِه كان في الدنيا " ( رواه البخاري ).

57- عن عمار بن ياسر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من ضرب مملوكَه ظُلمًا ؛ أُقِيدَ منه يومَ القيامةِ " ( صحيح الترغيب ).

58- عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: " سألتْ أمِّي أبِي بعضَ المَوهِبَةِ لِي منْ مَالِهِ، ثمَّ بدَا لَه فوَهَبَهَا لِي، فقالَت: لا أَرضَى حتَّى تُشْهِدَ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ، فأَخَذَ بيدِي، وأنَا غلامٌ، فأَتَى بي النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقالَ: إنَّ أمَّهُ بنتَ رواحَةَ، سأَلَتْني بعضَ المَوهِبَةِ لهذَا، قال: ( ألَكَ ولَدٌ سِوَاهُ ). قال: نعم، قالَ: فَأُرَاهُ قال: ( لا تُشْهِدْنِي شَهَادَةَ جَوْرٍ ). وقالَ أبو حَرِيزٍ، عن الشَّعْبِيِّ: ( لا أَشْهَدُ على جَوْرٍ ) " ( رواه البخاري ).

59- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا تحاسَدوا، ولا تَناجَشوا، ولا تباغَضوا، ولا تدابروا، ولا يبِعْ بعضُكُم علَى بيعِ بعضٍ، وَكونوا عبادَ اللَّهِ إخوانًا المسلمُ أخو المسلمِ، لا يظلِمُهُ ولا يخذلُهُ، ولا يحقِرُهُ التَّقوَى ههُنا ويشيرُ إلى صدرِهِ ثلاثَ مرَّاتٍ بحسبِ امرئٍ منَ الشَّرِّ أن يحقِرَ أخاهُ المُسلمَ، كلُّ المسلمِ علَى المسلمِ حرامٌ، دمُهُ، ومالُهُ، وَعِرْضُهُ وفي روايةٍ: قالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ: فذَكَرَ نحوَ حديثِ داودَ، وزادَ، ونقصَ وممَّا زادَ فيهِ إنَّ اللَّهَ لا ينظرُ إلى أجسادِكُم، ولا إلى صورِكُم، ولَكِن ينظرُ إلى قلوبِكُم وأشارَ بأصابعِهِ إلى صدرِهِ " ( رواه مسلم ).

60- عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: " لمَّا رجَعتُ إلى رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ مُهاجرةُ البحرِ قالَ ألا تحدِّثوني بأعاجيبِ ما رأيتُمْ بأرضِ الحبشَةِ قالَ فِتيةٌ منهم بلَى يا رسولَ اللَّهِ بينا نحنُ جلوسٌ مرَّت بنا عجوزٌ من عجائزِ رَهابينِهِم تحملُ علَى رأسِها قُلَّةً من ماءٍ فمرَّت بفتًى منهم فجعلَ إحدى يدَيهِ بينَ كتفيها ثمَّ دفعَها فخرَّت علَى رُكْبتَيها فانكسَرت قُلَّتُها فلمَّا ارتفَعتِ التفتَتَ إليهِ فقالَت سوفَ تعلَمُ يا غُدَرُ إذا وضعَ اللَّهُ الكرسيَّ وجمعَ الأوَّلينَ والآخِرينَ وتَكَلَّمتِ الأيدي والأرجلُ بما كانوا يَكْسِبونَ فسوفَ تعلَمُ كيفَ أمري وأمرُكَ عندَهُ غدًا قالَ يقولُ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ صدَقَتْ صدَقَتْ كيفَ يقدِّسُ اللَّهُ أمَّةً لا يؤخَذُ لضَعيفِهِم من شديدِهِم " ( رواه ابن ماجه ).

- قال المناوي: " ( كيف يُقدس الله أمة لا يُؤخذ لضعيفهم من شديدهم ): استخبار فيه إنكار وتعجُّب، أي: أخبروني كيف يُطهِّر الله قومًا لا ينصرون العاجز الضَّعيف على الظَّالم القويِّ، مع تمكُّنهم من ذلك؟!، أي: لا يطهِّرهم الله أبدًا، فما أعجب حالكم إن ظننتم أنَّكم مع تماديكم في ذلك يُطهِّركم! ".

61- عن عقبة بن عمرو بن ثعلبة أبو مسعود رضي الله عنه قال: " كنتُ أضرب غلامًا لي بالسَّوطِ. فسمعتُ صوتًا من خلفي ( اعلمْ، أبا مسعودٍ! ) فلم أفهمِ الصوتَ من الغضبِ. قال: فلما دنا مني، إذ هو رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ. فإذا هو يقول ( اعلمْ، أبا مسعودٍ! اعلم، أبا مسعودٍ! ) قال: فألقَيتُ السوطَ من يدي. فقال ( اعلمْ، أبا مسعودٍ! أنَّ اللهَ أقدرُ عليك منك على هذا الغلامِ ) قال فقلتُ: لا أضربُ مملوكًا بعده أبدًا. وفي روايةٍ: غير أنَّ في حديثِ جريرٍ: فسقط من يدي السَّوطُ، من هيبتِه " ( رواه مسلم ).

62- عن إياس بن ثعلبة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "منِ اقتطعَ حقَّ امرئٍ مسلِمٍ بيمينِهِ فقَدْ أوجبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ وحرَّمَ علَيهِ الجنَّةَ فقالَ لَهُ رجلٌ: وإن كانَ شيئًا يسيرًا يا رسولَ اللَّهِ قالَ: وإن كانَ قضيبًا مِن أراكٍ " ( رواه النسائي ).

63- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من كانت له مظلمةٌ لأحدٍ من عرضِه أو شيءٍ فليتحلَّلْه منه اليومَ، قبل أن لا يكونَ دينارٌ ولا درهمٌ، إن كان له عملٌ صالحٌ أخذ منه بقدرِ مظلمتِه، وإن لم تكنْ له حسناتٌ أخذ من سيئاتِ صاحبِه فحمل عليه " ( رواه البخاري ).

- ثالثاً: ثوابت في مقاومة الظلم والظالمين: إن مقاومة الظلم بدأها الأنبياء عليهم السلام وهي سنة باقية إلى قيام الساعة: يقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: " إذا سكت العالِم تُقية ( حذراً وخوفاً ) والجاهل يجهل، فمتى يظهر الحق؟ ". ولذلك لم تخلوا حقبة من الزمن على مدار التاريخ من وجود علماء ورموز وقادة تصدوا للظلم وقاوموا الظالمين تأسياً بالأنبياء والمرسلين عليهم جميعاً من الله السلام. فإبراهيم الخليل عليه السلام تصدى للنمرود، وكليم الله موسى عليه السلام تصدى لفرعون وهامان وجنودهما، والنبي صلى الله عليه وسلم تصدى لبطش قريش وتكذيبهم ورفض أن يُداهنهم أو يركن إليهم، فجميع الأنبياء عليهم السلام لم يخور لهم عزم ولم تلين لهم قناة، فكانوا - عليهم السلام - خير قدوة لأسلافهم وأتباعهم إلى يوم القيامة.

\* إن هناك العديد من الثوابت التي يجب أن نعيها جيداً قبل أن نشرع في مقاومة الظلم والظالمين حتى لا تُبدد الجهود وحتى لا نُسيء ولا نُفسد من حيث لا ندري:-

1- يجب أن نعي جيداً أن المقاومة في الأصل هي مقاومة الأفعال قبل أن تكون مقاومة الأشخاص وأن الغرض منها الإصلاح فربما يتحول الظالم نفسه إلي عادل فقد مارس الظلم وأدرك مساوئه فإذا علم واقتنع بأن العدل فيه مصلحته قبل مصلحة الآخرين فإنه قد يتحول وما ذلك على الله بعزيز. ولكن كراهية الأشخاص قد يترتب عليها إقصاء يؤدي إلى دمار في النهاية.

- إن النبي صلى الله عليه وسلم عندما دعا الله عز وجل قائلاً: " اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام " قد رسخ في الأذهان قاعدة نبذ الشر وكراهيته قبل نبذ صاحبه وكراهيته فالأول - عمر بن الخطاب استجاب - فأعزه الله وأعز به فوجب له الحب، والثاني أعرض وتمادى في غيه وظلمه فأذله الله تعالى ووجب بغضه ونبذه.

2- لابد وأن ندرك أن الظلم لا ينتهي بالتخلص من ظالم أو بعودته لرشده كما أن الحق لا ينتهي بموت صاحب حق أو بتساقطه فالأيام دُوَل والمعركة بين الحق والباطل سِجَال إلى يوم القيامة.

3- الظلم من أشد المنكرات ولذلك فإن مقاومة الظلم واجبة على الجميع ولا يُعفى منها أحد كل حسب طاقته وإمكانياته وأقلها إنكار الظلم وعدم ممالئة الظالمين أو الركون إليهم أو استحسان ما يمارسونه من ظلم مهما كان من وقع عليه هذا الظلم فالله تعالى عندما حَرَّم الظلم ونهى عنه لم يستثني أحداً.

4- كما اتفقنا أن الظلم من أشد المنكرات لذا يجب التعامل معه ومع من يمارسونه بفطنة وحنكة وبصيرة نافذة وثاقبة لأن التهور وعدم التروي ربما يؤديان إلى منكر أكبر أو ظلم أكبر. وهذا ليس مدعاة للركون أو الاستسلام للواقع الذي يحرص الظالم على فرضه ولكن دعوة للتريث واغتنام الوقت المناسب والآلية المناسبة للقضاء على الظلم.

5- الظالم يحاول بشتى السبل تجميل باطله وتزيينه لكي يخدع العوام ولكي يكسب مؤيدين ومدافعين ولذلك وجب على أهل الحق أن يكشفوا زيف الباطل وحيله التي يتستر خلفها ويتحصن بها.

6- إن البيئة الخصبة التي ينموا فيها الباطل ويترعرع هي الجهل ولذلك فهو حريص على إبقاء الجهل وتضليل القاعدة العريضة من الناس، ومن هنا تأتي أهمية الاهتمام بالعلم ونشر الوعي والتوعية المستمرة لأهل الحق ولعموم الناس.

7- إن الباطل يحرص على وجود أذرع له يتترس أو يستتر خلفها لكي ينهك أهل الحق قبل أن يصلوا إليه ومن هنا وجب على أهل الحق أن يجعلوا جل اهتمامهم على مقارعة أكابر المجرمين ورؤوس الباطل.

8- إن الباطل يحرص على إثارة القضايا التي من شأنها إلهاء أهل الحق، وتمزيق صفوفهم، واستنزاف قواهم في معارك جانبية حتى يتمكن من تحقيق مآربه ولذلك وجب على أهل الحق أيضاً التركيز نحو الأهداف الأساسية وعدم الاستدراج نحو توافه الأمور وسفاسفها.

9- لا يجب إغفال سلاح الإيمان لأن الحق لا يُقاوِم بعتاد ولا بعدة ولكن يقاوم بحسن الصلة بالله تعالى وبسلاح الإيمان وقوة العزيمة وقوة الإرادة وهم أقوى وأمضى وأنجع من أي سلاح.

10- لا يجب أن يتسرب اليأس إلى أهل الحق مهما طال الطريق وزادت العقبات والمَلمَّات لأن الموصول بالله تعالى دائم الأنس بالله فلا تصيبه وحشة ولا يتسرب إليه يأس.

تلك عشرة كاملة بها وبغيرها توحَّد الجهود، وتستنهض الهمم، وتفجر الطاقات، وتستثمر وتؤتي ثمارها بإذن ربها.

- رابعاً: الغرض من مقاومة الظلم والظالمين:

\* إن مقاومة الظلم مٌبررة ومشروعة شرعاً وعقلاً وقانوناً لعدة أمور مثل:-

1- إن الإسلام أمرنا بمقاومة الظالمين وجعل من يموت دون حق من حقوقه شهيداً في سبيل الله.

2- حفظ الكرامة الإنسانية حيث أن الظلم يهدر الكرامة والإسلام يرفض الاستكانة والخنوع.

3- الحفاظ على سُنة الاستخلاف التي من أجلها خلقنا الله عز وجل وسنة التدافع التي بها يظل ميزان الحق قائماً والحقوق مُصانة.

4- الحفاظ على أمن واستقرار المجتمع ففي ظل الظلم تسُود الحروب وتُنتهك الحُرُمَات ويُعرقل الإنتاج.

5- تحقيق المساواة في الحقوق والواجبات فهضم الحقوق له غُصَّة في الحلق لا يشعر بها إلا من يتجرعها ولا يهدأ صاحب هذه الغُصَّة حتى يسترد حقه ممن ظلمه.

6- إن الإسلام دين المحبة والسلام ولن تكون هناك محبة، ولن يكون هناك سلام إذا انتشر الظلم، فمقاومة الظلم لبسط السلام مقصد من مقاصد الإسلام الشرعية.

7- التخلية بين الناس وبين دين الله تعالى فالظلم يقف حائلاً بين الناس وبين الشرع بل يعمل على تشويهه وتنفير الناس منهم وإرهابهم إذا اقتربوا منه.

- خامساً: وسائل مقاومة الظلم والظالمين

إن مقاومة الظلم والظالمين لها وسائل متعددة وتزداد هذه الوسائل كل يوم بزيادة التجارب والخبرات وبالتقدم الذي تشهده البشرية، وإن أي وسيلة لمقاومة الظلم وردعه مقبولة طالما أنها لم تخرج عن الإطار الشرعي ولم تفرغ من المقاصد التي ذكرت آنفا. زمن هذه الوسائل:-

1- نشر الوعي: لكي يُدرك الإنسان أنه مظلوم ويحدد من الذي ظلمه وما هو نوع الظلم الذي وقع عليه وما هي حقوقه المهدرة التي ينبغي أن يسعى لاستردادها وذلك لكي يقرر بعدها خيارات المقاومة لأن الظالم يستفيد من جهل الناس بمظالمهم فيستمر في غيه دون خوف. أما عندما يتم فضح مؤامرات الظالمين وتعريتها فلا ينخدع بهم الناس وبحيلهم الماكرة وأساليبهم الناعمة الخادعة.

2- التحرر من الخوف: وذلك يكون بالعمل على تسفيه رموز الظلم وبيان حقيقتهم حتى لا يهابهم الناس وليعلم الجميع أن الباطل مهما انتفش فهو ضعيف جبان وأنه يحمل بين جنبيه عوامل هلاكه.

- يقول الكواكبي رحمه الله: " إن الاستبداد يُحَوِّل ميل الأمة الطبيعي من طلب الترقي إلي طلب التسَفل بحيث لو دُفعت إلي الرفعة لأبت وتألمت كما يتألم الأجهر من النور ". لذلك اهتم الأنبياء والمصلحون بتحرير شعوبهم من رق الوثنية والاستعباد قبل الإقدام والمقاومة.

3- التخطيط ومعرفة قدرات الخصم وكذلك معرفة مناصريه وقدراتهم وإمكانياتهم.

- وكذلك على المقاوم أن يعرف قدرات نفسه جيداً وفرصه وتهديداته ليوظف الفرص توظيفاً صحيحاً ويعزز نقاط الضعف والتهديدات وذلك ليتمكن من شل قدرات الظالم وإضعافه، فالتخطيط يُقسِّم المقاومة إلي مراحل كل مرحلة تؤدي إلي التي بعدها حتى يتحقق الهدف. والتخطيط كذلك يحدد أولويات المواجهة وبأي النقاط نبدأ.

- قال تعالى: " وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ {12} " ( التوبة 12 ).

- أما الانفعال الأهوج والتهور وإسقاط تجارب الآخرين دون إدراك للواقع فإنه يعتبر تصرفاً عبثياً لا يقتل عدواً ولا ينقذ صديقاً بل سيُمَكِّن الظالم من الاستمرار.

- يقول الشيخ أحمد ياسين رحمه الله: " القوي مهما كان قوياً فان فيه نقطة ضعف والضعيف مهما كان ضعيفاً فان فيه نقطة قوة فإذا التقت نقطة القوة عند الضعيف بنقطة الضعف عند القوي انتصر الحق على الباطل ".

4- التعقل وعدم الاستدراج لمرحلة أنت غير مستعد لها: فالمستبد يود لو فرض عليك أسلوب مقاومته فهو يُحَضِّر نفسه ويُسخِّر إمكانياته للمواجهات العنيفة فليس من الحكمة أن نواجهه بما يتفوق فيه ولكن المقاومة التي تشل قدرته وتُضعف همته مثلما فعلت الكثير من أساليب المقاومة البسيطة الغير متوقعة قديماً وحديثاً وما انتفاضة الحجارة منا ببعيد.

5- اعتزال الظالمين ونبذهم وعدم الركون إليهم: إن الظالم يُحيط به الخوف من كل جانب، فعندما يعلن المظلومون رفضهم لظلمه فإن ذلك يزيده خوفاً ويدفعه للتراجع، ولقد حث الإسلام على اعتزال الظالمين ومقاطعتهم.

- قال تعالى: " وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ {113} " ( هود 113 ).

6- اليقظة لمحاولات الإغراء والاستقطاب: إن الظالمين في كل زمان يسعون لاستقطاب بعض الناس بالترغيب والترهيب ولكنها محاولات لا قيمة لها إذا كانت الشعوب واعية بمظالمها وحقوقها واتفقت علي أهدافها. ولنا الأسوة الحسنة في النبي صلى الله عليه وسلم عندما فطن لمساومات وإغراءات قريش فردهم خزايا مدحورين.

- عندما اشتعلت الثورة المهدية في كل السودان أرسل ( غردون ) إلي ( الإمام المهدي ) خطاباً يُعيِّنَه فيه حاكماً على ( كردفان ) فرد عليه الإمام المهدي قائلاً: " لسنا في كسروية كسرى ولا قيصرية قيصر ولا باشوية باشا ولا مديرية مدير ولا حاجة لي بالسلطنة والملك والجاه إنما نحن في وظيفة مهدية ".

7- توحيد الجهود وتقوية الصفوف لمقاومة الظالمين دون التنازل عن مبدأ أو الاعتراف بباطل.

- قال تعالى: " فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ {8} وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ {9} " ( القلم 8 – 9 ).

- وقال تعالى: " وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ......... {103} " ( آل عمران 103 ).

- وقال تعالى: ".......... وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ {36} " ( التوبة 36 ).

\* ويدخل في هذا الجانب أيضاً تكوين الأحلاف والتكتلات التي من شأنها النيل من الظلم وتهديد وجوده بل والقضاء عليه، وهذا ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم حال هجرته هو وأصحابه إلى المدينة.

8 - مقاطعة أعوان الظالمين الذين يُعتبرون شرايين الحياة بالنسبة لهم: فيجب إعلان المفاصلة الواضحة لأعوان الظالمين - أفراداً ومؤسسات وهيئات ودول - من أول لحظة حتى يرتدعوا ويرجعوا عن باطلهم وحتى تجف هذه الشرايين فنُعجل بزوال الظلم وأهله.

- هذه بعض الوسائل التي فتح الله علينا بها ومن المؤكد أن هناك الكثير والكثير من الوسائل الأخرى فصاحب الحق لا يكف عن الابتكار والتجديد والإبداع لدحر الظلم والقضاء عليه. والفطن هو الذي يعرف بأي الوسائل يبدأ ويتعامل مع المواقف بالحكمة التي تمكنه من تحقيق أقصى ما يريد بأقل الجهود والخسائر.

- سادساً: العبرة من ذِكْر مصارع الظالمين: إن العاقل من اعتبر بغيره ولم يجعل نفسه عِبْرَة لغيره فإن الله عز وجل قد جعل من بعض خلقه الظالمين والجاحدين والغافلين عِبْرَة لغيرهم من الخلائق لينزجروا بهم كما قال الله تعالى: " قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذَّبِينَ {137} " ( آل عمران 137 ). والله تعالى عادة ما يختم أخبار هلاك الظالمين من الأمم المُكذِّبة لرسلهم بقوله تعالى: " إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار، الألباب، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون، يذكرون، يعقلون " لنعلم أن المراد من ذلك هو العظة والاعتبار.

- إن هذه السُّنَّة الربانية المتكررة عبر الأزمان - هلاك الظالمين - يحتاج إلى قراءتها وفهمها كل البشر في هذا العصر سواء أكانوا من الظالمين أم من المظلومين، فالظالمين يحتاجون إلى قراءتها وتدبرها وفهمها، لعلهم يرتدعوا عن ظلمهم ويرجعوا عن غيهم فيشكرون الله تعالى على ما مَنَّ به عليهم من القوة والسيادة في الأرض بإقامة العدل، ورفع الظلم، وعدم استغلال ضعف الضعفاء بالتسلط عليهم، ونهب ثرواتهم ومُقدراتهم، وتبديل دينهم وثقافتهم وهويتهم تحت مشاريع ومُسَمَّيَات ما أنزل الله تعالى بها من سلطان.

- وكذلك فإن المظلومين في أَمَس الحاجة إلى معرفة سُنَّة الله تعالى في هلاك الظالمين أيضًا لأن معرفتهم بعواقب المجرمين ومَصارع الظالمين تزيد الإيمان لانتقالها من علم اليقين إلى عين اليقين، تزيدهم إيمانًا بدينهم، ويقينًا إلى يقينهم، وثباتًا عليه مهما كانت التبعات والتضحيات. كما أن فيها تسلية لهم، وفتحًا لأبواب الفرج والنصر، وكلما زاد ظلم الظالمين، واستكبار المجرمين، وأصرَّوا على تغيير معالم الدين عَلِمَ المؤمنون أن هلاك الظالمين بات وشيكًا، وأن سُنَّة الله الماضية في الظلم وأهله قد أَزِفَ وقوعها ؛ لتكون عذابًا على الظالمين، ورحمة ونجاة للمؤمنين، كما مضت سُنَّة الله تعالى في الظالمين السابقين الذين هلكوا في أوج قوتهم وسيادتهم، واستفحال ظلمهم وطغيانهم.

- سابعاً: الظالم يميته الله موتات: إن أحوال الظالمين ومَصَارِعَهُم تنبأنا بعاقبة كل من حاد عن طريق الله والصراط المستقيم وسبحان من عجَّل للظالمين العقوبة في الدنيا قبل الآخرة فالظلمَ يجعل صاحبه في حبس دائم، لا يسير إلا وحوله حرس مُدَجَّج بالسلاح، لا ينام ولا يصحو إلا وهو مُتخوِّف من المظلوم الذي يتربص به.

- قال تعالى: " وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً {104} " ( النساء 104 ).

- فالظالم وإن كان محصناً في بروج مشيدة وحوله الجُند والخدم والحشم ومَنْ يمنعونه ويُزينون له الظلم الذي يمارسه، إلا أن الله تبارك وتعالى لا يمنعه من أخذه مانع، ولو كان الظالم في بُروجه المُشيدة.

- لقد أرانا الله تعالى مصارع الظالمين لتكون عِبْرة، أرانا ماذا فعل مع فرعون وهامان، وماذا فعل مع قارون، وماذا فعل مع النمرود، وماذا فعل مع سائر الظالمين. فكم من بيوت كانت تعُج بالظالمين فقطع الله دابرهم وماتوا شر ميتة فصارت ديارهم خراباً من بعدهم، ونُكِّثت راياتهم، ودُمِّرت عروشهم، وبدَّد الله مُلكهم.

- قال تعالى: " فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ {44}‏ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {45} " ( الأنعام 44 – 45 ).

- ثامناً: دعوة المظلوم وهلاك الظالمين: إن دعوة المظلوم سهم لا يُرد ولا يُخطئ، فيا بُؤس الظالم المخذول ينام ملء عينيه والمظلوم يدعو عليه، يجأر إلى الله أن ينتقم منه، وأن يُشتت شمله، ويُعَجِّل عِقابه، وينزل به بأسه، ويحل عليه سخطه، ويأخذه أخذ عزيز مُقتدر. إن دعوة المظلوم يستجيب الله تعالى لها ولو كان المظلوم فاجراً فدعوته مُستجابة وفجوره على نفسه، ودعوة المظلوم تصعد إلى الله فما بالك بدعوة التقي الصالح أو العالم الرباني ومن بذل نفسه لله تعالى؟

1- ورد في كتاب الكبائر للذهبي رحمه الله: " عن وهب بن منبه قال: بني جبار من الجبابرة قصراً وشيَّده فجاءت عجوز فقيرة فبنت إلي جانبه كُوخاً تأوي إليه فركب الجبار يوماً وطاف حول القصر فرأي الكُوخ فقال: لمن هذا؟ فقيل لامرأة فقيرة تأوي إليه، فأمر به فهُدِم، فجاءت العجوز فرأته مهدوماً فقالت: من هدمه؟ فقيل: الملك رآه فهدمه، فرفعت العجوز رأسها إلي السماء وقالت: يارب إذا لم أكن أنا حاضرة فأين كنت أنت؟ قال: فأمر الله جبريل أن يقلب القصر علي من فيه فقلبه.

2- حُكِي أن رجلاً من قتَلَة الحُسَين بن عليٍّ رضي الله عنه رمَى الحُسين بسهمٍ فقال الحُسين: يا هذا! ائتنِي بماءٍ أشربه، فلما رماهُ هذا الرجل حالَ بينَه وبين الماءِ، فقال الحُسَينُ: اللهم أظمِئْهُ، فرُئِي هذا الرامي وهو عند موته في الاحتِضار وهو يصيحُ من الحرِّ في بطنِهِ، ويصيحُ من البردِ في ظهره، فبين يدَيْه المراوِحُ والثلجُ وخلفَه المُصطلي - موقد التدفئة - وهو يقول: أسْقُوني أهلَكَني العطشُ، فيُؤتَى بإناءٍ عظيمٍ فيه السَّوِيْقُ - وهو الماء واللبن - لو شرِبَه خمسةٌ لكفاهم، فيشربَه جميعًا، ثم يعودُ فيقول: أسْقُوني أهلكَني العطشُ، ثم انقدَّ بطنُهُ - انشق - كانقِداد البَعير.

3- جاء في كتاب " مروج الذهب " للمسعودي رحمه الله: " ومات الحجاج في سنة خمس وتسعين، وهو ابن أربع وخمسين له بواسط العراق، وكان تأمُّرُهُ على الناس عشرين سنة، وأحصى من قتله صبراً سوى من قتل في عساكره وحروبه فوجد مائة وعشرين ألفاً، ومات وفي حبسه خمسون ألف رجل، وثلاثون ألف امرأة، منهن ستة عشر ألف مجردة، وكان يحبس النساء والرجال في موضع واحد، ولم يكن للحبس ستر يستر الناس من الشمس في الصيف ولا من المطر والبرد في الشتاء وكان له غير ذلك من العذاب ما أتينا علي وصفه في الكتاب الأوسط.

وذكر أنه ركب يوماً يريد الجمعة، فسمع ضجة، فقال: ما هذا، فقيل له: المحبوسون يضجون ويشكون ما هم فيه من البلاء، فالتفت، ناحيتهم وقال: اخسأوا فيها ولا تكلمون فيقال: إنه مات في تلك الجمعة، ولم يركب بعد تلك الركبة " أ ه.

- ومن أشهر ضحايا الحجاج " سعيد بن الجبير" الذي دعا الله علي الحجاج عند قتله له فقال: " اللهم لا تُسَلِّط الحجاج على أحد من بعدى.

- جاء في سير أعلام النبلاء: ".... ولم يمض على مصرع سعيد غير خمسة عشر يومًا حتى أصيب الحجاج بالحمى الشديدة، واشتدت عليه وطأة المرض حتى كان يغفو ساعة ويفيق ساعة، فإذا أفاق استيقظ مذعورًا مهزومًا وهو يصيح ويقول: ما لي ولسعيد بن جبير، ردوا عني سعيد بن جبير، وما بقي إلا أيامًا وهو في عذاب شديد حتى قصم الله ظهره، وأزال ذكره، وأحصى بطشه، وجعله عبرة للمعتبرين.

- جاء في كتاب " كيف ماتوا؟ " لمؤلفه " خليفة إسماعيل الإسماعيل " قال: " ذكِر أن الحجاج قد أصيب بمرض " الأكلة " في بطنه وكان يهرش بطنه بيديه الاثنتين حتى يدمى إلى درجة أنهم كانوا يكوونه بالنار على بطنه لتخفيف تلك الأكلة التي أصيب بها ولم يكن يشعر بحرارة النار ويقول الرواة أنه كان يبكي كالأطفال من شدة الألم وقد شكا حاله إلى العالم الكبير الحسن البصري الذي قال له: كم قد نهيتك يا حجاج أن لا تتعرض لعباد الله الصالحين لكنك لم تنته وهذا جزاؤك. فقال الحجاج بصوت يملؤه الأسى والألم: إني لا أطلب منك أن تدعو الله حتى يشفيني ولكني أطلب منك أن تسأل الله أن يُعَجِّل قبض روحي ولا يطيل عذابي. ويُقال أن الحسن البصري بكى بكاء شديداَ من شدة تأثره لحال الحجاج. وقد ظل الحجاج يعاني من مرض الأكلة خمسة عشر يوماً لم يطعم فيها الزاد ولم يغمض له جفن حتى مات في شهر رمضان وقيل في شهر شوال سنة (95ه) وعمرة (54) عاماً ".

\* يقول الإمام الذهبي في " سير أعلام النبلاء ": " نسبّه ولا نحبه، ونبغضه في الله، فذلك من أوثق عرى الإيمان، له حسنات انغمرت في بحر سيئاته وأمره إلى الله تعالى ".

4- يُحكى أن وزيراً ظلم امرأة بأخذ مزرعتها وبيتها، فشكته إلى الله فأوصاها مُستهزئاً بالدعاء في ثلث الليل الأخير، فأخذت تدعو عليه شهراً، فابتلاه الله بحاكم فوقه قطع يده وعزله وأهانه، فمرت عليه وهو يُجلد فشكرته على وصيته وقالت:

\* إذا جار الوزير وكاتباه وقاضي الأرض أجحف في القضاء

فويل ثم ويل ثم ويل لقاضي الأرض من قاضي السماء.

5- انتقام الله تعالى من القرامطة: عندما هجم القرامطة على بيت الله الحرام عام 317 ه واستباحوا حرمته وقتلوا من فيه وسرقوا الحجر الأسود الذي ظل عندهم 22 عاما: جاء في كتاب " النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة " جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي " قال: " فلما عاد القرمطي إلى بلاده رماه الله في جسده حتى طال عذابه وتقطعت أوصاله وأطرافه. وهو ينظر إليها وتناثر الدود من لحمه ".

6- انتقام الله تعالى من الوالي الظالم محمد بن صمصامة: " كان محمد بن صمصامة أميراً على دمشق وكان ظالماً متجبراً سفاكاً للدماء مصادراً للأموال خبيث العقيدة، عج الخلق فيه إلى الله، وكثر ابتهال أهل دمشق من هذا الذي سُمي جيش ابن محمد بن صمصامة، يقول الذهبي في " سير أعلام النبلاء ": " ابتلي بما لا مزيد عليه، ضربه الله بالجذام، وكان يقول لأصحابه: " اقتلوني ويلكم أريحوني من الحياة ".

7- انتقام الله تعالى من القاضي أحمد بن أبي دؤاد رأس الفتنة ومُفتي السلاطين في قضية خلق القرآن: أوحى أحمد بن دؤاد للخليفة المأمون أن يستعمل سيف السلطة وقوة الخلافة في إجبار علماء الأمة على القول بخلق القرآن وأن هذا هو واجبه بصفته إمامًا للمسلمين والمسئول عنهم، فبدأت المحنة العظيمة التي فتحت باب شر كبير على الأمة وتعاقب على هذه الفتنة ثلاثة خلفاء المأمون ثم المعتصم ثم الواثق والذي أغواهم جميعاً هو أحمد بن أبي دؤاد. ولقد دخل في مناظرة بخصوص هذا الأمر مع الإمام أحمد بن حنبل فأفحمه الإمام أحمد بن حنبل وأدحض حجته وافتضح أمره أمام الناس.

- ظل القاضي أحمد بن أبي دؤاد على حاله هذا يسلط الأمراء على العلماء ويفتي لهم بصحة ما يفعلون ويجرؤهم على باطلهم حتى جاء عهد الخليفة المتوكل الذي كان يكره البدعة ويحب السنة وأهلها فعزل أحمد بن أبي دؤاد وأمر بمصادرة أمواله وأموال ولده محمد بعد أن ظهرت خيانة محمد في القضاء وسيرته القبيحة مع المسلمين , وأصاب أحمد بن أبي دؤاد بمرض الفالج 'وهو الشلل' مدة أربع سنين وبقي طريحاً في الفراش وكان يقول: " إن لي شقاً لو قرض بالمقاريض ما شعرت به وآخر لو وقعت عليه ذبابة فكأنه الجحيم " ولقد جاء مرضه هذا نتيجة أنه دعى على نفسه يوم أن قتل إمام السنة أحمد بن نصر فقال للخليفة الواثق: " حبسني الله في جلدي إن كان قتله خطأ " فاستجاب الله تعالى الدعاء وحبسه في جسده مصاباً بالشلل يدخل عليه الناس لا ليعودوه ولكن ليبدوا شماتتهم فيه وليزيدوه هماً على همه إلى أن مات غير مأسوفاً عليه في المحرم من عام 240ه.

8- انتقام الله تعالى من كمال أتاتورك: ألغى كمال أتاتورك الخلافة العثمانية، وكان مُعادياً للإسلام، ومنع الأعياد والحج والأذان واللغة العربية، وأصدر أمراً بتحويل مسجد أياصوفيا إلى متحف، وكان سِكِّيراً عِربيداً ماجناً فاحشاً، ابتلاه الله بكائنات دقيقة لا ترى بالعين، فذاق مر العذاب ثلاث سنوات حتى قبضت روحه.

• والنماذج في هذا الجانب كثيرة لم تنته ولن تنتهي إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها فالمعركة سِجال والأيام دُول بين الحق والباطل. وإن تأخر انتقام الله تعالى من بعض الظالمين فإنما يكون ذلك استدراجاً لهم وإمهالاً فإن الله تعالى يُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته.

- نسأل الله عز وجل في عليائه أن يُجنبنا مصارع الظالمين وأحوالهم كما نسأله سبحانه وتعالى أن يحفظنا من الظالمين وبطشهم.

- تاسعاً: علماء ورموز وقادة الأمة قديماً وحديثاً ومقاومتهم للظلم:

1- موقف سلطان العلماء العز بن عبد السلام ضد الملك الصالح إسماعيل: عندما كان العز بن عبدالسلام في دمشق، كان الحاكم رجلًا يُقال له: "الملك الصالح إسماعيل" من بني أيوب، فولَّى العز بن عبدالسلام خطابة الجامع الأموي، وبعد فترة قام الملك الصالح إسماعيل هذا بالتحالف مع النصارى الصليبيين، أعداء الله ورسله، فحالفهم وسلَّم لهم قلعة الشَّقِيف، وصَفَد، وبعض الحصون، وبعض المدن؛ وذلك من أجل أن يستعين بهم على قتال الملك الصالح أيوب في مصر، فلما رأى العز بن عبدالسلام هذا الموقف الخائن الموالي لأعداء الله ورسله عليهم السلام، لم يصبر؛ فصعد على المنبر، وتكلم وأنكر على الصالح إسماعيل تحالفه مع الصليبيين، وقالها له صريحة، وقطع الدعاء له في الخطبة، بعدما كان اعتاد أن يدعو له، وختم الخطبة بقوله: "اللهم أبرم لهذه الأمة أمرًا رشدًا تُعِزُّ فيه وليَّك، وتُذِلُّ فيه عدوَّك، ويُؤْمَر فيه بالمعروف، ويُنْهَى فيه عن المنكر"، ثم نزل.

وعرف الأمير الملك الصالح إسماعيل أنه يريده، فغضب عليه غضبًا شديدًا، وأمر بإبعاده عن الخطابة وسجنه، وبعدما حصل الهرج والمرج، واضطرب أمر الناس، أخرجه من السجن ومنعه من الخطبة بعد ذلك.

وخرج العز بن عبدالسلام من دمشق مُغضبًا إلى جهة بيت المقدس، وصادف أن خرج الملك الصالح إسماعيل إلى تلك الجهة أيضًا والتقى أمراء النصارى قريبًا من بيت المقدس، فأرسل رجلًا من بطانته وقال له: "اذهب إلى العز بن عبدالسلام، ولاطِفْهُ ولايِنْهُ بالكلام الحسن، واطلب منه أن يأتي إليَّ، ويعتذر مني، ويعود إلى ما كان عليه"، فذهب الرجل إلى العز بن عبدالسلام وقال له: "ليس بينك وبين أن تعود إلى منصبك وأعمالك وزيادة على ما كنت عليه إلا أن تأتي وتُقَبِّل يد السلطان لا غير"، فضحك العز بن عبدالسلام ضحكة الساخر وقال: "يا مسكين، والله ما أرضى أن يُقَبِّلَ الملك الصالح إسماعيل يدي، فضلًا عن أن أُقَبِّلَ يده؛ يا قومُ، أنا في وادٍ وأنتم في وادٍ آخر، الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكم به"، قال: "إذًا نسجنك!"، فقال: "افعلوا ما بدا لكم"، فأخذوه وسجنوه في خيمة، فكان يقرأ فيها القرآن ويَتَعَبَّد ويذكر الله تعالى.

وفي إحدى المرات، كان الملك الصالح إسماعيل قد عقد اجتماعًا مع بعض زعماء النصارى الصليبيين، كان اجتماعهم قريبًا من العز بن عبدالسلام بحيث يسمعون قراءته للقرآن، فقال: "هل تسمعون هذا الذي يقرأ؟"، قالوا: "نعم"، فقال متفاخرًا: "هذا هو أكبر قساوسة المسلمين، سَجَنَّاه؛ لأنه اعترض علينا في محالفتنا لكم، وتسليمنا لكم بعض الحصون والقلاع، واتفاقنا معكم على قتال المصريين"، فقال له ملوك النصارى: "والله لو كان هذا القسيس عندنا، لغسلنا رجليه وشربنا مرقته!"؛ لو كان عندنا رجل بهذا الإخلاص للأمة وبهذه القوة وبهذه الشجاعة، لكُنَّا نغسل رجليه، ولشَرِبْنا الماء الذي غسلنا به رجليه؛ فأصيب الملك إسماعيل بالخيبة والذل، وكانت هذه بداية هزيمته وفشله، وجاءت جنود المصريين، وانتصرت عليه وعلى من كانوا متحالفين معه من الصليبيين، وأفرجت عن الإمام العز بن عبدالسلام.

• هذا موقف صرح فيه العز بن عبدالسلام رحمه الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على رؤوس المنابر، ورأى أن هذا الذي يسعه، مع أنه كان يستطيع غير ذلك، ولكنه رأى أن هذا هو الأسلوب المناسب، خاصة أن الصليبيين في تلك الوقعة دخلوا شوارع دمشق ومدنها، وتجوَّلوا في أسواقها ودكاكينها، وكانوا يشترون الأسلحة من المسلمين؛ ولذلك وُجِّه إليه الاستفتاء: "هل يجوز أن نبيع السلاح للنصارى؟"، فأفتى رحمه الله بأن بيع السلاح إليهم لا يجوز؛ لأن من يبيعهم السلاح يعلم أنهم سوف يُصوِّبون هذه الأسلحة إلى صدور المسلمين.

• لقد كان لهذا الإمام الجليل مواقف في مقاومة الظلم والظالمين في غاية العجب، وهذه المواقف العظيمة لولا أنها مُسَطَّرة في الكتب، لقلنا: إنها خيال من الخيال، لكنها مكتوبة، والذين كتبوها هم من العلماء الثقات الذين عاصروه وعاشروه وعاشوا معه.

2- الشيخ " محمد أبو الأنوار" ورفضه للظلم: روى الجبرتي: أنه لما حضر حسن باشا الجزائري إلى مصر وخرج الأمراء المصريون إلى الجهة القبيلة واستباح أموالهم، وقبض على نسائهم وأولادهم، وأمر بإنزالهم لسوق المزاد لبيعهم زاعماً أنهم أرقاء لبيت المال، اجتمع الأشياخ وذهبوا إليه وخاطبه الشيخ " محمد أبو الأنوار" قائلاً له: أنت أتيت إلى هذه البلاد وأرسلك السلطان لإقامة العدل ورفع الظلم كما تقول أو لبيع الأحرار وأمهات الأولاد وهتك الحريم؟ فقال: هؤلاء أرقاء لبيت المال فقال له: هذا الأمر لا يجوز ولم يقل به أحد ؛ فاغتاظ غيظاً شديداً وطلب دوانه وقال له: اكتب أسماء هؤلاء وأخبر السلطان بمعارضتهم لأوامره فقال له أحدهم: نحن نكتب أسماءنا بخطنا! فأفحم وانكف عن إتمام قصده وتتبُّع أموال الأمراء وودائعهم، وكان " إبراهيم بك " قد أودع عند " أبي الأنوار" وديعة فأرسل يطلبها فامتنع عن دفعها قائلاً: إن صاحبها على قيد الحياة فاشتد غيظ " الباشا "عليه وقصد البطش به فحماه الله منه ببركة الانتصار للحق فكان يقول: لم أر في جميع الممالك التي وليتها من اجترأ على مخالفتي مثل هذا الرجل فقد أحرق قلبي ".

3 - الشيخ الشرقاوي يقود عصياناً مدنياً ضد زعماء الظلم: تزعم شيخ الأزهر " الشرقاوي " ثورة على أمراء الظلم والجور في مصر عام 1209 ه كان سببها أن حضر إليه أهل قرية بلبيس بالشرقية وذكروا له: أن أتباع " محمد بك الألفي " ظلموهم وطلبوا ما لا قدرة لهم عليه فاغتاظ الشيخ من ذلك وجمع المشايخ وقفلوا أبواب الجامع الأزهر وذلك بعد أن خاطب " إبراهيم بك " و" مراد " ولم يقضيا شيئاً وأمر الشيخ بإغلاق الأسواق والحوانيت ثم ركبوا ثاني يوم إلى بيت " السادات " وتبعهم كثير من العامة وازدحموا أمام الباب بحيث يراهم " إبراهيم بك " فأرسل إليهم يسألهم عن مرادهم فقالوا: نريد العدل وإبطال الحوادث والمكوث التي ابتدعتموها، فقال: لا يمكن الإجابة إلى هذا كله فإنا إن فعلنا ذلك كله ضاقت علينا المعايش فقالوا: ليس هذا بعذر عند الله وما الباعث على الإكثار من النفقات والمماليك والأمير يكون أميراً بالإعطاء لا بالأخذ وانفض المجلس وركب المشايخ إلى الجامع الأزهر واجتمع أهل الأطراف وباتوا فيه فما كان من " مراد " إلا أن عاد فخطب ودهم وطلب منهم الصلح ".

 4- الشيخ المراغي وخطبته الشهيرة: عندما نشبت الحرب العالمية الثانية وكانت مصر وقتها تحت الاحتلال البريطاني أعلنت الحكومة انضمامها إلى الحلفاء خطب الشيخ " المراغي " وقال كلمته المشهورة: " هذه الحرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل " ولقد أحدثت هذه الخطبة ضجة هائلة وقامت لها الحكومة المصرية وقعدت، واهتزت لها بريطانيا العُظمى هزاً عنيفاً وطلبت إلى الحكومة المصرية بياناً عن هذه الفكرة واتصل بالشيخ المراغي رئيس الوزراء وخاطبه بلهجة تفوح منها رائحة التهديد فثارت ثائرة الشيخ وقال له: مثلك يهدد شيخ الأزهر، وشيخ الأزهر أقوى بمركزه ونفوذه بين المسلمين من رئيس الحكومة ولو شئت لرقيت منبر الحسين وأثرت على الرأي العام ولو فعلت لوجدت نفسك على الفور بين عامة الشعب.

 5 - عبد الحميد بن باديس وجرأته في مواجهة الاستعمار: جاء في كتاب " أقباس روحانية " أن المندوب الفرنسي استدعاه يوما وقال له: " إما أن تُقلع عن تلقين تلاميذك هذه الأفكار وإلا أرسلت جنوداً لإغلاق المسجد الذي تنفث فيه هذه السموم ضدنا وإخماد أصواتك المنكرة فأجاب الشيخ: " أيها المسيو الحاكم: إنك لا تستطيع ذلك ؛ فاستشاط المسيو غضباً وقال: كيف لا أستطيع؟ قال الشيخ: إذا كنت في عُرس علمت المحتفلين، وإذا كنت في مأتم وعظت المُعزين، وإذا جلست في قطار علمت المسافرين، وإن دخلت السجن أرشدت المسجونين، وإن قتلتموني ألهبت مشاعر المواطنين فخير لك أيها المسيو ألا تتعرض للأمة في دينها ولغتها ".

6- الشيخ محمد الغزالي رحمه الله يعصي أوامر وكيل وزارة الأوقاف: يقول الشيخ محمد الغزالي في كتابه "قصة حياة": أذكر أن وكيل الوزارة كلَّفني يومًا أن أضع خطبة محترمة في "تحديد النسل"؛ لأن المشروع موشك على الفشل، فقلت له: "إن مشكلة الانفجار السكاني في العالم لا تُحلُّ على حساب المسلمين وحدهم"، قال: "ماذا تعني؟"، قلت: "التعليمات صدرت لغيرنا أن يتكاثروا، فلا أعمل أنا على تقليل المسلمين"، فقال في عبوس: "أنت موظف، وقد أمر الرؤساء بشيء؛ فيجب تنفيذه"، فقلت في صرامة: "أنا لست موظفًا في بيت أحد الرؤساء، أنا وأي رئيس موظفون في جهاز إسلامي حسيبنا فيه الله؛ فأنا أرعى ربي قبل أي امرئ آخر، أنا ورئيس الدولة نأخذ مرتباتنا من وعاء واحد، من مال المسلمين، أنا لا آخذ مرتبي من كيس أحد حتى أجعل ولائي له من دون الله"، فأشاح مُعرضًا، وانصرف مُغضبًا، وبعد أيام أرسل إليَّ، وقال: "يا سيدي، كتب الخطبة غيرك"، قلت: "ليكتب من شاء ما شاء، أما أنا فلا أبيع ديني لأحد"، إنني أكره الشيوخ الذين يسترضون الرؤساء بالفتاوى الجهْلاء، إنهم يدورون في القاهرة وفي كل عاصمة بذممهم كما يدور سائقو سيارات الأجرة بعرباتهم، يتلفتون: هل من راكب؟ قبحهم الله وقبح من كلَّفهم، وقبل منهم.

- وأكتفي بهذه الأمثلة وأنا على يقين أن كل العصور فيها من الشخصيات الفذة التي تُناطح الجبال في شموخها ونبوغها ويقينها وحُسن إيمانها وظنها بالله عز وجل مما يجعل العالم بأسره يدين لهم إلى يومنا هذا. فالأمم على مدى التاريخ إذا أتوا يفاخروننا، فإننا نفاخرهم بمن هم أفذاذ الشجاعة في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهر بكلمة الحق والأخذ على أيدي الظالمين دون أن يخافوا في الله لومة لائم.

- عاشراً: هل للظالم من توبة؟ [التوبة](http://ar.islamway.net/search?domain=default&query=%22التوبة%22) هي الرجوع إلى الله تعالى من المعاصي والآثام إلى الطاعة، وعرَّفها الإمام الغزالي - رحمه الله - في الإحياء بأنها: " [العلم](http://ar.islamway.net/search?domain=default&query=%22العلم%22) بعظمة [الذنوب](http://ar.islamway.net/search?domain=default&query=%22الذنوب%22)، والندم والعزم على الترك في الحال والاستقبال والتلافي للماضي ". وقال [ابن القيم](http://ar.islamway.net/search?domain=default&query=%22ابن%20القيم%22) في مدارج السالكين: " التوبة في كلام الله ورسوله كما تتضمن الإقلاع عن الذنب في الحال، والندم عليه في الماضي، والعزم على عدم العود في المستقبل، تتضمن أيضًا العزم على فعل المأمور والتزامه، فحقيقة التوبة الرجوعُ إلى الله بالتزام فعل ما يحب وترك ما يكره، ولهذا علق سبحانه وتعالى الفلاح المطلق على التوبة حيث قال: ".... وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ {31} " ( النور 31 ).

- وصح في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع: " إن دمائكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربكم " ( رواه [البخاري](http://ar.islamway.net/search?domain=default&query=%22البخاري%22) ومسلم ).  
وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " كلُ المسلم على المسلم حرامٌ، دمه وعرضه وماله " ( رواه الترمذي وابن ماجة، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي).

- وثبت في الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: " يُغفر للشهيد كل ذنب إلا الدَّين " ( رواه مسلم ).

- وقال [ابن كثير](http://ar.islamway.net/search?domain=default&query=%22ابن%20كثير%22) - رحمه الله - في تفسيره: " حقوق الآدميين وهي لا تسقط بالتوبة، ولا فرق بين المقتول والمسروق منه، والمغصوب منه والمقذوف وسائر حقوق الآدميين، فإن الإجماع مُنعقدٌ على أنها لا تسقط بالتوبة، ولا بد من أدائها إليهم في صحة التوبة، فإن تعذر ذلك فلا بد من الطلابة [يوم القيامة](http://ar.islamway.net/search?domain=default&query=%22يوم%20القيامة%22)، لكن لا يلزم من وقوع الطلابة وقوع المجازاة، وقد يكون للقاتل أعمالٌ صالحةٌ تصرف إلى المقتول أو بعضها، ثم يَفضلُ له أجرٌ يدخل به [الجنة](http://ar.islamway.net/search?domain=default&query=%22الجنة%22)، أو يعوض اللهُ المقتولَ من فضله بما يشاء، من قصور الجنة ونعيمها، ورفع درجته فيها ونحو ذلك ".

- وقال القرطبي - رحمه الله - في تفسيره: " فإن كان الذنب من مظالم العباد فلا تصح التوبة منه إلا بردِّه إلى صاحبه والخروج عنه - عينًا كان أو غيره - إن كان قادرًا عليه، فإن لم يكن قادرًا فالعزم أن يؤديه إذا قدر في أعجل وقت وأسرعه ".

- وقال النووي - رحمه الله - في روضة الطالبين: " وإن كان حقًا للعباد كالقصاص وحد القذف فيأتي المستحقَ ويُمكنه من الاستيفاء، فإن لم يعلم المستحق وجب في القصاص أن يُعلمه فيقول أنا الذي قتلت أباك ولزمني القصاص، فإن شئت فاقتص وإن شئت فاعف..... ".

- وبناءً على ما سبق قرر أهل العلم أن حقوق العباد لا تسقط بالتوبة، وكذلك لا تسقط حقوق العباد بالشهادة في سبيل الله عز وجل، قال الإمام النووي رحمه الله: " وأما قوله صلى الله عليه وسلم: " إلا الدَّين " ففيه تنبيه على جميع حقوق الآدميين، وأن [الجهاد](http://ar.islamway.net/search?domain=default&query=%22الجهاد%22) والشهادة وغيرهما من أعمال البر لا يكفر حقوق الآدميين، وإنما يكفر حقوق الله تعالى" ( شرح صحيح مسلم للنووي).

- حادي عشر: هل يجوز الفرح بهلاك الظالمين؟ كثير من الناس يعتبرون أن الفرح بهلاك ظالم نوعاً من الشماتة وأن الميت إنما تجوز عليه الرحمة وأنه لا يجوز أن نذكره بسوء أو نشمت به أو نفرح لموته مهما كانت أفعاله في الدنيا ويحتجون في ذلك بحديث " اذكروا محاسن موتاكم، وكفوا عن مساويهم " وهذا الحديث قال عنه أبو عيسى الترمذي أنه ( حديث غريب ) وقال عنه الألباني ( حديث ضعيف ).

- والحقيقة أن هناك خيط رفيع بين الشماتة في المسلم والفرح بهلاك ظالم أو طاغية أو فاسق أو مُتجبِّر، فلقد نُهينا عن الشماتة وأمرنا بالاستعاذة منها ولكننا لم ننهى عن الفرح بهلاك ظالم أو طاغية أو فاسق أو مُتجبِّر.

- قال تعالى: ".... فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأعْدَاء وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ {150} " ( الأعراف 150 ). - روى البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " تَعَوَّذُوا بالله من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء ".

- وقيل لأيوب عليه السلام: أي شيء من بلائك كان أشد عليك قال: " شماتة الأعداء ".

- وقال: الكلبي: " لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم شمت به نساء كندة وحضرموت وخضبن أيديهن وأظهرن السرور لموته صلى الله عليه وسلم وضربن بالدف ".

قال عبد الله بن أبي عتبة: " كل المصائب قد تمر على الفتى فتهون غير شماتة الأعداء ".

- مما تقدم نفهم أنه لا شماتة في موت عبد من عباد الله الذين يرتكبون الحسنات والسيئات مثل باقي البشر، أما الطغاة والمتجبرون، الذين ملئوا الأرضَ ظلمًا وأذلّوا عباد الله واستباحوهم وجعلوا أيامهم على الأرض شقاءً وكدحاً، ونال أذاهم القاصي والداني، فالفرح في موتهم إنما هو في حقيقته تقرّب إلى الله تعالى بالاعتراف بقدرته جل شأنه على تحقيق وعِيْده بالقصاص من الظالمين.

- وأقول لمن يعترضون على إظهار الشماتة بالظالمين: أين أنتم من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وحال سلفنا الصالح من الفرح بهلاك الظالمين بل والسجود لله شكراً على هلاكهم؟

- عن أبي قتادة بن ربعي الأنصاري قال: مُر على النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة فقال: مُستريح ومُستراح منه. فقالوا: يا رسول ما المستراح وما المستراح منه؟ قال: " إن العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله تعالى، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب " ( رواه البخاري ). في هذا الحديث بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أن الفاجر حين يموت يكفي العباد شره ويريحهم من فجوره وغطرسته، بل حتى الشجر والدواب يستريحون منه. وفيه عظيم دلالة على أن هذه الراحة نعمة من نعم الله الجليلة التي لابد من شكرها وأول أبواب شكرها: الفرح بها.

- عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لما أمر النبي يوم بدر بأولئك الرَّهْط فأُلقُوا في الطوى، عتبة وأبو جهل وأصحابه، وقف عليهم فقال: " جزاكم الله شرًّا من قومِ نبيٍّ ما كان أسوأ الطَّرْد ِ، وأشد التكذيب "، قالوا: يا رسول الله، كيف تُكلِّم قومًا جيَّفُوا، فقال: " ما أنتم بأفْهَم لقولي منهم ".

- ويدلل فعل السلف على هذا المعنى فإن سجود الإمام علي رضي الله عنه لله شكراً لمقتل " المخدَّج " الخارجي لما رآه في القتلى في محاربته له، لهو أكبر دليل على ذلك.

- يقول الشيخ محمد صالح المنجد: " الفرح بمهلك أعداء الإسلام وأهل البدع المغلظة وأهل المجاهرة بالفجور أمر مشروع، وهو من نِعَم الله على عباده وعلى الشجر والدواب، بل إن أهل السنَّة ليفرحون بمرض أولئك وسجنهم وما يحل بهم من مصائب ".

- قال بدر الدين العيني رحمه الله: فإن قيل: كيف يجوز ذكر شر الموتى مع ورود الحديث الصحيح عن زيد بن أرقم في النهي عن سب الموتى وذكرهم إلا بخير؟ وأجيب: " بأن النهي عن سب الأموات غير المنافق والكافر والمجاهر بالفسق أو بالبدعة، فإن هؤلاء لا يحرُم ذكرُهم بالشر للحذر من طريقهم ومن الاقتداء بهم ".

- روى ابن سعد في طبقاته قال: أخبرنا عبد الحميد بن عبد الرحمن الحِماني، عن أبي حنيفة عن حماد قال: " بشرت إبراهيم بموت الحجاج، فسجد، ورأيته يبكي من الفرح ". ولهذا شُرع لنا سجود الشكر عند تجدد النعم واندفاع النقم. أفلا نفرح بنعم الله؟ أفلا نشكر الله؟ أفلا نغيظ بفرحنا أعداء الله؟ أفلا نتعبد لله تعالى بهذا الفرح؟ ألم يقل الله تعالى: "..... وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ {4} بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ {5} ‏" ( الروم 4- 5 ).

- ثاني عشر: هل يجوز الدعاء على الظالمين؟ من يتتبع سيرة النبي صلى الله عليه وسلم يجد أنه لا حرج في الدعاء على الظالم بعينه أو في الجملة، لما ثبت من دعائه صلى الله عليه وسلم على الذين غرَّرُوا بأصحابه عند بئر معونة من قبائل رعل وذكوان وبني لحيان وعصية، فقد صح أنه صلى الله عليه وسلم دعا عليهم ثلاثين صباحاً. ( والقصة في صحيح البخاري)، كما صح أنه صلى الله عليه وسلم كان يدعو على مُضر.

- وفي القرآن الكريم عن موسى عليه السلام: " رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ {88} " ( يونس 88 ).

- عن سعيد بن زيد رضي الله عنه أنَّ أروى - بنت أويس - خاصمتْه في بعضِ دارِه. فقال: دعوها وإياها. فإني سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقول ( من أخذ شبرًا من الأرضِ بغيرِ حقِّه، طوَّقَه في سبعِ أرضينَ يومَ القيامةِ ). اللهم! إن كانت كاذبةَ، فأَعْمِ بصرها. واجعل قبرها في دارها. قال: فرأيتُها عمياءَ تلتمسُ الجُدُرَ. تقول: أصابتني دعوةُ سعيدِ بنِ زيدٍ. فبينما هي تمشي في الدارِ مرَّتْ على بئرٍ في الدارِ، فوقعتْ فيها. فكانت قبرَها " ( رواه مسلم ).

- عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: " شكا أهل الكوفة سعدا إلى عمر رضي الله عنه، فعزله واستعمل عليهم عمارا، فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلي، فأرسل اليه فقال: يا أبا إسحق إن هؤلاء يزعمون انك لا تحسن تصلي؟ قال أبو إسحق: أما أنا، والله فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخرم عنها، أصلي صلاة العشاء، فأركد في الاولين، وأخف في الأخريين. قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحق. فأرسل معه رجلا، أو رجالا، إلى الكوفة، فسأل عنه أهل الكوفه، ولم يدع مسجدا إلا سأل عنه، ويثنون معروفا، حتى دخل مسجدا لبني عبس، فقام رجل منهم، يقال له أسامة بن قتادة، يكنى أبا سعدة، قال: أما إذ نشدتنا، فإن سعدا كان لا يسير بالسرية، ولا يقسم بالسوية، ولا يعدل في القضية. قال سعد: أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبا، قام رياء وسمعة، فأطل عمره، واطل فقره، وعرضه بالفتن. وكان بعد إذا سئل يقول: شيخ كبير مفتون، أصابتني دعوة سعد. قال عبد الملك: فأنا رأيته بعد، قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتعرض للجواري في الطرق يغمزهن " ( رواه البخاري ).

- والأدلة على جواز الدعاء على الظالمين كثيرة بل أكثر من أن تُعَد، ولقد سبق أن ذكرنا أعلاه نماذج منها للمثال وليس للحصر.

- ثالث عشر: الخسران المبين في الركون إلى الظالمين: إن القرآن الكريم منهج إلهي متكامل ومتوازن وعادل، فلا يمكن أن يُعاقب على فعل أو ترك مما يُعتبر جريمة أو مُخالفة إلا بعد بيان الحق من الباطل والحلال من الحرام، ليكون الناس على بيِّنة من أمرهم ولتقوم عليهم الحجة البالغة والدامغة. ومن هذا الباب جاء التحذير الإلهي من مُوالاة الظالمين أو تقديم أي عون أو دعم لظلمهم وبغيهم في الأرض، مُنبها سبحانه وتعالى على العقوبة المترتبة على ذلك ليرتدع من يرتدع ويتوب من يتوب ويتراجع من يتراجع ولتقوم البينة على من تقوم، ولعل أوضح آية في هذا الباب قوله تعالى: " وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ {113} " ( هود 113 ).

- قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من أعان ظالماً ليدحض بباطله حقاً فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله " ( أخرجه الحاكم وقال صحيح الإسناد ).

- وجاء في الأثر: " إذا كان يوم القيامة قيل: أين الظلمة وأعوانهم؟ أو قال: وأشباههم فيُجمعون في توابيت من نار ثم يقذف بهم في النار".

- أوحى الله تعالى إلى يوشع بن نون: أني مهلكٌ من قومك أربعين ألفًا من خيارهم، وستين ألفًا من شرارهم، فقال: يا رب، هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ قال: إنهم لم يغضبوا لغضبى فكانوا يواكلوهم ويشاربوهم ".

- قال الجوهري وغيره من أهل اللغة: الركون السكون إلى الشيء والميل إليه.

- وقال البغوي: هو المحبة والميل بالقلب.

فإذا كان الميل بالقلب للظالمين منهي عنه ومُحذر من شدة عقوبته، فمن المؤكد أن مساعدة الظالمين ومؤازرتهم وتقديم الدعم لهم داخلة في النهي من باب أولى.

- وقد نقل ابن كثير والقرطبي وغيره من المفسرين عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه فسر "الركون" بالميل إلى الذين ظلموا، أو الركون إلى الشرك، أو المُداهنة.

- وقال السدي: لا تداهنوا الظلمة. وقال أبو العالية: لا ترضوا بأعمالهم.

- وعن عكرمة: هو أن تطيعوهم أو تودوهم أو تصطنعوهم.

وهي جميعها معان للموالاة بكافة أنواعها، بدءا بالميل القلبي مروراً بالرضا بأفعالهم ومداهنتهم، وانتهاء بمساعدتهم وتقديم الدعم لهم.

- وإذا كانت موالاة الظالمين والطغاة مُحَرَّمة في القرآن الكريم بشكل عام، فإن موالاة اليهود والنصارى محرمة ومنهي عنها بشكل خاص، قال تعالى مخاطباً المؤمنين وناهياً لهم: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ {51} " ( المائدة 51 ).

- رابع عشر: أقوال عن الظلم:

1- قال الفاروق عمر رضي الله عنه: " واتقِ دعوة المظلوم، فإن دعوة المظلوم مُستجابة ".

2- قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: " يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم ".

3- وقال أيضاً: " إنما أهلك من كان قبلكم أنهم منعوا الحق حتى استشرى، وبسطوا الجور حتى افتدى ".

4- قال ابن مسعود رضي الله عنه: " لما كشف العذاب عن قوم يونس عليه السلام ترادوا المظالم بينهم، حتى كان الرجل ليقلع الحجر من أساسه فيرده إلى صاحبه ".

5- قال أبو الدرداء رضي الله عنه: " إياك ودمعة اليتيم، ودعوة المظلوم، فإنها تسري بالليل والناس نيام ".

6- قال ابن عباس رضي الله عنهما: " لو أن جبلا بَغى على جبل , لدُك الباغي ".

7- قال معاوية رضي الله عنه: " إني لأستحي أن أظلم من لا يجد علي ناصرًا إلا الله ".

8- قال ابن القيم - رحمه الله - في كتاب " بدائع الفوائد ": " سبحان الله! كم بكت في تنعم الظالم عين أرملة، واحترقت كبد يتيم، وجرت دمعة مسكين " كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلاً إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ {46} " ( المرسلات 46 )، " وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ {88}‏ " ( سورة ص 88 )، ما ابيضَّ لون رغيفهم حتى اسود لون ضعيفهم، وما سمنت أجسامهم حتى انتحلت أجسام ما استأثروا عليه، لا تحتقر دعاء المظلوم، فشرر قلبه محمول بعجيج صوته إلى سقف بيتك، ويْحك نِبَال أدعيته مُصيبة، وإن تأخر الوقت، قوسه قلبه المقروح، ووتره سواد الليل، وأستاذه صاحب " لأنصرنك ولو بعد حين " وقد رأيت ولكن لست تعتبر، احذر عداوة من ينام وطرفه باكٍ، يقلب وجهه في السماء، يرمي سهاماً ما لها غرض سوى الأحشاء منك... " أ ه.

9- قال ابن الجوزي رحمه الله: " الظلم يشتمل على معصيتين: أخذ مال الغير، ومبارزة الرب بالمخالفة، والمعصية فيه أشد من غيرها، لأنه لا يقع غالبًا إلا بالضعيف الذي لا يقدر على الانتصار، وإنما ينشأ الظلم عن ظلمة القلب، ولو استنار بنور الهدى لاعتبر ".

10- قال ابن تيمية رحمه الله: " إن الناس لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمة، وعاقبة العدل كريمة ".

11- قال يوسف بن أسباط رحمه الله: " من دعا لظالم بالبقاء، فقد أحب أن يُعْصَى الله في أرضه ".

12- قال أبو ثور بن يزيد رحمه الله: " الحجر في البنيان من غير حله عربون على خرابه ".

13- قال يزيد بن حاتم رحمه الله: " ما هِبْتُ شيئًا قط هيبتي من رجل ظلمته، وأنا أعلم أن لا ناصر له إلا الله، فيقول: حسبي الله، الله بيني وبينك ".

14- قال ميمون بن مهران: " إن الرجل يقرأ القرآن وهو يلعن نفسه، قيل له: وكيف يلعن نفسه؟! قال: يقول: { أَلاَ لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ } وهو ظالم.

15- نادى رجل سليمان بن عبد الملك وهو على المنبر: " يا سليمان اذكر يوم الأذان "، فنزل سليمان من على المنبر، ودعا بالرجل، فقال له: ما يوم الأذان؟ فقال: قال الله تعالى: { فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ } ( الأعراف من الآية 44 ).

16- قال بن منظور - رحمه الله - في كتاب " تاريخ دمشق ": " نادى رجل سليمان بن عبد الملك وهو على المنبر: أيا سليمان، أيا سليمان، اذكر يوم الآذان، قال: فنزل عن المنبر ودعا بالرجل فقال: أنا سليمان فما يوم الأذان؟ قال الله تعالى: { فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ } ( الأعراف من الآية 44 ). قال: فما مظلمتك؟ قال: أرضي وأرض آبائي أخذها وكيلك. قال: فكتب إلى وكيله أن ادفع إليه أرضه وأرضي مع أرضه ".

17- مرّ رجل برجل قد صلبه الحجاج، فقال: " يا ربّ إن حلمك على الظالمين قد أضر بالمظلومين، فنام تلك الليلة، فرأى في منامه أن القيامة قد قامت، وكأنه قد دخل الجنة، فرأى ذلك المصلوب في أعلى عليين، وإذا منادٍ ينادي، حلمي على الظالمين أحلَّ المظلومين في أعلى عليين ".

18- المصيبة ليست في ظلم الاشرار بل في صمت الاخيار ( لوثر كينغ ).

19- لا تقف ابدا موقف المتفرج من الظلم أو الغباء القبر سيوفر متسع من الوقت للصمت ( كريستوفر هيتشنز ).

20- أكبر شر عدا الظلم هو أن لا يدفع الظالم ثمن ظلمه ( أفلاطون ).

21- أستطيع أن أغفر للبشر كل شيء إلاّ الظلم والجحود وانعدام الإنسانية ( دينيس ديدرو ).

22- إذا كنت مُحايداً في حالات الظلم فقد اخترت أن تكون بجانب الظالم ( دسمند توتو ).

23- قال أبو العتاهية:

ستعلم يا ظلوم إذا التقينا غداً عند الإله من الظلوم

أما والله إنَّ الظُّلم شؤمٌ وما زال المسيء هو الظَّلوم

إلى دياَّن يوم الدّين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم

ستعلم في الحساب إذا التقينا غداً عند الإله من الملوم

24- يقول الإمام الشافعي رحمه الله:

إذا ما الظالم استحسن الظلم مذهباً ولج عُتواً في قبيح اكتسابه

فكِلْها إلى صرف الليالي فإنها ستدعي له ما لم يكن في حسابه

فكم رأينا ظالما مُتمرداً يرى النجم تحت ظل رِكابه

فعمَّا قليل وهو في غفلاته أناخت صروف الحادثات ببابه

فأصبح لا مال ولا جاه يرتجى ولا حسنات تلتقي في كتابه

وجُوزي بالأمر الذي كان فاعلاً وصَب عليه الله سَوْط عذابه

25- ومما قاله الشيخ القرضاوي حفظه الله:

يا ربِّ، إنّ الطغاةَ استكبروا وبغَوا بغْيَ الذئابِ على قطعانِ حملانِ

يا ربِّ، كمْ يوسفٍ فينا نقيِّ يدٍ دانُوْهُ بالسّجنِ والقاضي هوَ الجاني

يا ربِّ، كم من صبيٍّ صفَّدوا.. فمَضَى يبكِي كضفدعةٍ في نابِ ثُعبانِ

يا ربِّ، كم أسرةٍ باتتْ مُشرَّدةً تشكُوْ تجبُّرَ فرعونٍ وهامانِ

- خاتمة وتوصية: بعد أن طوفنا حول النقاط الأساسية التي يجب أن يستأنس بها المسلم حال تعامله مع الظالمين يجب علينا أن نتواصى ب:-

1- تجنب الظلم في أنفسنا حتى لا نقع تحت مسمى الظالمين وحتى لا تُسَد أمامنا أبوب السماء فتتبدد طاقاتنا وتضيع أعمالنا ونحن لا ندري.

- قال ميمون بن مهران: في قوله تعالى: " وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ {42} " ( إبراهيم 42 ) قال: " تعزية للمظلوم، ووعيد للظالم ".

- وقيل: لما حُبس بعض البرامكة وولده قال: يا أبت، بعد العزِّ صِرنا في القيد والحبس. فقال: يا بُني، دعوة مظلوم سَرَت بليل غفلنا عنها، ولم يغفل الله عزَّ وجلَّ عنها.

- وكان يزيد بن حكيم يقول: ما هِبْتُ أحدًا قطُّ هيبتي رجلاً ظلمته، وأنا أعلم أنه لا ناصر له إلا الله، يقول لي: حسبي الله، الله بيني وبينك.

2- عدم الرضا بالظلم وعدم ممالئة الظالمين أو الركون إليهم فالظالم ومعاونه سواء، وكما قيل: " الرضا بالظلم في أي مكان هو تشجيع للظلم في كل مكان ".

3- لنوقن أنه مهما انتفشت قوى الظلم والبغي للنيل ممن يدافعون عن هذه الأمة وشريعتها وهويتها على مر العصور فالله تعالى للظالمين بالمرصاد يُبطل سِحرهم وكيدهم وتدبيرهم..... وما ذلك على الله بعزيز.

- نسأل الله عز وجل في عليائه أن يُجنبنا مصارع الظالمين وأحوالهم كما نسأله سبحانه وتعالى أن يحفظنا من الظالمين وبطشهم.

- اللهمّ عليك بكل ظالم، اللهمّ خيّب أمله، وأزل ظلمه، واجعل شغله في بدنه، ولا تفكّه من حزنه، وصيّر كيده في ضلال، وأمره إلى زوال، ونعمته إلى انتقال، وسلطانه في اضمحلال، وأمِتْه بغيظه إذا أمتّه، وأبقه لحزنه إن أبقيته، وقنا شرّ سطوته وعداوته، فإنّك أشدّ بأساً وأشدّ تنكيلاً.

- اللهمّ عليك بمن ظلمنا، اللهمّ خيّب أمله، وأزل ظلمه، واجعل شغله في بدنه، ولا تفكّه من حزنه، وصيّر كيده في ضلال، وأمره إلى زوال، ونعمته إلى انتقال، وسلطانه في اضمحلال، وأمِتْه بغيظه إذا أمتّه، وأبقه لحزنه إن أبقيته، وقنا شرّ سطوته وعداوته، فإنّك أشدّ بأساً وأشدّ تنكيلاً. اللهم إنّ الظالم جمع كل قوّته وطغيانه، وإنا جمعنا له ما استطعنا من الدّعاء، يا ربّ فاستجب لدعوة المظلومين وانصرنا فإنّك يا كريم قلت لدعوة المظلوم بعزّتي وجلالي لأنصرنّك ولو بعد حين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

## الخاتمة

ها هي معالم الطريق بين أيدينا واضحة جلية لا لبس فيها ولا غموض، وها هم الأخيار قد رُسِمت خطواتهم وشحذت هِممهم وتوكلوا على ربهم آخذين بكل الأسباب وكلهم ثقة بأن الله تعالى معهم هادياً ومُعيناً لن يبخسهم أجر سعيهم ولن يترهم أعمالهم.

نسأل الله تعالى أن يُيسر أمورنا وأن يهدينا لصالح الأعمال لا يهدي لصلحها إلا هو، وأن يصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا هو.

محمد عبدالرحمن صادق

**الفهرس**

[الإهداء 3](#_Toc484318366)

[المقدمة 4](#_Toc484318367)

[الثمرة الأولى: الأمانة في الإسلام 5](#_Toc484318368)

[الثمرة الثانية: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر 18](#_Toc484318369)

[الثمرة الثالثة: العدل في الإسلام 34](#_Toc484318371)

[الثمرة الرابعة: الأمن في الإسلام 46](#_Toc484318372)

[الثمرة الخامسة: الحرية في الإسلام 58](#_Toc484318373)

[الثمرة السادسة: الشورى في الإسلام 73](#_Toc484318374)

[الثمرة السابعة: التكافل في الإسلام 81](#_Toc484318375)

[الثمرة الثامنة: الانتماء في الإسلام 103](#_Toc484318376)

[الجمرة الأولى: الخيانة 112](#_Toc484318377)

[الجمرة الثانية: الظلم 123](#_Toc484318378)

[الخاتمة 153](#_Toc484318379)